

بيان السعادة في مقامات العبادة

حاج سلطان محمد گنابادی

ملقب به سلطانعلیشاه







هو
١٢١

متن عربى

تفسير شريف
بيان السّعادة فى مقامات العبادة

تأليف

العارف الشّهير

سلطان محمّد الجنابذى سلطانعليشاه ﴿قدّس سرّه﴾

هو

۱۲۱

(المجلّد العاشر)

متن

بيان السّعادة فی مقامات العبادة

تأليف

عارف شهير

الحاج سلطان محمّدالجنابذی الملقّب بسلطانعليشاه

طاب ثراه

مترجمان

محمّدآقا - رضاخانی و حشمت‌اللّه رياضی

سورة الحج

مكّيّة الاّ آيات، وقيل: مدنيّة غير آياتٍ نـزلت فـى السّـفر، وقيل: غير ستّ آياتٍ، وقيل: غير اربع آياتٍ، وورد فى فضلها عن النّبىّ صلّى الله عليه وآله: انّ من قرأ سورة الحجّ اعطى من الاجـر كـحجّةٍ حـجّها، وعمرةٍ اعتمرها بعدد من حجّ واعتمر فيما مضى وفيما بقى، وعـن ابى‌عبدالله عليه السّلام: من قرأها فى كلّ ثلاثة ايّام لم‌يخرج من سـنة حـتّى يخرج الى بيت الله الحرام وان مات فى سفره دخل الجنّة



﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ اى سخط ربّكم وعقوبته بترك مخالفة او امره ونواهيه.

﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾ استينافٌ فى مقام التّعليل والمراد بالسّاعة ساعة ظهور القائم عجّل الله فرجه عند الاحتضار بالموت الاختيارىّ.

او الاضطرارىّ وساعة القيامة الصّغرى او ساعة القيامة الكبرى وظـهور الولايـة الكلّيّة كما اشير الى الكلّ فى الخبر.

﴿شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ فانّ حال الاحتضار وزلزلته فى العالم الصّغير امـر لايـتحمّله

النّفوس البشريّة والمدارك الحيوانيّة لانّها

لخراب النّفوس البشريّة والمدارك الحيوانيّة والمبانى الدّانية.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ﴾ لغاية الدّهشة والوحشة ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ مع انّ المرضعة تجعل نفسها فداء لرضيعها ﴿وَ تَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ والمراد بذات الحمل كلّ ما كان فيه شيءٌ آخر مكموناً لانّه يوم تخرج الارض اثقالها ومكموناتها.

﴿وَ تَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ﴾ زائلى العقول من غاية الحيرة الوحشة ﴿وَ مَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ﴾ حتّى يكونوا ملتذّين بلذّة السّكر وكيفه ﴿وَ لَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فلذلك يزول عقولهم لالكيف المسكر.

﴿وَ مِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ﴾ جملة حاليّة او مستأنفة على مجيء الواو للاستيناف او معطوفة على مقدّرٍ كأنّه قال: فمن النّاس من يسلّم ويخاف و يسلّم من هولها؟

و من النّاس من لايسلّم ويجادل ﴿فِى ٱللَّهِ﴾ اى فى ذاته و صفاته واحكامه ومظاهره وخلفائه، ومنها المجادلة فى احكام العباد و النّظر فيها بالرّأى والاستحسان من دون اذنٍ من الله واجازةٍ من خلفائه ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

فانّ العلم بالله و صفاته و احكامه و خلفائه لايحصل الاّ بالشّهود و الوجدان و هم قاصرون فيه او بالتّقليد لصاحب الشّهود والوجدان و هم مستنكفون منه.

﴿وَ يَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَـٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ عطف فيه معنى التّعليل يعنى يجادل بغير علمٍ لانّه يتّبع كلّ شيطان عاتٍ طاغٍ وباتّباعه لايحصل له الاّ الجهل والعتوّ فلا يحصل له علم و

لاتقليد لاهل علم.

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ مستأنف او صفة بعد صفة او حال بتقدير قد ﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَ يَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ ثمّ خاطب الزّنادقة من منكرى البعث بعد التّحذير عن وحشة البعث فقال ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ﴾ قدمضى انّ الرّيب هو التّزلزل فى الاعتقاد الثّابت والاضطراب فيه وهو مقدّمة الشّك و كثيراً مايستعمل فى الشّكّ.

﴿مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ اى بعث الاموات واحيائهم فى يوم الحساب فتفكّروا فيما سلف عليكم من الاحوال حتّى تعلموا جواز البعث فانّكم قدعلمتم النّشأة الاولى فلولا تذكّرون.

﴿فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ يعنى انظروا فى مادّة خلقتكم فانّ جزءها الاعظم كان التّراب الّذى هو اخسّ العناصر ثمّ استكمل ذلك التّراب فى مراتب استكماله وكلّ استكمالٍ كان موتاً لكم عن صورةٍ بعثاً فى صورة اخرى حتّى بلغتم الى اقصى مراتب الكمال البشرىّ و موتكم عن البشريّة وبعثكم بالملكيّة مثل موتاكم السّابقة وبعثاتكم.

﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ قطعة دمٍ جامدةٍ ثمّ من مضغة قطعة لحم غير متماسك الاجزاء كاللّحم الّذى يمضغ، وادخال من على المادّة يدلّ على انّ المادّة ليست هى الانسان ولاجزءً منه بل الانسان اسم للفعليّة الاخيرة الّتى هى الرّوح وانّ النّفس الانسانية جسمانيّة الحدوث كما عليه الفلاسفة لاانّها قديمة او خلقت سابقةً على الابدان كما عليه جمع من المتكلّمين والفقهاء.

و ماورد من خلق الارواح قبل الابدان انّما هو بحسب نشأتها المجرّدة لابحسب

الاستدلال بخلقة الانسان لاثبات البعث

نشأتها المتعلّقة وليس التّعلّق وصفاً عرضيّاً للنّفوس كما قيل بل هو مرتبة من مراتب ذواتها ونشأة من نشآت وجوداتها ﴿مُخَلَّقَةٍ﴾ تامّة الخلقة و يدلّ عليه وزن التّخليق الدّال على المبالغة ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ غير تامّة الخلقة ،او باقية الى تمام زمان خلقته فى الرّحم وهو الزّمان المعهود للجنين فى الرّحم وغير باقية بل ساقطة او خارجة سالمة قبل تسعة اشهر.

﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ كيفيّة بعثكم من هذا البعث المشهود لكم، و حذف المفعول ليذهب ذهن السّامع كلّ مذهبٍ ممكن كأنّه قال لنبيّن لكم حكمتنا و قدرتنا و علمنا و رأفتنا و توانينا فى الامور و اماتاتنا واحياءاتنا وبعثكم ونشركم و جزاءكم و حسابكم.

﴿وَ نُقِرُّ﴾ قرئ بالرّفع و النّصب من باب الافعال ومن الثّلاثىّ المجرّد بالتّكلّم والغيبة وليكن الثّلاثىّ المجرّد المتكلّم مأخوذاً من قررت الماء اذا صببته، والمرفوع منه معطوف على **خلقنا** او حال بتقدير مبتدء او مستأنف والمنصوب معطوف على نبيّن كأنّه قال: غرضنا فى التّأنّى والتّدريج فى الخلقة بيان حكمتنا وقدرتنا على البعث وتقرير نطفكم.

﴿فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ مدّة ليكون دليلاً على بقائكم فى البرازخ وقبل البعث مثل بقائكم فى الارحام ﴿مَا نَشَآءُ﴾ اى مدّة مشيّتنا، او نقرّ الّذى نشأ من النّطف ونزيل مانشاء من الارحام.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ اقلّه ستّة اشهر و اكثره تسعة اشهر، و فى خبرٍ اذا حاضت المرءة فى حملها زاد ايّام الحمل على التّسعة بقدر ايّام الحيض، وفى خبرٍ آخر: اذا جاءت به لاكثر من سنةٍ لم تصدّق ولو ساعةً واحدةً، وعن العامّة اكثره آخر اربع سنين.

﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ حال عن المفعول وافراده امّا على تقدير نخرج كلّ واحدٍ

منكم او بلحاظ انّه اسم جنسٍ يطلق على الواحد و الاكثر.

او باعتبار انّه فى الاصل مصدر مطلق على الواحد والكثير ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ﴾ عطف على محذوفٍ اى لتبقوا و ترضعوا و تمنوا ثمّ لتبلغوا، او متعلّق بمحذوفٍ اى ثمّ ننميكم و نبقيكم لتبلغوا ﴿أَشُدَّكُمْ﴾ كما لكم فى القوّة والعقل، قدمضى انّ الاشدّ هو وقت كمال جميع القوى البدنيّة والنّفسانيّة وهو من ثمانى عشرة سنةً او من اوّل البلوغ الى ثلاثين او اربعين وهو مفرد على لفظ الجمع.

او جمع لاواحد له من لفظه، او واحده الشّدّة بالكسر كالنّعمة و الانعم، او الشّدّة كالكلب والاكلب او الشّدّة كالذّئب والاذؤب لكنّه لم يسمع هذان ﴿وَ مِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ جملة حاليّة او عطف باعتبار المعنى كأنّه تعالى قال: منكم من يقرّ بمادّته فى الارحام ومنكم من يسقط، ومنكم من يتوفّى قبل البلوغ او حين البلوغ.

﴿وَ مِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ اى ارذل اوقات العمر وهو وقت الخرافة وعدم التّفطّن بدقائق المقصود والمصنوع وهو يختلف بالنّسبة الى الاشخاص فربّ معمّرٍ لايصير خرفاً فى المائة او اكثر، وربّ رجل يصير خرفاً فى الخمس والسّبعين ولذلك اختلف الاخبار فى بيان وقت **ارذل العمر**.

﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ اللاّم للغاية لانّ عدم العلم بعد العلم من الغايات العرضيّة لا انّه علّة غائيّة لانّ العلّة الغائيّة للابقاء هى الاستكمال بالعلم والعمل، لازوال العلم بعد الاستكمال به.

او هو علّة غائيّة بمعنى انّ العلوم الدّنيويّة والادراكات البشريّة الحاصلة بالمدارك

الدّنيويّة من الموذيات فى الآخرة ويبقى الله بعض عباده لان يضعف مداركه الدّنيويّة ويزول عنها مدركاتها ليكون على راحةٍ منها فى الآخرة ولذلك كان خير ابن آدم فى ان يبقى بعد البلوغ الى الشّيخوخة كما فى الخبر لانّ بقاء الادراكات الدّنيويّة موذٍ لصاحبها فى الآخرة، ونعم ماقيل:

سينه‌ى خود را برو صد چاك كن

دل از اين آلودگيها پاك كن

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ خالية عن النّبات والجملة خطاب لغير معيّنٍ وعطف على الجزاء، او على الشّرط والجزاء، كأنّه خاطبهم جميعاً فى مقام الاستدلال على جواز البعث فقال: وترون الارض هامدة (الآية).

او الخطاب لمحمّدٍ ﷺ وعطف باعتبار المعنى وتعريض بالمنكرين للبعث كأنّه قال: ترى النّطفة وتقليباتها واماتاتها واحياءاتها فكيف تنكر البعث وترى الارض هامدة؟!

﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾ تحرّكت ونشطت، شبّه الارض فى استسقاء الماء وتحريك الحبوب والعروق للنّبت والنّموّ بمن شرب و نشط وتحرّك نشاطاً ﴿وَرَبَتْ﴾ انتفخت وارتفعت بالنّبات.

﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ اى صنفٍ ﴿بَهِيجٍ﴾ حسن رائقٍ ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من تقليبات النّطفة وطروّ حالاتها واماتاتها واحياءاتها وحيوة الارض بعد موتها بانزال الماء عليها.

﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ يعنى بانّ للعالم مبدءً قادراً عليماً حكيماً ذا عنايةٍ ورأفةٍ

بخلقه ولولا ذلك المبدء لماوقع هذه التّقليبات الّتى يعجز عن ادراك دقائقها وادراك نضد اسبابها الحكماء العقلاء.

﴿وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ يعنى بسبب انّ عادته تعالى احياء الموتى اىّ ميّتٍ كان فاذا لم‌يدع الارض ولاالنّطفة الميتة ويحييهما فكيف يدع الانسان الّذى هو اشرف الكلّ ولايحييه بعد موته.

﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ يعنى ذلك بسبب انّ شيمته احياء الموتى مع انّه قادر على ذلك فلايدع البتّة الانسان ميّتاً ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ يعنى ذلك بسبب انّ عالم المادّة برمّتها متجدّدة ذاتاً وصفة من النّقص الى الكمال وهذا معنى كون الكون فى التّرقّى والمتجدّد من النّقص الى الكمال يخرُج لامحالة من حجبه الّتى هى الحدود المانعة من الحضور عند ربّه والخارج من الحدود يقوم عند الرّبّ وليست السّاعة الاّ القيام عند الرّبّ المضاف الّذى هو قائم آل محمّد ﷺ.

﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ لاينبغى الرّيب فيها او لايبقى الرّيب فيها بعد ملاحظة ترقّيات النّطف والحبوب والعروق او جنس الرّيب منفىّ عنها بمعنى انّ من تصوّر السّاعة لايرتاب فيها، ومن ارتاب فيها لم‌يتصوّر السّاعة فالسّاعة غير مرتابٍ فيها، والمرتاب فيها غير السّاعة.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ شميته انّه ﴿يَبْعَثُ﴾ لامحالة ﴿مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ كما ترى من بعثه جميع القوى المكمونة فى النّطف والاراضى فكيف يدع الانسان الّذى هو اشرف الموجودات ولايبعث الارواح والقوى المكمونة فى بدنه.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ﴾ جملة حاليّة او مستأنفة او معطوفة

على مقدّرٍ مثل سابقتها، وتكريرها للاستغراق بكلّ منهما من جهة غير جهة الاخرى فتكون كلّ لافادة معنى غير مفاد الاخرى ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ لَا هُدًى وَ لَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾.

اعلم، انّ الانسان ذومراتب وادراكه فى كلّ مرتبة غير الادراك الّذى فى المرتبة الاخرى فانّه فى مقام نفسه المحتجبة عن المعانى الغيبيّة لايكون اداركه الاّ بصور المعلومات المغايرة للمعلومات المحتملة للمطابقة لها ولعدم المطابقة وفى هذه المرتبة تسمّى ادراكاته بالتّصوّر والاوهام والشّكوك والظّنون والعلوم العاديّة والتّقليديّة و اليقينيّة ولكن فى عرف الشّرع تسمّى جملة تصديقاته الظّنيّة واليقينيّة بالظّنون لماتكرّر سابقاًانّ العلوم فى تلك المرتبة لمّاكانت مغايرة للمعلومات ومنفكّة عنها وجائزاً زوالها كالظّنون تسمّى ظنوناً.

فان كان ادراكه بجولان نفسه وترتيب مقدّمات وفكر ونظر من نفسه يسمّى علماً برهانيّاً، وان كان بالتّسليم والاخذ من الغير يسمّى تقليديّاً، والتّقليد امّا يكون بالاستماع من المقلّد او بمشاهدة كتاب منه.

والى الثّلاثة اشار بقوله:

بغير علمٍ ولاهدىً ولا كتابٍ منيرٍ قدّم العلم لانّه اشرف من التّقليد من حيث نفسه وان كان التّقليد من حيث الخروج عن الانانيّة والتّسليم اشرف منه.

فانّ العلم الحصولى لايخلو من شوب الانانيّة الّتى هى نحو من التّفرعن وادّعاء الآلهة.

وادّى العبارة بالهدى والكتاب المنير للاشعار بانّ التّقليد ان كان ممّن يصحّ تقليده بان يكون مجازاً من الله و معلوماً صدقه يصحّ التّوسّل به و الاعتماد عليه فى التكلّم و الجدال.

و امّا ان كان ممّن لا يصحّ تقليده من امثاله و اقرانه و من آبائه و معلّميه فلا يجوز الاعتماد عليه، و يجوز ان يراد بالكتاب المنير العلم الشّهوديّ الحضوريّ الّذى يكون فى مرتبة القلب و الرّوح لصاحب الشّهود و العيان فانّ المشهود فى تلك المرتبة كالمكتوب الحاضر فى صفحة عند النّفس فى الاعيان و على هذا يكون الاقسام الثلاثة بترتيب الاشرف فالاشرف.

﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾ كناية عن الاعراض والاستكبار ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قرئ يضلّ من باب الافعال، ومن الثّلاثيّ المجرّد، وسبيل الله هو الولاية، والنّبوّة ايضاً سبيل الله لانّها سبيل الولاية ﴿لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ بليّة فضيحة لانّ حال الجدل وارادة الغلبة على عباد الله والاستكبار عن العباد بلاء عظيم ولظى من جحيم وهو لانهما كه فى غيّه لا يستشعر بألمه.

﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ واختلاف المتعاطفتين بالاسميّة الفعليّة للاشعار بانّ الخزى لازم جداله غير محتاج الى جعل جاعلٍ وانّه ثابت له فى الدّنيا من دون اعتبار تجدّدٍ بخلاف عذاب الآخرة فانّه محتاج الى الجعل و متجدّد كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها قائلين له.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الخزى والعذاب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ بسبب الّذى قدّمته يداك، او بتقديم يديك شنائع الاعمال وليس بدون استحقاقٍ واستعدادٍ منك فيكون ظلماً.

و لمّا كان اكثر الاعمال جارية على اليدين نسب جميع الشّنائع من الافعال والاقوال والاحوال الاخلاق الى اليدين ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ عطف على **ماقدّمت يداك**. ونفى الظّلم كناية عن العدل يعنى ذلك بسبب انّه عادل والعدل يقتضى اعطاء كلّ مستحقٍّ حقّه وانّك استحققت الخزى والعذاب، والظّلاّم للنّسبة كالتمّار لا للمبالغة.

﴿وَ مِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ الحرف الطّرف و الجانب، شبّه العابد الشّاكّ فی امره المتزلزل فی عبادته بالغازی الغیر العازم علی القتال الشّاكّ المتزلزل من امر الغلبة الّذی یكون دائماً علی طرف من الجنود فان كان فتح و غلبة یوافق الجند و الاّ یفرّ وصحّ تفسیره بالشّاكّ فی الله وبمن اقرّ بالله وشك فی محمّدٍ ﷺ، وبمن تزلزل فی امره و ترقّب الخیر و الشّرّ بحسب دنیاه.

كما قال: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَ إِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ والمراد بالخیر الخیرات البدنیّة وبالفتنة الشّرور البدنیّة، و یجوزان یراد بالحرف الكسب یعنی من النّاس من یعبد الله مشتملاً علی كسب منه للدّنیا و الخیرات البدنیّة فی عبادته یعنی یجعل عبادته وسیلةً لدنیاه فان اصابها اطمأنّ و الاّ انقلب مكبّاً علی وجهه.

﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَ ٱلْأَخِرَةَ﴾ خسر بمعنی ضلّ وصار مغبوناً وباع بنقصان رأس المال ونقص المال مثل اخسر فی الاخیر، ونصب الدّنیا و الآخرة علی الظّرفیّة فی الجمیع، او علی الظّرفیّة فی غیر الاخیر و علی كونه مفعولاً به فی الاخیر، او علی التّشبیه بالمفعول به فی الجمیع، او فی غیر الاخیر مثل حسن الوجه بنصب الوجه.

و خسرانه فی دنیاه بانفاد عمره الّذی هو بضاعته الثّمینة بلاعوضٍ فانّ العوض فی الدّنیا هو التّلذّذ بمناجاة الله وفراغ القلب عمّا یشوّشه وطهارته عن الحقد والحسد والبخل وسائر الرّذائل.

و فی الآخرة نعیمها وجنّاتها ورضوان من الله وهو اكبر، و هذا العابد محروم من الكلّ، علی انّه لایستلذّ بمستلذاته الحیوانیّة ایضاً فی الدّنیا لعدم اطمینانه واضطرابه فی كلّ حال.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الخسران الّذی هو الحرمان عن مستلذّات الانسان فی الدّنیا والآخرة، وعن مستلذّات الحیوان ﴿هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ای من دون اذن الله او من للتّبعیض والظّرف مستقرّ حال من قوله ﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾ لانّ مدعوّه ومعبوده فی الحقیقة هوی نفسه وهو یزعم انّه یعبد الله فی طرف من الدّین وهو نفسه لایقدر علی ضرّه ولاعلی نفعه والآیة تعریض بمن اقرّ بمحمّد صلی الله علیه و آله ورسالته ولم یقرّ بقوله فی علیٍّ علیه السلام ولا بعلیٍّ.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ نسبة البعد الی الضّلال مجاز عقلیّ والحصر ههنا وفی قوله ذلك هو الخسران المبين حقیقیّ او ادّعائی ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ یدعو بتضمین یقول، ولمن ضرّه مبتدء واللاّم موطّئة للقسم.

وقوله ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ خبره ولامه لام جواب القسم اخّرت الی الخبر کراهة الجمع بین اللاّمین کما قیل، او خبر الموصل محذوفٌ ای یقول من ضرّه اقرب من نفعه مولای ولبئس المولی ابتداء کلام، او بتضمین یزعم او یعلم ویکون الجملة بجزئیها مفعولین له یعنی بعد مایظهر له فی الآخرة امر مدعوّه یقول او یعلم من ضرّه اقرب من نفعه بئس المولی

و یکون الفعل اذا کان بمعنی یزعم او یعلم ویکون الجملة بجزئیها مفعولین له یعنی بعد مایظهر له فی الآخرة امر مدعوّة یقول او یعلم من ضرّه اقرب من نفعه بئس المولی ویکون الفعل اذا کان بمعنی یزعم او یعلم معلّقاً عن مفعولیه بواسطة اللاّم.

او یدعو تأکید لیدعوا السّابق واللاّم موطّئة مثل السّابق الاّ انّه لاتعلّق حینئذٍ للجملة بیدعو ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾ المعاشر المصاحب.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ كان الاوفق بالمقابلة ان يقول: ومن النّاس من يؤمن بالله ويعمل الصّالحات لكنّه عدل لى هذه العبارة لافادة هذا المعنى وجزائهم بعبارةٍ واحدةٍ ولتشريفهم بالابتداء بجزائهم وبعدهم جعلهم قريناً ومقابلاً لغيرهم من الاصناف الماضية كأنّهم اشرف من ان يذكروا مقابلين لهم.

و المراد بالايمان الايمان العامّ الّذى هو بمعنى الاسلام الّذى لايحصل الاّ بالبيعة العامّة النّبويّة وقبول الدّعوة الظّاهرة فيكون العمل الصّالح اشارة الى البيعة الخاصة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة والايمان الخاصّ الّذى لايحصل الاّ بالبيعة الخاصّة.

او المراد به الايمان الخاصّ فيكون العمل الصّالح اشارة الى العمل بما اخذ عليه فى بيعته فانّ الله يدخل الّذين آمنوا بالبيعة على يد علىّ(ع) و دخول الايمان فى قلبه وامتيازه عن غيره بحصول فعليّة الولاية فى وجوده.

﴿جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ قدمرّ مراراً بيان كيفيّة جريان الانهار من تحت الجنّات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ لامانع له من مراده وقدمرّ هذه الآية مع تفصيلٍ تامٍّ فى بيانها عند قوله تعالى: **ولكنّ الله يفعل مايريد** من سورة البقرة.

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾ اى من كان من النّاس يظنّ ان لن ينصره الله فيغيظه ذلك او من يطرؤ عليه مايغيظه فيظنّ ان لن ينصره الله ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ اى بحبل ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ سماء بيته ليخنق نفسه ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ نفسه بالاختناق.

﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ﴾ فى اختناق نفسه ﴿مَا يَغِيظُ﴾ اى مايغيظه او

فليمدد بسبب اى حبلٍ الى السّماء الدّنيا فليجتهد فى الوصول الى السّماء **ثمّ ليقطع** اى ليستعمل تميزه فلينظر هل يذهبنّ كيده وحيلته مايغيظ.

او من كان من المؤمنين يظنّ ان لن ينصره الله محمّداً ﷺ فيغيظ لذلك فليمدد بسببٍ الى سماء بيته لاختناق نفسه او السّماء الدّنيا لحيلة نصر محمّد ﷺ ثمّ ليقطع نفسه او ليميز فلينظر، او من كان من الكافرين او المنافقين يظنّ ان لن ينصره الله محمّداً ﷺ وكان يغيظ لظنّ نصره فليمدد بسببٍ الى سماء بيته لاختناق نفسه، او الى السّماء الدّنيا لدفع نصره فلينظر (الى آخر الآية).

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الانزال فى بيان البعث مع البرهان الواضح على بيانه وفى بيان حال المجادل فى الله بغير دليل والعابد على حرفٍ من الدّين والمؤمن الثّابت على الدّين ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ اى القرآن ﴿ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحات او موضحاتٍ لحال النّاس وصفات الله وخلفائه.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ عطف على كذلك بتقدير اللاّم او عطف على الضّمير المفعول اى انزلنا اليك انّ الله يهدى من يريد، وفاعل يريد ضمير للموصول او لله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ اى اسلموا بالبيعة على يد محمّد ﷺ فانّ الايمان صار اسماً للاسلام فى بدو الاسلام لكون المسلم مشرفاً على الايمان.

﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ كانوا على اليهوديّة ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ الخارجين عن الدّين وهم الّذين عبدوا الكواكب، وقيل: انّهم يزعمون على دين نوحٍ عليه السلام ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾ الاصنام او غيرها بالله.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ﴾ ای یمیّز ﴿بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ وان كانوا فی الدّنيا متشابهين غير ممتازين وانّ الثّانية مع مدخولها خبر لانّ الاولى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ استيناف فی مقام التّعليل.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ منقطع عن سابقه لفظاً ومعنىً او مرتبط بسابقه جواب لسؤالٍ مقدّرٍ فی مقام التّعليل للتمّييز بين الفرق المختلفة ولقدرته على كلّ شيءٍ كأنّه قيل: هل يقدر على التّمييز بين النّفوس الكثيرة المتشابهة مع كثرتها وشدّة تشابهها؟

فقال: يقدر على ذلك لانّك ترى كلّ النّفوس البشريّة بل كلّ الموجودات العلويّة والسّفليّة مع كثرتها وتشابهها مسخّرةً له ساجدةً له والخطاب لمحمّدٍ ﷺ وحينئذٍ يكون الرّؤية على معناها والاستفهام للانكار والتّقرير على المنفیّ.

او الخطاب لغير معيّنٍ ويكون الاستفهام للتّوبيخ يعنى لاينبغى لك ان لاترى ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ﴾ ای يخضع غاية الخضوع، والخضوع فی كلٍّ بحسبه، وغاية الخضوع للمختارين ان يخرجوا من اراداتهم واختياراتهم وانانيّاتهم، ويدخلوا تحت اختيار المسجود له وانانيّته، ولمّاكان السّقوط على التّراب ظهور ذلك الخروج سمّی سجدة الصّلوة سجوداً، ولمّا كان كلّ الموجودات بفطرة وجودها مسخّرةً تحت امر الحقّ تعالى كان الكلّ ساجدةً له بفطرة وجودها فيسجدله.

﴿مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ جملة تكويناً و اختياراً ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تماماً تكويناً و بعضهم اختياراً ايضاً ﴿وَٱلشَّمْسُ﴾ بجريها ﴿وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ﴾ مطلق ماينبت من الارض او خصوص ماله ساق كما هو معناه اللّغویّ ﴿وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ عطف على من فی السّموات فيكون

المعنى وكثير من النّاس اختياراً.

او مبتدءٌ خبره مابعده والجملة معطوف على جملة الم تر ﴿وَكَثِيرٌ﴾ ابتداء كلامٍ على ان يكون كثر من النّاس من عطف المفرد، او تكرير وتأكيد للاوّل.

﴿حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ خبر للاوّل او الثّانى ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ جملة معطوفة او حاليّة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ فى مقام التّعليل قدمضى فى سورة البقرة عند قوله تعالى ولكن الله يفعل مايريد بيان تامٌّ لهذه الآية ﴿هَـٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ مستأنف جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ماحال من يجادل الله والمؤمنين الّذين يجادلون الكفّار معهم فى الله؟

فقال: هذان خصمان والخصم فى الاصل مصدر يطلق على المؤنّث والمذكّر والمثنّى والمجموع، او هو وصف كذلك وقديثنّى و يجمع كما هنا.

﴿ٱخْتَصَمُواْ﴾ اى تجادلوا ﴿فِى رَبِّهِمْ فَـالَّذِينَ كَـفَرُواْ﴾ يـعنى الذيـن يجادلون فى اللّه بغير علمٍ ﴿قُطِّعَتْ﴾ كناية عن الخياطة و استعمله ههنا تهكّماً و اسـتهزاءً ﴿لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ واتى بالماضى لاشعار، بتحقّق وقوعه ﴿يُصَبُّ مِـن فَـوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ الحميم الماء الحارّ والماء البارد ضدّ.

﴿يُصْهَرُ بِهِۦ﴾ اى يشوى او يذاب به ﴿مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ يعنى يصل اثره من ظاهرهم الى باطنهم فيشوى باطنهم وظاهرهم، وتقديم الباطن للاهتمام به فى مقام التّهديد.

﴿وَ لَهُم﴾ اى خاصّةً بهم ﴿مَّقَـٰمِعُ﴾ جمع المقمعة كالمكنسة العمود من الحديد وجمع المقمع كالمكحل الخشبة الّتى يضرب بها رأس الفيل ﴿مِـنْ حَـدِيدٍ﴾ التّـقييد بـه للتّصريح بانّه جمع المقمعة لاالمقمع ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا﴾ اى من النّار او من المقامع بمعنى الخروج من عذابها ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ لا من شـوقٍ فـانّهم ان اشـتاقوا وارادوا الخروج من شوقٍ الى المراتب العالية خرجوا لامحالة فانّ قائد الشّوق يقودهم ولا يدعهم فى الجحيم ﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ بتلك المقامع.

﴿وَ﴾ يقال لهم ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ اى النّار الحريق المحرقة على ان يكون الحريق اسماً للمصدر او وصفاً يستوى فيه المذكّر والمؤنّث، او عذاب المـاء الحـميم الحريق.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ كـان حـقّ العبارة ان يقول والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات قطّعت لهم ثياب من النّعيم او لهم جنّات (الى آخرها) لكنّه عدل الى هذه العبارة تشريفاً للمؤمنين بجعلهم ارفع شأناً من ان يـجعلوا قـريناً للكافرين، وافادةً لهذا المعنى مع تشريفهم بنسبة معاشرة الجزاء الى الله، واشعاراً بانّ جـزاء الكافرين من لوازم اعمالهم وجزاء المؤمنين بمحض التّفضّل من الله، و لم يقتصر على الايمان كما اقتصر فى جانب الكفّار على الكفر.

لانّ الكفر كان فى العقوبة بخلاف الاسلام فانّه ان لم يقترن بالعمل الصّالح الّذى هو الولاية او من جملته الولاية لم يكف فى الجزاء بل كان صاحبه مثل المرجـين لامـر الله غـير محكومٍ عليه بشيءٍ الى وقت الموت بخلاف من تولّى عـليّاً فـانّهم مـحكوم عـليهم بأنّـهم يدخلهم الله.

﴿جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ قدمضى مكرّراً انّ المراد من تحت عماراتها او اشجارها او قطعها او المراد بالانهار الانهار المعنويّة تجرى من كلّ مرتبة على مادونها من مراتب الجنان الى عالم الطّبع.

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤًا﴾ قرئ بالنّصب وبالجرّ.

﴿وَ لِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَ هُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ يعنى ارشدهم الله الى الاقوال الّتى يطيب بها نفوسهم من الاذكار والتّحيّات والافكار والتّخيّلات وهو مثل جملة لباسهم فيها حرير عطف على تجرى، او يحلّون ان لميكن جملة يحلّون صفةً بعد صفة، او هما مع جملة يحلّون احوال مترادفة او متداخلة، واذاكان معناه يهدون فيها الى الطّيّب من القول فالاتيان بالماضى لتحقّق وقوعه، وان كان معناه هدوا فى الدّنيا فهو على معناه.

﴿وَ هُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾ الله ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ اتى بعنوان الحميد للاشارة الى انّ المؤمن العامل بالصّالحات لاستكماله فى اوصافه الحميدة وجنوده الكثيرة يهدى الى الله من حيث محموديّته بخلاف المجذوب الغير العامل فانّه يهدى اليه من حيث سبّوحيّته وقدّوسيّته.

و لذلك قال تعالى خطاباً لنبيّه ﷺ قل ان كنتم تحبّون الله فاتّبعونى يعنى فاستنّوا بسنّتى واعملوا بعملى تصيروا مثل الله متّصفين بالصّفات الحميدة و يحببكم الله حينئذٍ لاتّصافكم بصفاته وكان المشايخ الحقّة من السّلف والخلف يأمرون السّلّاك بحفظ النّواميس الشّرعيّة والعمل بجميع الفرائض والسّنن الواردة فى الشّريعة فلايصغى الى ماقالته المتصوّفة من القلندريّة الا باحيّة انّ الشّريعة حجاب، وانّ العارف لاحاجة له الى العمل، وانّ

الواصل اذا عمل كان العمل منه قبيحاً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ منقطع لفظاً ومعنىً عن سابقه، او جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: قدعرفنا حال الكافر المطلق والمؤمن فماحال الكافر الصّادّ عن سبيل الله؟

فقال: انّ الّذين كفروا ﴿وَ يَصُدُّونَ﴾ اتى بالمضارع اشعاراً بانّ الكفر امر وحدانىّ ثابت بخلاف الصّدّ فانّه امر متجدّد الحصول، و للاشارة الى انّ الكافر يصير شيمته الصّدّ على سبيل الاستمرار التّجدّدى.

﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هو سبيل القلب الّذى تكوينيّه ولاية تكوينيّة و تكليفيّه ولاية تكليفيّة و لاسبيل لله سواه، وكلّما عدّ سبيل الله او فسّر سبيل الله به فهو سبيل الله لكونه سبيلاً الى سبيل القلب.

﴿وَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ الصّورىّ او المعنوىّ وهو القلب ﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً﴾ مفعول ثان لجعلنا او حال وقوله ﴿ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ﴾ مرفوعه سواء جعل سواء وصفاً او مصدراً فى معنى الوصف وقدمضى وجه كون الكعبة موضوعاً لانتفاع النّاس فى آل عمران.

وقرئ سواء بالرّفع فيكون خبراً مقدّماً او مبتدءً مكتفياً بمرفوعه عن الخبر ﴿وَ ٱلْبَادِ﴾ باسقاط الياء فى الوقف واجرائه حال الوصل على الوقف والمراد بالبادى مطلق المسافر يعنى الخارج الى البادية سواء سكن البادية ام لا؟

و المراد **بالمسجد الحرام** الحرم وماحواه او مكّة او المسجد نفسه وفى اخبارنا تصريحات بانّ المراد مكّة ودورها لايجوز اخذ الاجر عليها و لايجوز ان يجعل عليها ابوابٌ

وانّ اوّل من جعل على داره مصراعين معاوية و انّه صاحب السّلسلة الّتى قال الله تعالى: **فى سلسلة ذرعها سبعون ذرعاً**، وكان الطّارين اذا قدموا نزلوا على الحاضرين فى دورهم، وقرئ العاكف بالجرّ بدلاً من النّاس وحذف خبر انّ اتّكلاً على جزاء مايأتى من قوله.

﴿وَ مَن يُرِدْ فِيهِ﴾ اى من يرد فى المسجد او فى سبيل الله شيئاً حذف المفعول لارادة التّعميم ﴿بِإِلْحَادِۭ بِظُـلْمٍ﴾ بدل من قوله بالحادٍ اوصلة للالحاد او هما حالان متداخلان او مترادفان، او **بالحادٍ** صلة **يرد** و**بظلم** حال، وقرئ يرد بفتح الياء من ورد.

﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وَ إِذْ بَوَّأْنَا﴾ واذكر او ذكّر قومك اذبوّأنا ﴿لِإِبْرَٰهِيمَ﴾ اى عيّنّا على ماورد انّ الله أرسل ريحاً فكنس مكان البيت فظهر اسّ البيت الّذى نزل لآدم عليه السلام من الجنّة فبنى ابراهيم عليه السلام البيت على ذلك اولام **لابراهيم** زائدة.

﴿مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ اى بيت الكعبة ولمّا كان الظّاهر عنوان الباطن فايواء ابراهيم عليه السلام مكان البيت او تعيينه له كان عنواناً لايوائه الى القلب و تعيين محلّ القلب له لينجذب اليه ويخلص التّوحيد له ولذلك قال تعالى.

﴿أَن لَّا تُشْرِكْ﴾ ان تفسيريّة لكون بوّأنا فى معنى القول و مصدريّة بتقدير اللاّم ﴿بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾ الظّاهر والباطن من الاصنام الظّاهرة والباطنة ومن النّجاسات الظّاهرة ولوث الرّذائل الباطنة.

﴿لِلطَّآئِفِينَ وَ ٱلْقَآئِمِينَ﴾ الدّاعين لله فى القيام وبالقيام عنده او القائمين بامور العباد الكافين لهم ﴿وَ ٱلرُّكَّعِ﴾ الخاضعين لله او المنحنين لمرمّة معاشهم والمكبّين على وجوههم غير مرتفعين رؤسهم، او المفتقرين المحتاجين بحسب الدّنيا او الآخرة

﴿ٱلسُّجُودِ﴾ المتواضعين غاية التّواضع او المبتلين بمرمّة معاشهم بحيث لايمكنهم الخلاص منها فى الكبير او الصّغير.

﴿وَأَذِّن﴾ بالغ فى الاعلام ﴿فِى ٱلنَّاسِ﴾ لم يقل اذّن النّاس للاشعار بانّ اعلامه لم يكن للجميع بل لمن شاء الله ان يسمعه نداء ابراهيم .

فانّه روى انّ ابراهيم عليه السلام صعد اباقبيسٍ: يا ايّها النّاس حجّوا بيت ربّكم فأسمعه الله من فى اصلاب الرّجال وارحام النّساء فيما بين المشرق والمغرب ممّن سبق فى علمه ان يحجّ وليس المراد من كان فى زمانه فى اصلاب الرّجال وارحام النّساء بل من كان يقع فى اصلاب الرّجال وارحام النّساء الى يوم القيامة.

و ذلك انّ ابراهيم عليه السلام نادى بلسانه الملكوتىّ وندائه الملكوتىّ وسمع من سمع باذنه الملكوتىّ وكلّ النّاس كانوا قبل هذا العالم فى العوالم العالية من العوالم الملكوتيّة والجبروتيّة من النّفوس العقول، فمن سمع فى تلك العوالم بتلك الآذان اجاب، ومن لم يسمع وكان اصمّ من ذلك النّداء فى تلك العوالم لم يجب ولم يحجّ فى هذا العالم.

و على هذا جاز تفسير اصلاب الرّجال وأرحام النّساء بالعوالم العالية من العقول والنّفوس و ان يكون وجودهم فى الاصلاب والارحام كناية عن وجودهم الاجمالىّ فى العقول والنّفوس من دون تفصيلٍ وتمييزٍ.

و روى انّه لمّاامر ابراهيم واسماعيل ببناء البيت وتمّ بناؤه قعد ابراهيم عليه السلام على ركن ثمّ نادى: هلمّ الحجّ فلو نادى هلمّوا الى الحجّ لم يحجّ الاّ من كان يومئذٍ انسيّاً مخلوقاً ولكن نادى هلمّ هلمّ

الحجّ الحجّ فلبىّ النّاس فى اصلاب الرّجال لبيّك داعى الله لبيّك داعى الله.

فمن لبىّ عشراً حجّ عشراً، ومن لبىّ خمساً حجّ خمساً، ومن لبىّ اكثر فبعدد ذلك، ومن لبىّ واحدةً حجّ واحدةً، ومن لم يلبّ لم يحجّ.

وفى خبرٍ فأسمع من فى اصلاب الرّجال وارحام النّساء الى ان تقوم السّاعة.

و ورد فى الخبر انّ الخطاب فى قوله تعالى: اذّن فى النّاس لمحمّدٍ ﷺ.

فعن الصّادق عليه السلام انّ رسول الله اقام بالمدينة عشر سنين لم يحجّ ثمّ انزل الله تعالى واذّن فى النّاس بالحجّ (الآية) فأمر المؤذّنين ان يؤذّنوا بأعلى اصواتهم بانّ رسول الله ﷺ يحجّ فى عامه هذا، فعلم به من حضر بالمدينة واهل العوالى والاعراب واجتمعوا لحجّ رسول الله وانّما كانوا تابعين ينظرون مايؤمرون به فيتّبعونه او يصنع شيئاً فيصنعونه.

﴿بِالْحَجِّ﴾ اى بقصد البيت للمناسك المخصوصة ﴿يَأْتُوكَ﴾ لم يقل يأتوا البيت للاشارة الى انّ المقصود من تشريع الحجّ زيارة القلب وصاحبه لازيارة البيت واحجاره كما انّ فى قوله واجعل افئدة من النّاس تهوى اليهم اشارة الى ذلك.

و الى هذا اشار الباقرعليه السلام حين رأى النّاس يطوفون حول الكعبة بقوله: هكذاكانوا يطوفون فى الجاهليّة انّما امروا ان يطوفوا ثمّ ينفروا الينا فيعلمونا ولايتنا ومودّتهم ويعرضوا علينا نصرتهم.

﴿رِجَالاً﴾ اى مشاة قرئ بكسر الرّاء وتخفيف الجيم وضمّها وتخفيف الجيم وتشديده وكسكارى.

﴿وَ﴾ محمولين بانفسهم او احمالهم ﴿وَ عَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ لمّاكان ماحول مكّة برار بعيدة خالية من الماء والعشب وكان كلّ فرس او جمل او استر او حمار يأتى الى مكّة يضمر ويلصق بطنه بظهره ادّاه بلفظ الضّامر، ولمّا لم‌يكن الآتون يستوعبون بافرادهم جميع الضّامرات الّتى فى العالم وصفه بقوله ﴿يَأْتِينَ﴾ يعنى يأتين لقصد صاحبيهنّ مكّة ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ﴾ اى طريق وسع وهو فى الاصل الطّريق الواسع بين الجبلين لكن اتّسع واستعمل فى مطلق الطّريق.

﴿عَمِيقٍ﴾ اى بعيد يعنى من كلّ فجّ فى اطراف مكّة لا فى العالم، و هذه التّقييدات خلاف ظاهر الآية ولابدّ منها لتصحيح تنزيلها، فانّ ظاهر الآية هكذا اذّن فى النّاس جميعاً فانّ اللاّم فى مثله ليس الاّ للاستغراق يأتوك باجمعهم رجالاً و ركباناً على كلّ ضامرٍ فى العالم يأتين من كلّ فجٍّ عميقٍ فى العالم.

و الحال انّه ماأتوا او لايأتى جميع النّاس ولاكلّ الضّامرات يأتين و لاكلّ الضّامرات الآتيات يأتين الى مكّةولاكلّ الآتيات الى مكّة مركوباتٍ للحاجّين ولاكلّ المركوبات للحاجّين يأتين من كلّ فجّ عميق فى العالم.

لكنّه لمّااراد التّنبيه على التّأويل اذّى الآية بهذه العبارة فانّها باطلاقها وعمومها فى جمع الفاظها صحيحة بحسب التّأويل؛ لانّه اذا اذّن ابراهيمعليه السلام الّذى فى العالم الصّغير او محمّد صلى الله عليه وآله فيه بلسان الرّسالة او الولاية فى النّاس فى العالم الصّغير بحجّ بيت الله الحرام الّذى هو القلب اسمع الله تعالى نداءه لجميع القوى الانسانيّة الموجودة والمكمونة المجرّدة عن الاختلاط بالقوى الحيوانيّة والمختلطة بها البعيدة من حرم الصّدر المنشرح بالاسلام المحتاجة فى سيرها الى مكّة القلب الى ركوب القوى الحيوانيّة.

و هيّج الله بعد الاسماع جميع الوقى الانسانيّة الّتى هى أفراد الانسان فى العالم الصّغير **وأتوا** الى القلب وصاحبه وكان الحاضرون حول حرم الصّدر وبيت القلب مشاة فى مجيئهم لعدم اختلاطهم بالقوى الحيوانيّة وعدم احتياجهم الى ركوبها، و كان المتباعدون عن الحرم و البيت راكبين و مختلطين بالقوى الحيوانيّة و لذلک كان الحجّ ماشياً لاهل الحرم افضل ويتدرّج الى الفعليّة القوى المكمونة الغير الخارجة من القوّة الى الفعل.

وبعد الخروج من القوّة الى الفعليّة تأتى الى بيت الله وتطوف حول القلب مشاةً وركباناً ﴿لِّيَشْهَدُوا۟﴾ اى ليحضروا ﴿مَنَـٰفِعَ لَهُمْ﴾ دينيّة و دنيوية فانّ الآتى الى مكّة يعمّه الرّحمة الآلهيّة الّتى تنزل من الحقّ على الحاجّين والمغفرة و البركات النّازلة ايّام الحجّ وبواسطتها يحصل له البركات الدّنيويّة وينتفع بلحوم الاضاحى، وتنكير المنافع للاشعار بانّ المراد المنافع الحاصلة فى ايّام الحجّ.

﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ﴾ قيل هى العشر الاوّل من ذى‌الحجّة وهى الايّام المعيّنة لمناسك الحجّ، وقيل: هى ايّام التّشريق يوم النّحر وثلاثة بعده .

و قيل: انّ المراد بالذّكر ههنا التّسمية على الاضحيّة، وقيل: المراد بالذّكر الذّبح لانّ

صحّة الذّبح بالذّكر فسمّى به، والحقّ انّ المراد مطلق ذكر الله سواء كان بالتّلبية فى الاحرام او بالتّضرّع والدّعاء فى ايّام الحجّ، او بتذكّر القيام عندالله فى القيامة بـواسـطة مشـاهدة حـال الاحرام الّذى هو تذكير للقيام عندالله فى المحشر، او بالذّكر عند الذّبح، او بالتّكبيرات عقيب الصّلوات الخمس عشرة اوّلها صلوة الظّهر من يوم النّحر، والايّام المعلومات هى ايّام الحجّ من اوّل الاحرام بالحجّ الى آخر ايّام التّشريق لانّ من احرم بالحجّ علم انّه لايفرغ من مناسكه الاّ بعد ايّام التّشريق فى النّفر الاوّل او فى النّفر الثّانى.

﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ و قدمضى فى اوّل سورة المائدة بيان لبهيمة الانعام، وتقييد الذّكر بقوله **على ما رزقهم من بهيمة الانعام** يشعر اشعاراً ماباًنّ المراد الذّكر على الذّبح.

﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾ اباحة او نـدب للاكـل وليس الامـر للـوجوب ﴿وَأَطْـعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ﴾ المراد منه هو الواقع فى الشّدّة لفقره ولذلك اضاف اليه ﴿ٱلْفَقِيرَ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ﴾ التّفث الشّعث والاغبرار وقضاؤه ازالته بالغسل والحلق وقلم الاظفار والطّيّب.

او المراد بالتّفث مناسك الحجّ او الاحلال من الاحرام، او مايلزم الانسان فى الاحرام من تبعة قول او فعل، وقضاؤه تداركه بما يكفّره، او المراد بالتّفث التّعلّقات النّفسانيّة الباقية على الانسان فى الاحرام وقضاؤه بلقاء الامام عليه السلام.

فانّ من لقى امامه بملكه او ملكوته ينسلخ من تعلّقاته، وفى الاخبار اشارة ماالى كلٍّ ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ الّتى نذروها فى ايّام الحجّ او قبل الحجّ او قبل الحجّ للحجّ، او قبل الحجّ مطلقاً، او المراد بالنّذر الكفّارات الّتى تلزم مرتكبى المنهيّات فى ايّام الحجّ او المـراد مطلق الكفّارات، او المراد المناسك فانّها كالنّذور تلزم الانسان بعد الشّروع بوجهٍ.

﴿وَلْيَطَّوَّفُواْ﴾ اى ليبالغوا فى طواف البيت او ليكثروا الطّواف بالبيت بعد ماتطهّروا بحسب الظّاهر من الشّعث اللاّزم للاحرام وحلقوا وازالوا الوسخ الظّاهر والوسخ الباطن من الكفّارات والتّعلّقات بلقاء الامام بملكه وبلقائه بملكوته فانّ لقاء الامام بملكوته وهو المعرفة بالنّورانيّة باب الوصول الى القلب الّذى هو بيت الله فليطّوّفوا ﴿بِالْبَيْتِ﴾ الظّاهر والباطن ولا يدخلوا الاّ بعد الطّواف به الطّواف الواجب ﴿ٱلْعَتِيقِ﴾ القديم فانّه اوّل بيتٍ وضع للنّاس بظاهره كما فى الاخبار انّه نزل من الجنّة لآدمعليه السلام، وبباطنه فانّ القلب الصّنوبرىّ فى ملك البدن العنصرىّ اوّل بيتٍ وضع للنّاس فى العالم الصّغير.

والقلب الرّوحانىّ كذلك، او العتيق من الغرق والعتيق من الكثرات وتعلّقاتها، او العتيق من تسلّط الجبابرة عليه فى الّصغير والكبير.

﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر مبتدءٍ محذوفٍ او مبتدء خبرٍ محذوفٍ اى الامر ذلك او ذلك كذلك او مفعول فعلٍ محذوفٍ اى خذ ذلك.

﴿وَمَن يُعَظِّمْ﴾ عطف او حال ﴿حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ جمع الحرمة او الحرم بالضّمّ والسّكون او الحرم بالضّمّتين الّذى هو جمع الحرام، او الحرم بكسر الحاء او الحرمات جمع الحرمة بضمّتين.

او الحرمة كالهمزة، وحرمات الله مايحرم انتهاكه من امرٍ ونهيٍ ومكانٍ وزمانٍ وغيرها كالحرمين والاشهر الحرم والايّام المتبركة والشّرائع الالهيّة والكتب السّماويّة والاخبار النّبويّة والولويّة والبيعة النّبويّة والولويّة، والمشاهة المشرّفة والمؤمن ونفس الايمان وخلفاء الله من الانبياء واوصيائهمعليهم السلام.

و ماورد وقیل من اختصاصها ههنا بمناسك الحجّ او البیت الحرام والبلد الحرام والشّهر الحرام بقرینة ذکرها فی ذیل آیة الحجّ انّما هو بیان للمنظور وتخصیص له والاّ فمفهومها عامّ وبعمومه ورد، لکنّ المقصود المنظور فی ذلك المقام هو هذه المذکورات.

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ ای فالتّعظیم خیرٌ له من ترك التعظیم لامن هتك الحرمة فانّه شرّ له او الخیر منسلخ عن معنی التّفضیل ﴿عِندَ رَبِّهِۦ﴾ لانّ تعظیم الحرمات قلّما ینفكّ فی الدّنیا عن تلف الاموال او تعب الانفس ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمُ﴾ ای الازواج الثّمانیة.

﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ ای تحریمه من المیتة وماأهلّ لغیرالله به والمنخنقة (الی آخر الآیة) ومن البحیرة والسّائبة (الی آخر الآیة).

﴿فَاجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ﴾ الرّجس بکسر الرّاء وسکون الجیم وبالتّحریك وبفتح الرّاء وکسر الجیم القذر والمأثم وکلّ مااستقذر من العمل، والعمل المؤدّی الی العذاب واشّك والعقاب والغضب ویصحّ التّفسیر بکلّ، ویکون معنی من فی قوله تعالی.

﴿مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ فی کلّ مناسباً له، وفسّر **الرّجس من الاوثان** فی الخبر الشّطرنج.

﴿وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ تکرار الامر بالاجتناب للاشعار بانّ کلاًّ مأمور باجتنابه علی حیاله، والزّور بالضّمّ الکذب والشّرك بالله ومجلس الغناء نفس الغناء ومایعبد من دون الله .

و قد فسّر الآیة بشهادة الزّور وبمطلق القول الکذب وبماکان المشرکون یقولونه فی تلبیتهم من قولهم لبّیك لاشریك لك الاّ شریکاً هو لك تملکه وماملك وبالغناء وسائر الاقوال

الملهية، وفى الاخبار تصريح ببعضها والحقّ انّه لااختصاص للوثن بالصّنم المصنوع بل كلّما ينظر اليه ويتعلّق القلب به فهو وثن للنّفس بل كلّ هوىً واقتضاءٍ من النّفس وكلّ رأيٍ وانانيّةٍ منها صنمها.

و لااختصاص للقول المسبّب او السّبب للزّور والانحراف عن الحقّ بالغناء وشهادة الزّور بل افعال القوى لنّباتيّة والحيوانيّة والانسانيّة و آثار الاعضاء البدنيّة وادراك المدارك الظّاهرة والباطنة والاحوال و الاخلاق النّفسانيّة والخطرات القلبيّة وتصرّفات الواهمة كـلّها اقوال القوى.

فاذا كان هذه على سبيل الاستقامة الانسانيّة يعنى كانت متّصلة بـطريق الولايـة او منتهية اليهاكانت اقوال الصّدق، واذا لم تكن على ذلك كانت اقوال الزّور كائنة ما كانت.

وعلى هذا كان المعنى فاجتنبوا الرّجس الّذى هو انانيّة النّـفس الّـتى هـى صـنمها الحقيقىّ وكلّما يتبعها من الاهوية الكاسدة والمعبودات الباطلة والمنظورات الفانية .

و اجتنبوا كلّ قولٍ او فعلٍ او خاطرٍ او خيالٍ او تخيّلٍ يكون سبب الانحراف عن الحقّ او مسبّباً عن الانحراف، ولمّا كان الاجتناب قيداً وريناً للنّفس وحاصلاً لها من انانيّةٍ ما،ومورثاً لانانيّةٍ اخرى اذاكان بالتفاتٍ من النّفس وهوىً منها والمطلوب التّجرّد مـن الانـانيّة مـطلقةً والتّطهّر من الهوى ولو كان هوى التّقرّب الى الله قال تعالى.

﴿حُنَفَآءَ﴾ اى خالصين من الانانيّة والهوى ولو كان هوى الخلاص من الهوى ﴿لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ى﴾ تأكيد لحنفاء ﴿وَ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ باىّ نحو من الاشراك حتّى الاشراك بهوى الاجتناب من الهوى.

﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ تشبيه للمعقول بالمحسوس لانّ الانسان من سماء الاطلاق وبالاشراك والتّقيّد ينزّل عن سماء الاطلاق الى ارض التّقيّد.

﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ اى طير الاهوية والآمال ﴿أَوْ تَهْوِى﴾ عطف على **خرّ** او على **تخطفه** وهو الاوفق ﴿بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ اى ريح الشّهوات والغضبات والجهالات الشّيطانيّة ﴿فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ اى بعيد شبّه المشرك فى حالاته بمن سقط من السّماء.

فانّ اللّطيفة السّيّارة الانسانيّة بالاشراك والانانيّة تسقط من سماء الاطلاق الى ارض التّحدّد وبعد سقوطه الى مقام التّعيّن والانانيّة امّا يتصرّف فيها الآمال والبخل والحسد وامثالها الّتى هى تتولّد فى الانسان من تركّب الشّهوة والغضب والشّيطنة، او تتصرّف فيها الشّهوة.

او الغضب، او الشّيطنة الّتى هى كالبسائط فشبّه المتصرّف فيه الآمال والحسد وامثالها الّتى هى كالمواليد بمن تخطفه الطّير والمتصرّف فيه الشّهوة وامثالها الّتى هى كالعناصر فى البساطة بمن تهوى به الرّيح فلفظة او للتّنويع لاللتّخيير فى التّشبيه.

﴿ذَٰلِكَ﴾ مضى هذه الكلمة قبيل هذا ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ نظير **من يعظّم حرمات الله** وتأكيد له وقدمضى فى سورة البقرة بيان للشّعائر و هى كالحرمات مطلق ماله تعلّق بالدّين وله حرمة و قدفسّرت مثل الحرمات ههنا بملاحظة المقام بمناسك الحجّ وبالهدى مخصوصاً والحقّ انّه على عمومه ورد لكنّ النّظر الى المناسك او الى الهدى بقرينة المقام.

﴿فَإِنَّهَا﴾ اى الشّعائر ﴿مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ من قبيل اقامة السّبب مقام الجزاء

فانّ التّقدير من يعظّم صار من المتّقين لانّها من تقوى القلوب، وكون الشّعائر من تقوى القلوب مع انّ اكثرها من الكثرات الشّاغلة للقلوب عن الله باعتبار انّ للقلب وجهين وجهاً الى الكثرات ووجهاً الى الوحدة وبهذين الوجهين يصحّ منه السّلوك ويقع منه الجذب.

و بسلوكه المشاراليه بقوله تعالى:فاتّبعونى يحببكم الله يكون التّقوى منه بحفظ الكثرات واعطاء الحقوق لاهلها، واعطاء الحقوق لاهلها ليس الاّ بالتزام اوامره تعالى ونواهيه فى الكثرات وبجذبه المشاراليه بقوله تعالى:ان كنتم تحبّون الله يكون التّقوى منه بطرح الكثرات وترك الالتفات الى ماسوى الله فيكون تعظيم الشّعائر الّتى هى اوامر الله ونواهيه القالبيّة والقلبيّة وانبياؤه واولياؤه عليهم السلام بقوالبهم الملكيّة و الملكوتيّة كلّها من تقوى القلوب لا الاشتغال بالحضور فقط وطرح ماسوى الحضور.

﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ اى فى الشّعائر يعنى البدن الّتى تهدى الى مكّة ﴿مَنَـٰفِعُ﴾ من ظهورها واوبارها والبانها ونتائجها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ الى ان يجعل هدياً.

فانّ المنافع تنقطع بعد ذلك كما قيل: او الى وقت النّحر، او لكم فى مناسك الحجّ منافع فى الدّنيا بكثرة البركات وفى الآخرة بكثرة الاجور، او لكم فى مطلق العبادات منافع دنيويّة بحفظ الدّماء والاموال والاعراض وصحّة التّوراث والتّناكح.

و فى الآخرة بالاجور وحينئذٍ يكون قوله الى اجل مسمّى قيداً لتحصيل الانتفاع لالنفس المنافع.

﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ﴾ اى محلّ البدن او مناسك الحجّ ﴿إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ يعنى مكّة وماحولها فانّ البيت ههنا اعمّ من الحرم او محلّ العبادات وانتهاء حلولها ونزولها الى

البيت العتيق المعتق القديم الّذى هو البيت المعمور.

﴿وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ يعنى لابدع فى الأضحيّة كما يقوله العجم و تنكر اذى الحيوان ولا فى مناسك الحجّ كمايقول من لاخبرة له: انّ هذه الافعال ليست من افعال العقلاء، ولا فى مطلق العبادات كمايقوله المتصوّفة الاباحيّة لانّا جعلنا لكلّ امّةٍ منسكاً خاصّاً من القرابين والاضحيّات ومن المناسك المخصوصة فى ايّامٍ مخصوصةٍ او من العبادات والاوامر النّواهى القالبيّة و القلبيّة و الريّاضات البدنيّة و النّفسيّة.

﴿لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ قدمرّ بيان لبهيمة الانعام فى اوّل سورة المائدة، والتّعليل به للاشعار بانّ المقصود من جميع العبادات وجميع الانتفاعات والالتذاذات هو تذكّر المعبود لاغير.

﴿فَإِلَـٰهُكُمْ﴾ يعنى ان كان متعبّداتكم متخالفاتٍ فلاينبغى لكم التّخالف والتّباغض بسبب انّ الهكم ﴿إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ وهذا يقتضى الاتّفاق لا الاختلاف.

﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ﴾ اى انقادوا او اجعلوا انفسكم ذوات سلامة من الآفات او القيود الّتى تورثكم اللّجاج والعناد.

﴿وَ بَشِّرِ﴾ خطاب لمحمّد ﷺ او لكلّ من يتأتّى منه الخطاب فيكون فى معنى وبشّروا عطفاً على اسلموا اى اسلموا له وبشّروا.

﴿ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ من الخبت بمعنى المكان المتّسع او من الخبيت بمعنى الحقير ولعلّ التّوصيف بالاوصف الآتية كان باعتبار المعنيين وفسّر بالخاشعين باعتبار تحقير النّفس

وبـــــالمطمئنّ الى الله

باعتبار معنى الاتّساع.

وقوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾ عندهم ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ناظر الى معنى الحقارة.

و قوله ﴿وَ ٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾ ناظر الى معنى الاتّساع فانّ اتّساع القلب يورث تحمّل البلايا من غير جزع ﴿وَ ٱلْـمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ لمّا كان الصّبر هو البقاء على الحال الاولى من دون حدوث شيءٍ وتجدّد، واقامة الصّلوة عبارة عن دوام التّوجّه الى الحقّ الاوّل تعالى شأنه كان المناسب فيهما الاتيان باسم الفاعل.

ولمّا كان المطلوب من الانفاق تجدّده على سبيل الاستمراراتى به مضارعاً دالّاً على التّجدّد الاستمراريّ ﴿وَ ٱلْبُدْنَ﴾ البدن بالضّمّ والسّكون والبدن بالتّحريك و البدن ككتب جمع البدنة كالخشبة و هى سمينة من النّوق الّتى تهدى الى مكّة او من النّوق و البقر.

﴿جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ من جملة علائم دينه او مناسک بيته ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ مثل لكم فيها منافع.

﴿فاذ كُرُ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾ اى قياماً للنّحر مقيّدة على سنّة محمّد ﷺ وهى ان تعقل احدى يديها وتقوم على ثلاثٍ اوان تربط يداها مابين الرّسغ الى الرّكبة.

﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ سقطت على الارض كناية عن خروج الرّوح منها ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ ولو بقدرا كلة وليس الامر للوجوب فهو اما للاستحباب او الاباحة فانّ القوم

فی الجاهليّة كانوا يحرّمون الاكل منها، وقيل الامر للوجوب.

﴿وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ﴾ الّذی يقنع بما اعطى وبما فی يده ولا يسأل ﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ ای المعترى الّذی يتعرّض للمعروف ولا يسأل ﴿كَذَٰلِكَ﴾ التّسخير للذّبح والاكل.

﴿سَخَّرْنَـٰهَا لَكُمْ﴾ فی سائر منافعكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمة تسخيرها او لتذكّروا انعامنا عليكم فتشكرونا على جميع نعمنا ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ﴾ جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ فانّه تعالى لمّاقال: ومن يعظّم شعائرالله فانّها من تقوى القلوب وكان المنظور من شعائر الله ههنا الاضحيّات وكان الاضحيّة مايهراق دمه ويؤكل لحمه ووصفها الله تعالى بالاقتران بتقوى القلوب صار المقام مقام ان يسأل هل يصل الى الله لحومها ودماؤها؟

فقال جواباً له: لن ينال الله ﴿لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ وقيل: كانوا فی الجاهليّة اذا ذبحوا استقبلوا الكعبة بالدّماء فلطّخوا حول البيت بها قربة الى الله.

﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ كرّر هذه الكلمة تأكيداً و مقدّمة لغاية اخرى هی قوله ﴿لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ الى تسخيرها، او الى مناسك بيته، او الى معالم دينه، او الى ذبح القوى البهيميّة من النّفس، او الى ولیّ امركم ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ عطف على مقدّر او باعتبار المعنى كأنّه قيل: فكبّر الله وبشّر المحسنين فی اعمالهم، او العاملين كأنّهم يرون الله او المحسنين الى خلق الله، او الّذين شيمتهم الاحسان، او المؤمنين بالايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الولويّة فانّ اصل الاحسان هو الولاية الّتی هی البيعة الخاصّة الولويّة الّتی يعبّر عنها بالايمان.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ جواب لسؤالٍ مقدّرٍ واقع موقع التّعليل للتّبشير والتّنزيل انّه يدافع الكفّار الّذين يقاتلونهم والمقصود التّعميم لدفعه تعالى الكفّار والبلايا ومكر الماكرين واذى الموذين وجنود الجهل من الجنّة والشّياطين عن المؤمنين.

و فى لفظ **يدافع** اشعار بانّ الكفّار والبلايا والموذين و جنودالشّياطين يتهجمّون على المؤمنين ولكنّ الله يدافعهم عنهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ يعنى يبغضهم، هذا ايضاً فى مقام التّعليل كأنّه قال: انّ الله يحبّ المؤمنين و يبغض الكافرين والماكرين وجنود الشّياطين لكنّه اتى بلفظ الخوّان الكفور اشعاراً بانّ من يهجم على المؤمنين فهو خوّان كفور كائناً من كان .

﴿أُذِنَ﴾ جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: اذا كان الله يدافع عن المؤمنين فلاينبغى للمؤمنين ان يقاتلوا.

فقال تعالى: اذن ﴿لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ من المؤمنين، قرئ اذن مبنيّاً للمفعول و مبنيّاً للفاعل وعلى كلٍّ من القراءتين قرئ **يقاتلون** مبنيّاً للمفعول و مبنيّاً للفاعل.

﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾ ذكر فى نزول الآية انّه كان المشركون يؤذون المسلمين لايزال يجيء مشجوج ومضروب الى رسول الله ﷺ ويشكون ذلك الى رسول الله ﷺ فيقول لهم: اصبروا فانّى لم اؤمر بالقتال حتّى هاجر فأنزل الله عليه هذه الآية وهى اوّل آية نزلت فى القتال.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ جملة حاليّة او معطوفة على الفعليّة او على انّ الله لايحبّ كلّ خوانٍ كفور.

﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ﴾ بدل او صفة للّذين يقاتلون او للّذين آمنوا، او

مبتدء خبره الّذين ان مكنّاهم او خبر مبتدءٍ محذوفٍ او مبتدء خبرٍ محذوفٍ، او مفعول فعلٍ محذوفٍ.

﴿مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ من قبيل استثناء المديحة من الذّمائم المنفيّة للمبالغة فى المدح والمراد **بمن اخرجوا** فى الكبير المؤمنون حيث أخرجوا الى الحبشة اوّلاً ثمّ الى المدينة ثانياً.

وتجرى الآية فى الائمّة كالحسين(ع) واصحابه كما فى الاخبار وفى المؤمنين بشرائط الجهاد والدّفاع المقرر فى الكتب الفقهيّه **ولو لا دفع الله النّاس بعضهم ببعض** قرىء دفع‌الله من الثّلاثى المجرّد و دفاع الله من المفاعلة والجملة حاليّة او معطوفة وفيها معنى التّعليل لقومه **اذن للّذين يقاتلون** وقدسبق فى آخر سورة البقرة بيان وجوه هذه الآية عند قوله تعالى:﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ﴾ معابد النّصارى لرهبانهم قدّمها على سائر المعابد فى الذّكر لكونها حقّة الى زمان الرّسول(ص) ولشيوعها فى ذلك الزّمان ولاختصاصها بمن لم‌يكن له شغل سوى العبادة.

﴿وَبِيَعٌ﴾ معابدهم المشتركة ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ معابد اليهود اصلها ثلوتا بالعبريّة فعرّب وجعل صلوة وجمع على الصّلوات.

و قيل: الصّوامع معابد النّصارى فى الجبال والبرارى، والبيع معابدهم فى القرى، والصّلوات معابد اليهود لكونها يصلّى فيها.

وقيل: الصّوامع معابد النّصارى، والبيع معابد اليهود، والصّلوات ايضاً معابد اليهود.

وقيل: المراد بالصّلوات صلوات شريعة محمّدٍ(ص) من الصّلوات الخمس وغيرها.

﴿وَ مَسَـٰجِدُ﴾ يعنى لولا دفع الله بالوجوه السّابقة فى سورة البقرة لفسدت الارض وهدّم ماكان يعبد فيه فى زمان كلّ نبىٍّ ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ وصف للمجموع او للمساجد خاصّة كأنّ غيرها لايذكر فيها اسمه تعالى لاجل كون الشّرائع السّالفة منسوخة.

﴿وَ لَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ﴾ عطف على قوله تعالى: لولا دفع الله النّاس فانّه فى معنى وليد فعن الله. ونصرة العبادلله لايكون الاّ بنصرة خلفائه فى العالم الكبير بطاعتهم والاقتداء بهم وتعظيمهم وتعظيم شرائعهم والاّ بنصرة خلفائه تعالى فى العالم الصّغير من الملك الزّاجر والعقل النّاهى والآمر واللّطيفة الانسانيّة الّتى هى خليفة الله فىالارض حقيقةً.

ولمّاكان افعال العباد واوصافهم فعل الله الظّاهر فى مظاهر العباد كان نصرة العباد لله هى بعينها نصرة الله للعباد وجالبة لنصرة اخرى من الله كما انّ خذلان العباد للطّيفة الانسانيّة بعنيه خذلان من الله للعباد وجالب لخذلانٍ آخر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ فى مقام التّعليل لنصرة يعنى انّه قادر غيرضعيف عنالنّصر ﴿عَزِيزٌ﴾ غالب لامانع له من نفاذ امره ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ صفة او بدل من الذين آمنوا او من الّذين يقاتلون، او من الّذين اخرجوا، او ممّن ينصره، او خبر للّذين اخرجوا، او خبر مبتدءٍ محذوفٍ، او مبتدءٍ خبرٍ محذوفٍ، او مفعول فعلٍ محذوفٍ والمراد بالتّمكين فى الارض الاقدار على التّصرّف فيها باىّ نحو شاؤوا.

﴿أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَ ءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ قدمضى فىاوّل البقرة تحقيق تامّللصّلوة واقامتهاوللزّكوة وايتائها﴿وَ أَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ قدأسلفنا فى

سورة البقرة عن قوله تعالى اتأمرون النّاس بالبرّ بياناً وافياً للامر بالمعروف والنّهى عن المنكر.

ولمّا كان معاملة العبد الكامل بينه وبين الله مقصوراً على الصّلوة و.الزّكوة كما اسلفنا هناك، ومعاملته بينه وبين العباد محصوراً على الامر بالمعروف والنّهى عن المنكر اذا عـمّم الامر والنّهى للقولىّ والفعلىّ بالصّراحـة او الالتـزام حـتّى يشـملا الاحسـانات والتّـحيّات والنّصيحات اتى فى مديحتهم بهاتين الصّفتين ولم‌يتجاوز عن الصّنفين.

﴿وَ لِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ جملة حاليّة ومديحة اخرى، ولام الامور عوض عن المضاف‌اليه والمعنى اقاموا الصّلوة فى حال كون امورهم المذكورة او مطلق امورهم لله ليس فيها شوب قصد للنّفس غير الله، او هى عطف او حال، ووعد للمحسن ووعيد للمسيء، من غير نظرٍ الى المؤمنين و غيرهم.

﴿وَ إِن يُكَذِّبُوكَ﴾ عطف على مقدّرٍ تقديره فان يصدّقوك فـهو المـطلوب وان يكذّبوك فلاتحزن فانّ التّكذيب شيمة الانسان مالم‌يخرج من انانيّته.

﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ عَادٌ وَ ثَمُودُ وَ قَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَ قَوْمُ لُوطٍ وَ أَصْحَـٰبُ مَدْيَنَ وَ كُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِـلْكَـٰفِرِينَ﴾ امـهلتهم واطلت عمرهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ اى انكارى عليهم مافعلوا وتبديلى نعمتهم بالنّقمة، اوكيف كان نقلى ايّامهم من حالٍ تسرّهم الى حالٍ تسوءهم.

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَ هِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَـاوِيَةٌ﴾ خـالية مشتملة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ اى سقوفها او قـصورها او اسـرّتها، او سـاقطة خـربة عـلى

عروشها يعنى خربة جدرانهاعلى سقوفها، او ابنيتها الدّانية على قصورها العالية، او ساقطة على سرر سلاطينها.

﴿وَ بِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ عطف على قريةٍ اى كأيّن من بئرٍ معطّلة اهلكنا اهلها ﴿وَ قَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ اهلكناها وقدفسّر **البئر المعطّلة** بالعالم الّذى لايرجع اليه، و**القصر المشيد** بالعالم الّذى يرجع اليه او الجاهل الّذى يتشبّه بأهل العلم فيرجع اليه.

وفسّر بالامام الصّامت والامام النّاطق، وبالامام الغائب والامام الظّاهر، وبفاطمةعليها السلام و ولدهالمعطّلين عن ملكهم و حقّهم، و بأميرالمؤمنينعليه السلام وأولاده عليهم السلام المنتشرة فى الخلق فضائلهم، وبعلم آل محمّدٍ صلى الله عليه وآله الّذى كان معطّلاً لايجدون له اهلاً، وبمجدهم وسائر صفاتهم المشهورة الكلّ احدٍ، وبولاية علىٍّعليه السلام ونبوّة محمّدٍ صلى الله عليه وآله، وبحقيقة الدّين الّتى كانت معطّلة فى كلّ شريعة، وبالملّة الّتى كانت مرتفعةً فى زمان كلّ نبىٍّ وبعده.

﴿أَ﴾ يتثبّطون عن المشي بالارجل او عن السّير بالانظار ﴿فَلَمْ يَسِيرُواْ﴾ بأرجلهم او بأنظارهم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ اى ارض العالم الكبير، او الصّغير او ارض القرآن والاخبار، او ارض السّيرواحوال الماضين فينظروا الى احوال الماضين محسنيهم ومسيئيهم فيكون ذلك النّظر مورثاً لتفكّرهم وحصول العقول لهم.

﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ يعنى فيحصل لهم مقام التّحقيق او مقام التّقليد والانقياد فان كلاًّ منهما كمال تامّ للانسان.

﴿فَإِنَّهَا﴾ الضّمير للقصّة او بمبهم يفسّره الابصار ﴿لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ الّتى فى الرّؤس بترك السّير والنّظر.

﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ او لاتعمى الابصار ان عميت لانّ لها كوّة الى الدّنيا وكوّة الى الآخرة، واذا عميت عميت منها الكوّة الّتى الى الدّنيا وليس المقصود ابصارها بل المقصود ابصار الكوّة الّتى الى الآخرة ولكن تعمى القلوب ان عميت يعنى تعمى الكوّة الّتى الى الآخرة ان عميت القلوب.

فى خبرٍ عن السّجادّعليه السلام: ان للعبد اربع اعينٍ عينان يبصر بهما دينه ودنياه، وعينان يبصر بهما امر آخرته؛ فاذا أراد الله بعبدٍ خيراً فتح له العينين اللّتين فى قلبه فأبصر بهما الغيب وامر آخرته، واذا أراد الله به غير ذلك ترك القلب بما فيه.

و عن الصّادقعليه السلام: انّما شيعتنا اصحاب الاربعة الاعين؛ عينان فى الرّأس وعينان فى القلب، الا وانّ الخلائق كلّهم كذلك الاّ انّ الله عزّ وجلّ فتح ابصاركم واعمى أبصارهم.

وعن الباقرعليه السلام: انّما العمى عمى القلب ثمّ تلا الآية.

(وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ) المتوعدّ به وذلك انّ رسول‌الله صلى الله عليه وآله اخبرهم انّ العذاب أتاهم فقالوا: فاين العذاب؟

والجملة عطف على لم‌يسيروا ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ تقرير لتأنّيه وامها له وبيانٌ لسبب تأنّيه او تهديد عن طول العذاب وطول ايّامه وقدمضى فى بنى‌اسرائيل وسيجيء فى سورة السّجدة تحقيق لسعة الايّام الرّبوبيّة.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ امهلت اهلها كما امهلت قومك ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ مثل قومك ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ فى الدّنيا قبل الاحتضار بأنواع المؤاخذة وحين الاحتضار بحضور ملائكة العذاب وملك الموت.

﴿وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ فاعذبّها فى الآخرة بأنواع العذاب الموعودة فى الآخرة ﴿قُلْ﴾ بعد تسليته ﷺ بانّ له فى تكذيب قومه اسوةً بالانبياء وانّ المكذّبين مؤاخذون وانّ المستعجلين بالعذاب يمهلون لكن يؤاخذون فى الدّنيا والآخرة امره ﷺ ان يعلن دعوته وان ينادى قومه ولايكترث بتكذيبهم فقال قل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهر الحجّة والصّدق او مظهر لصدقى وانذارى ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالايمان العامّ والبيعة العامّة النّبويّة وهو عطف من الرّسول ﷺ او من الله على قول الرّسول وهذا هو الظّاهر من قوله **والّذين سعوا فى آياتنا.**

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الّتى اخذوها منّى بعد البيعة ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ الكريم من كلّ شيءٍ مايجمع فضائله ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ بالرّدّ والابطال والمنع والجحود ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ من عاجز عدّوه اذا تسابقا فى الدّفع والتّعجيز.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ عطف على **يستعجونك بالعذاب** وتسليةٌ اخرى له ﷺ ﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ فى قراءة اهل البيت عليهم السلام ولامحدّثٍ وقدسبق تحقيق وتفصيل لمراتب الانسان والفرق بين المحدّث والنّبىّ فى سورة البقرة عند قوله **واثمهما اكبر من نفعهما** ولقد بيّنا هناك الاخبار الواردة

فى الفرق بين الرّسول والنّبىّ والمحدّث والامام بانّ الرّسول يسمع الصّوت ويرى فى المنام ويعاين الملك ولايرى و لايعاين.

﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ شيئاً من مشتهيات القوى الحيوانيّة اوالانسانيّة من جهة الدّنيا او من جهة الآخرة ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ شيئاً خلاف متمنّاه اذا حصل او قرب حصوله.

والآية تسلية للرّسول ﷺ ممّا فعله منافقوا امّته او يفعلونه بـه وبشـريعته وكـتابه وخليفته وعترته فانّ امنيّته ﷺ ان لايخالف أمره، ولايعصى ربّه، ولايغيّر شريعته وكتابه، وان يتّبع خليفته، ويودّ عترته.

فانّه روى بطريق الخاصّة عن اميرالمؤمنين عليه السلام فى حـديثٍ فيذكر جلّ ذكره لنبيّه ﷺ مايحدثه عدوّه فى كتابه من بعده بـقوله: ومارسلنا من قبلك (الآية) انّه مامن نبىٍّ تمنّى مفارقة مايعاينه من نفاق قومه وعـقوقهم والانـتقال عـنهم الى دار الاقـامة الاّ ألقـى الشّيطان المعرض بعداوته عند فقده فى الكتاب الّذى انـزل عـليه ذمّه والقدح فيه والطّعن عليه فينسخ الله ذلك من قلوب المؤمنين فلا تقبله، ولايصغى اليه غير قلوب المنافقين والجاهلين.

ويحكم الله آياته بان يحمى اوليائه من الضّـلال والعـدوان ومشايعة اهل الكفر والطّغيان الّذين لم‌يرض الله ان يجعلهم كالانعام حتّى قال بل هم اضلّ.

وروى عن ابن عبّاس وغيره بطريق العامّة انّ النبىّ ﷺ لمّاتلا سورة والنّجم وبلغ الى قوله افرأيتم اللاّت والعزّى ومنوة الثّالثة الاخرى ألقى الشّيطان فى تلاوته تلك الغرانيق العلى وانّ شفاعتهنّ لترجى فسّر بذلك المشركون فلمّا انتهى الى السّجدة سجد المسلمون وسجد ايضاً المشركون لمّاسمعوا من ذكر الهتهم ماأعجبهم.

و قيل: انّ تمنّى بمعنى تلا يعنى مامن نبىٍّ الاّ اذا تلا آيات كتابه ألقى الشّيطان فى تلاوته فانّه يستعمل تمنّى الكتاب بمعنى قرأه.

وهذا الخبر المروىّ منهم ان صحّ فهو مؤوّلٌ بما لاينافى مقام النّبىّ، والغرانيق جمع مفرده الغرنيق بضمّ الغين وفتح النّون او كزنبور او كقنديل او كسموئل او كفردوس او كقرطاس والكلّ بمعنى الشّابّ الحسن الابيض ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ اى المبدّلون فى كتابه او شريعته بان ينسخ مااردوا ممّا ألقوا من القلوب او مايلقى الشّيطان او الكفّار فى تلاوته بان ينسخ اثره من القلوب او مايلقى الشّيطان فى متمنّاه حين تمنّى علىّ عليه السلام و فاطمة عليها السلام او مايلقى الشّيطان فى متمنّياته من الجهة الدّنيويّة الحيوانيّة بان ينسخ تلك الجهة من نظره.

﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ بان لاتتغيّر ولاتتبدّل ولانزول عن قلوب المؤمنين ولاعن نظر النّبىّ ﷺ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ يعلم صلاح عباده فى ان يخلّى الشّيطان حتّى يلقى مايريد فى متمنّى النّبىّ ﷺ ليختبر بذلك الخالص والمغشوش فيتميّز المؤمن عن المنافق.

﴿حَكِيمٌ﴾ لايفعل الاّ للغايات متقنةٍ والاّ بالنّظر الى استعدادات مكمونة قدّم

المعطوف قبل تمام المعطوف عليه لئلاّ يتوهّم متوهّم انّ هذا الجعل خالٍ من الحكمة.

﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ يعنى ليس مايلقى الشّيطان خارجاً عن اختيارنا وان كان غير مرضىٍّ لنا وانّما خلّينا بينه وبين ماأراد القاءه لنجعل مايلقى الشّيطان ﴿فِتْنَةً﴾ الفتنة الاختبار والضّلال والاثم والكفر والفضيحة والعذاب والاضلال واذابة الذّهب والفضة والمحند والاختلاف فى الآراء، والكلّ مناسب ههنا فانّ الكلّ يمكن ان يراد.

﴿لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ الّذين لم‌يبق لقلوبهم استعداد الصّحّة.

﴿وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ الجملة حاليّة والمراد بالظّالمين الصّنفان المذكوران، ووضع الظّاهر موضع المضمر اشارة الى وصف ذمٍّ آخر لهم والمعنى ألقى الشّيطان ذلك لنجعل مايلقيه فتنةً والحال انّهم لايرجى لهم الخير لكونهم فى معاداةٍ او خلافٍ بعيدٍ.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ الّذى هو نورٌ يقذفه الله فى قلب من يشاء او العلم الّذى هو تميز دقائق الكثرات واحكامها.

﴿أَنَّهُ﴾ اى الالقاء او الملقى هو ﴿ٱلْحَقُّ﴾ النّازل ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ بصورة الباطل وعلى لسان الشّيطان او يده او الضّمير راجع الى كتاب النّبىّ ﷺ او دينه او استخلافه ويكون التّعريض بالقرآن او دين محمّدٍ ﷺ او استخلافه او خليفته.

﴿فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ﴾ اى يذعنوا به وينقادوا له او يبيعون معه البيعة الخاصّة او العامّة ﴿فَتُخْبِتَ﴾ اى تتّبع وتطمئنّ او تخشع و تتواضع ﴿لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّـهَ لَهَادِ

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ مقابل انّ الظّالمين لفى شقاقٍ بعيدٍ يعنى انّ الله لهادى الّذين اسلموا الى ولاية علىٍّ عليه السلام فانّ الصّراط المستقيم هو الولاية تكويناً وتكليفاً، او انّ الله لهادى الّذين آمنوا بقبول الولاية والبيعة الخاصّة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة ودخول الايمان فى القلب الى صراطٍ مستقيمٍ فى كلّ الامور حتّى فى القرآن ومايلقيه الشّيطان فى مايتمنّاه الرّسول صلى الله عليه وآله ومايلقيه الشّيطان.

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله او بك او بكتابك او بما قلت فى خليفتك او بالولاية فى مرية ﴿مِّنْهُ﴾ الضّمير راجع الى مرجع ضمير انّه الحقّ من ربّك.

﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يعنى ساع الموت وهى ساعة ظهور القائم عليه السلام وقيام القيامة الصّغرى ﴿بَغْتَةً﴾ اى فجاءةً.

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ قيل المراد يوم بدٍ لانّه لم يكن فيه خير للكفّار فكان عقيماً من الخير، او لم يكن مثله للكفّار فى الشّدّة وخلاف الحسبان فكان عقيماً من المثل.

و قيل: المراد به يوم القيامة وسمّى عقيماً من الخير، او لم يكن مثله للكفّار فى الشّدة وخلاف الحسبان فكان عقيماً من المثل، وقيل: المرادبه يوم القيامة وسمّى عقيماً لانّه لاليل له او لانظير له، او لانّه لايلد خيراً للكفّار ولا شرّاً للابرار.

﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم الاحتضار او يوم القيامة وهو المناسب لمابعده فلابدّ ان يفسّر السّاعة او اليوم العقيم بيوم القيامة ﴿لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ تفصيل لحكمه تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ

كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ لمّا كان المقام مقام التّشديد على الكفّار ومن يلقى فى متمنّى المؤمنين اتى فى جانب الكفّار بالفاء فى الخبر واتى باسم الاشارة فيه.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بعد ماآمنوا ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ لاجتماع جهات الخير فيه لانّه مالك لجميع الارزاق ومعطٍ لمايستحقّه المرزوق، وبقدر مايحتاج اليه، ولعلمه بحاجات المرزوق جملةً، ولاعطائه بلاعوضٍ ولاغرضٍ من المرزوق وغيره، ولاعطائه مايحتاج المرتزق فى ارتزاقه كما قيل:

لقمه بخشى آيد از هر كس بكس
حلق بخشى كار يزدانست و بس

حلق بخشد جسم را و روح را
حلق بخشد بهر هر عضوى جدا

كوه طور اندر تجلّى حلق يافت
تاكه مى‌نوشيد و مى را بر نتافت

اين گهى بخشد كه اجلالى شود
از دغا و از دغل خالى شود

ولانّ الرّزق ليس الاّ فى يده ولانّ رزقه فوق مايتصوّر المتصوّرون فى الحسن والالتذاذ به اتى بهذه الجملة معطوفةً او حالاً بعد توصيف الرّزق بالحسن تفخيماً لشأن رزقه وتأكيداً لحسنه ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً﴾ مفعول به او مفعولٌ مطلقٌ والمفعول به محذوف، وقرئ مدخلاً من المجرّد ومن باب الافعال.

﴿يَرْضَوْنَهُۥ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ باحوال المقاتلين لهم وباحوالهم لكنّه ﴿حَلِيمٌ﴾ لايعجل بعقوبة المقاتلين ويرضى من عباده الحلم وعدم تعجيل المكافاة ممّن اساء اليهم او قاتلهم، اتى به ههنا عطفاً او حالاً مقدّمة لمابعده.

﴿ذَٰلِكَ﴾ قدمضى قبيل هذا نظيره ﴿وَمَنْ عَاقَبَ﴾ اى جازى الظّالم ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ اى بمثل ماظلم به سمّاه عقاباً مع انّ العقاب يستعمل فى الجزاء بمشا كله قوله: من عاقب ﴿ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ﴾ اى على من عاقب مكافاة او على من ظلم ابتداءً فانّة وان لميذكر صريحاً لكنّه مذكور بالالتزام.

﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ اى لينصرنّ الله المعاقب او الظّالم ابتداء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ جواب لسؤالٍ مقدّرٍ فى مقام التّعليل يعنى ينصر الله المعاقب المقتصّ الّذى بغى عليه لانّه عفوٌّ لزّلاته اللاّزمة له من اتّباعه الهوى فى الاقتصاص حيث كان المرضىّ منه العفو او ينصر الظّالم بعد الغى عليه لانّه يعفو عن ظلمه بعد ماعوقب بمثل ظلمه.

﴿ذَٰلِكَ﴾ يعنى الاذن فى القصاص والنّصر للمقتصّ ان بغى عليه او للظّالم بعد الاقتصاص منهان بغى عليه ﴿بِ﴾ سبب ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾ لاغيره ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ اى يدخل ليل الاقتصاص مكان نهار العفو، او ليل الظّلم مكان نهار العدل، او ينقص من ليل الرّذائل ويزيد فى ليل الرّذائل ويزيد فى نهار الخصائل.

﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ ويدخل او ينقص من نهار الخصائل ويزيد فى ليل الرّذائل فاقتصاص المقتصّ وظلم الظّالم كلاهما كانا بتسخير الله وامره التّكوينىّ فان فعل بأحدهما زائداً على قدر التّرخيص يعاقب بنصر من بغى عليه وقدمضى فى سورة آل عمران تفصيل للّيل والنّهار فى نظير الآية.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ لمايقوله الباغى والمقتصّ والمقتصّ منه ﴿بَصِيرٌ﴾ بمايفعله ﴿ذَٰلِكَ﴾ الايلاج والسّمع والبصر ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ الكامل فى الحقّيّة بحيث لايشوبه باطل ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ من الاهوية والآمال الدّاعية للاصنام والاصنام والكواكب والعناصر وخصوصاً رؤساء الضّلالة.

﴿هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ الكامل فى البطلان بحيث لايشوبه حقّ، و الحقّ الّذى لايشوبه بطلان لايعزب عن حيطة وجوده وعلمه و قدرته شيءٌ من الاشياء فيبصر كلّ المبصرات ويسمع كلّ المسموعات ويقدر على كلّ المقدورات.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ الّذى يعلو كلّ شيءٍ ويحيط به فيعلمه ويقدر على التّصرّف فيه بأىّ نحوٍ شاء ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ الّذى كلّ كبير حقير عنده ومطيعٌ ومنقادٌ لأمره.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ تقرير لعلوّه وكبره واحاطة علمه وسمعه وبصره.

﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ لايخفى تعميم الماء والسّماء والارض واخضراره بين الصّوريّة و المعنويّة فى الكبير و الصّغير.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ فى ذاته فلا يدركه مدركٌ لطيف فى صفاته لطيف فى فعاله فلا يدرك دقائق صنعه والغايات المترتّبة عليه والحكم المودعة فيه الاّهو ﴿خَبِيرٌ﴾ يعلم بخبرته دقائق كلّ موجودٍ ومصالح كلّ مصنوع.

﴿لَّهُۥ﴾ بدواً ورجوعاً وملكاً ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يعنى السّماوات ومافيها كما سبق مكرّراً انّه اذا قيل لزيدٍ: مافى الصّندوق؟ ـ يقصد الصّندوق ومافيها خصوصاً اذاكان ما فى الصّندوق نفيساً.

﴿وَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ وَ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ بذاته من غير حاجةٍ له الى مافى السّموات ومافى الارض فى ذاته او فى محموديّته.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تقرير لمالكيّته ومبدئيّته وغنائه عمّا فى الارض وانّ ايجاد مافى الارض وتسخيره للانسان والخطاب لمحمّد ﷺ او لك من يتأتّى من الخطاب.

﴿وَ ٱلْفُلْكَ﴾ قرئ بالنّصب على ما فى الارض او علم اسم انّ، وبالرّفع مبتدءاً ﴿تَجْرِى﴾ مستأنفٌ او حالٌ او خبرٌ ﴿فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ التّكوينىّ فانّ طفوّ الاخشاب وخرقها للماء وتحريك الرّياح او البخار لها كلّها بأمره التّكوينىّ.

﴿وَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ﴾ من الافلاك والكواكب والسّحاب وامطارها كلّها فى احيازها ومراكزها ﴿أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ اى من الوقوع عليها ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ يعنى اذا اذن الله فى وقوعها على الارض تقع عليها فلابدّ من تعميم السّماء والارض حتّى يصحّ هذا بان يقال: انّ الله يمسك السّماء من الافلاك وكواكبها وآثارها.

ومن النّفوس والعقول والارواح وآثارها من الوقوع على أرض التّراب وعلى اراضى الموادّ من جملة العناصر والافلاك والنّطف والبذور والعروق وجملة المواليد الاّ باذنه فان لم يأذن لم يتّصل اثرٌ بذى اثرٍ ولاقوّة بذى قوّةٍ ولاطبع بذى طمع، ولانفس وعقل بذى نفسٍ وعقلٍ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ تعليل لتسخيره الاشياء للانسان وامساك السّماء، والفرق بين الرّأفة والرّحمة بان يجعل احداهما سجيّة الرّحمة والاخرى اثرها الظّاهر على الاعضاء وان كان يستعمل كلّ فى كلّ كسائر السّجايا.

﴿وَ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَا كُمْ﴾ من الجماديّة بالحيوة الحيوانيّة، او من الحيوانيّة بالحيوة البشريّة، او من البشريّة بالحيوة الانسانيّة.

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عن الحيوة الحيوانيّة والبشريّة عند الموت، او عن الحيوة الانسانية ايضاً عند النّفخة الاولى.

﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بالحيوة الانسانيّة او البهيميّة او السّبعيّة او الشّيطانيّة عند الرّجعة.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ﴾ نعمة الاحياء الاوّل، ولذلك لايتنبّه لنعمة الاحياء الثّانى وهو جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ماحال انسان ايشكر ام يكفر؟

او انّ الانسان لجحود يعنى سجيّتة الجحود لانّه يجحد الاعادة و المبدة مع الادلّة الواضحة على الابداء والاعادة.

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ﴾ كلام منقطع عن سابقة لفظاً ومعنىً او جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: هل جعل الله طريقاً الى ادراك الاحياء بعد الاماتة او الى الوصول الى خيراته بعد الاحياء الثّانى؟

فقال: لكلّ امّة ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ عبادة او شرعة من العبادات او ذبيحة يتقرّبون بها، او مكان عبادة، او محلّ ذبحٍ وقربانٍ.

﴿هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَـٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ اى امر عبادتك او امر حجّك او شريعتك او مساجدك او ذبيحتك فانّ كلّ امّةٍ كان ذلك لهم وقداختلفوا فى الكلّ بحسب اقتضاء الوقت والمكان والحال يعنى لاينبغى لهم ان ينازعوك ولاينبغى لك ان تضطرب بمنازعتهم وتتوانى فى دعوتهم فاثبت على ماانت عليه.

﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ الجملة استيناف جوابُ لسؤالٍ مقدّرٍ فى مقام التّعليل ﴿وَإِن جَـٰدَلُوكَ﴾ امر الذّبيحة فى مكانها او فى اكل الذّبيحة دون الميتة بقوله: مالكم تأكلون ماتقتلون بأيديكم وتأكلون مايقتله الله؟ او فى سائر مافسّر المنسك به. ﴿فَقُلِ﴾ على سبيل المتاركة وعدم التّعرّض للمجادلة ﴿ٱللَّـهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ٱللَّهُ يَحْكُمُ﴾ استيناف فى مقام التّعليل كأنّه قيل: لم تركت الجواب والتّعرّض للجدال؟

فقال: لانّ الله يحكم ﴿بَيْنَكُمْ﴾ اى بيننا وبينكم او بينكم ايّها المتخالفون ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ اى فيماكنتم تخالفون معى او فيماكنتم تختلفون بينكم.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ من جملة ماامر الرّسول صلى الله عليه وآله ان يقوله لهم، او ابتداء كلامٍ من الله معهم والخطاب عامّ او خاصّ بالرّسول صلى الله عليه وآله.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فيعلم اختلافكم فيحكم بينكم ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ﴾ تأكيدٌ لعلمه تعالى او تعليلٌ له.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ جواب سؤالٍ عن حاله تعالى او عن علّة ثبته ذلك فى الكتاب ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ عطف على جملة ان جادلوك كأنّه قال: و يجادلونك ويعبدون.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ظرف لغو متعلّق بيعبدون، ولفظة من ابتدائيّة اى يعبدون من دون اذن الله او حال من قوله ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا﴾ ولفظة الباء سببيّة، او بمعنى مع، او بمعنى فى، والسّلطان بمعنى الحجّة والبرهان. او

بمعنى الاستقلال والسّلطنة، والقيد تقييد لابيان يعنى يعبدون عبادة اعمّ من عبادة عبوديّة وعبادة طاعةٍ معبوداً ومطاعاً لم‌ينزل معه برهاناً على جواز طاعته او عبادته من الاصنام والكواكب والعناصر والمواليد من النّبات والحيوان والانسان يعنى انّهم ان عبدوا ماكان معه حجة الهيّة واذن‌الهىّ فى معبوديّته و مطاعيّته لم‌يكونوا مذمومين.

نسب الى موسى بن جعفر عليه السلام قال: لمّانزلت هذه الآية لكلّ امّةٍ جعلنا منسكاً جمعهم رسول‌الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال: يا معشر الانصار والمهاجرين انّ الله تعالى يقول: لكلّ امّةٍ جعلنا منسكاً هم ناسكوه والمنسك هو الامام.

ولكلّ امّةٍ نبيّها حتّى يدركه نبىّ الاوانّ لزوم الامام وطاعته هو الدّين وهو المنسك، وعلىّ بن ابى طالبٍ عليه السلام امامكم بعدى، فانّى ادعوكم الى هداه، فانّه على هدىً مستقيمٍ.

فقام القوم يتعجّبون من ذلك و يقولون واذاً لننازعنّ و لانرضى طاعته ابداً وكان رسول‌الله صلى الله عليه وآله يضيق به فأنزل الله عزّوجلّ ادع الى سبيل ربّك (الى آخر الآيات).

و على هذا فليفسّر الآيات هكذا لكلّ امّةٍ جعلنا اماماً هم مقتدون به و جعلنا لامّتك عليّاً عليه السلام اماماً يقتدون به فلا ينازعنّك فى امر امامته **وادع الى ربّك** فى الولاية انّك لعلى هدىً مستقيم فى ولاية علىّ عليه السلام واستخلافه.

وان جادلوك فى ولاية علىّ عليه السلام فلا تجادل معهم وقل: الله اعلم بما تعملون بعدى فى

حقّ علیّ علیه السلام الله یحکم بینکم ای بین علیّ علیه السلام واتباعه وبینکم فیما کنتم فیه من امر الولایة تختلفون.

ویعبدون بعد وفاتك عبادة طاعةٍ من دون اذن الله تعالی خلیفة لم ینزّل الله علی خلافته حجّة او لم یجعل فی وجوده سلطنةً علی غیره.

﴿وَ مَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ﴾ ای خلیفة لیس لهم به من جهة خلافته ومطاعیّته ﴿عِلْمٌ﴾ یعنی انّ المطاع لابدّ وان یکون مأذوناً من الله وان یحصل للمطیع علم بکونه مأذوناً من الله فمن اطاع مطاعاً علم انّه لم یکن مأذوناً من الله او مطاعاً لم یعلم انّه مأذون او غیر مأذون کان مشرکاً وظالماً.

لانّه وضع طاعته الّتی هی اعظم الحقوق فی غیر موضعها الّذی هو من لم یکن مأذوناً من الله او لم یعلم مأذونیّته ومنعها عن ذیحقّه الّذی هو الامام المأذون من الله.

﴿وَ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ﴾ الّذین وضعوا طاعتهم غیر موضعها ﴿مِن نَّصِيرٍ﴾ فی امر الآخرة فانّ النّصیر هو الامام او من نصبه الامام للنّصرة ﴿وَ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا﴾ فی ولایة علیّ علیه السلام ﴿بَيِّنَـٰتٍ﴾ واضحات او موضوحات لولایته ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بولایته ﴿ٱلْمُنكَرَ﴾ المنکر من کلّ شیءٍ مالایرضاه العقل او العرف ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا﴾ لشدّة غیظهم.

﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ الخبر الشّدید المورث لغیظکم ﴿ٱلنَّارُ﴾ قریٔ بالرّفع خبراً لمحذوف او مبتدء خبر مابعده، وقریٔ بالنّصب علی الاختصاص وبالجرّ بدلاً من شرٍّ ﴿وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَ بِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

نسب الی الکاظم علیه السلام انّه قال فی قول الله تعالی: واذا تتلی

علیهم آیاتنا (الآیة) کان القوم اذا انزلت فی امیرالمؤمنین ۷ آیة فی کتاب الله فیها فرض طاعته او فضیلة فیه او فی اهله سخطوا ذلك وکرهوا حتّی همّوا به وارادوا برسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ایضاً لیلة العقبة غیظاً و خنقاً و غضباً وحسداً حتّی نزلت هذه‌الآیة یعنی الآیة السّابقة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ بعد ماأوعد الکفّار بولایة علیّ عليه‌السلام نادی النّاس عموماً فقال ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ لبیان حالهم وحال علیّ عليه‌السلام ﴿فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾ بالتّعاون مثل حال منافقی الامّة بحال الاصنام الّتی لاتقدر علی احقر مایکون.

﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ﴾ الّذی هو مثل علیّ عليه‌السلام فی ضعف حاله وفی کونه کرّاراً غیر فرّار ذبّ آب ﴿شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾ الّذی یدعو مثل هذا المدعوّ الّذی لایقدر علی شيءٍ حقیرٍ.

﴿وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ الّذی لایقدر علی خلق احقر ولادفعه عن نفسه ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ﴾ حال او مستأنف جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ المقصود بقرینة المقابلة ماقدروا علیّاً عليه‌السلام ﴿حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ حیث عدلوا به مثال الاصنام الّتی لاتقدر علی شيءٍ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ فی مظهر خلیفته الّذی هو علیّ عليه‌السلام ﴿لَقَوِيٌّ﴾ ذوقدرة علی ایّ مقدورٍ اراد ﴿عَزِيزٌ﴾ لایمنعه مانعٌ من مراده فکیف تشرکون بهذا القویّ الغزیز مثل هذا الضّعیف العاجز الّذی لایمنع مثل الذّباب عن السّلب منه.

ولو لم‌یکن هذا التّمثیل مراداً وکان المراد انّ الاصنام الّتی تلطّخونها بالزّعفران لاتقدر علی خلق مثل الذّباب وان یسلبها الذّباب الزّعفران لایستنقذوه منه لما کان لقوله

ضرب مثل فاستمعوه له مساغاً، وعلى ماذكرنا لم يكن حاجة الى تأويل فى قوله ضرب مثل ولابيان لقوله ضعف الطّالب والمطلوب وقداشير فى الخبر الى ماذكرنا.

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلاً وَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ يعنى ان اصطفاء لرّسل عليهم السلام سواء كانوا من الملائكة ام من النّاس مقصورٌ على الله فمالكم لاتكلون امر الخلافة الّتى هى رسالة من الله الى الله وتختلقون بآرائكم خليفة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ﴾ باقوال جميع العباد من الملائكة والنّاس فله ان يصطفى للرّسالة لانّه يسمع مايقوله الرّسول والمرسل اليهم ﴿بَصِيرٌ﴾ بدقائق مكمونات الكلّ فلا يخفى عليه شيءٌ من المكنونات حتّى تقع خيريّة على غير الاصلح ويقع الخطاء فى اختيار الخليفة بخلافكم.

و يجوز على مافسّرنا الآية السّابقة ان يفسّر هذه الآية هكذا الله فى مظهر خليفته الّذى هو علىّ عليه السلام يصطفى من الملائكة رسلا مرسلا الى الانبياء والاوصياء عليهم السلام والى العوالم من عالم الطّبع والملكوتين لتدبير امورها وقضاء مايلزم قضاؤه، ومن النّاس رسلاً الى العباد من الانبياء والرّسل ومن اوصيائهم ومشايخهم انّ الله فى مظهر علىّ عليه السلام سميع بصير.

و قدتكرّر فيما مضى انّ عليّاً عليه السلام بعلويّته هو المشيّة وهى تسمّى بوجهها الى الخلق بعلّيٍ عليه السلام وبوجهها الى الغيب بالله ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ يعنى يعلم فى مظهره الّذى هو علىّ عليه السلام مابين ايديهم اى مابين ايدى النّاس او مابين ايدى الملائكة والنّاس من الدّنيا اوالآخرة او من الماضى او المستقبل.

﴿وَ مَا خَلْفَهُمْ وَ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فى مظهره ﴿تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ وقدورد فى خطبة منه عليه السلام اياب الخلق الىّ وحسابهم علىّ ثمّ نادى عليّاً عليه السلام

ورسله الّذين هم المؤمنون حقيقةً تلطّفاً وتشريفاً لهم وتفخيماً لشأنهم بذكر اوصافهم الفخيمة وفضله العظيم بالنّسبة اليهم.

فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ﴾ ركوع الصّلوة او تواضعوا لربّكم ﴿وَٱسْجُدُواْ﴾ سجدة الصّلوة او تواضعوا غاية التّواضع لربّكم ﴿وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ﴾ اى اخرجوا من انانيّاتكم بركوعكم وسجودكم و صيروا احراراً من عبوديّة انفسكم و عبيداً لربّكم.

﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ قدمضى مكرّراً انّ التّرجّى من الله واجبٌ.

اعلم انّ الآية الشّريفة اشارة الى مراتب السّالكين واسفارهم فانّ اسفارهم اسفارهم وان كانت لاحدّلها ولانهاية لكنّها بحسب الامّهات محصورة فى اربعةٍ كما اسلفنا ذلك مكرّراً:

الاوّل السّفر من الخلق الى الحقّ: و فى هذا السّفر ينكسر الانانيّة الّتى هى من الخلق بحيث لم‌يبق نسبة الفعل الى نفس السّالك بل يرى الفعل من الفاعل الظّاهر فى وجوده وحينئذٍ ينتهى سفره من الخلق الى الحقّ.

وبعد هذا يكون السّفر من الحقّ الى الحقّ وفى هذا السّفر ينكسر انانيّته الّتى هى رؤية الوجود لذاته ورؤية ذاته ومادام ذاته تكون باقيةً يكون سفره من الحقّ الى الحقّ ولم‌يكن عبداً لبقاء انانيّةٍ ماعليه، فاذا انتهى فى هذا السّفر بحيث لم‌يبق له ذات واثر من ذاته صار عبداً لله فانياً من ذاته.

و يكون سفره بعد ذلك فى الحقّ، فان ادركته العناية الآلهيّة وابقاه بعد فنائه يصير

محسناً وفاعلاً للخيرات فانّه فی السّفر الاوّل والثّانی بواسطة بقاء الانانیّة لمیکن فعله خـیراً علی الاطلاق.

وفی السّفر الثّالث لمیکن فعله منه حتّی یکون فاعلاً لشیءٍ و فی هذا السّـفر وهـو السّفر بالحقّ فی الخلق یکون له انانیّة الله وفاعلیّة بفاعلیة الله ویکون فعله خیراً علی الاطلاق.

والی هذه الاربعة اشارت الآیة فانّه تعالی اشار بقوله: **ارکعوا** الی السّفر من الخلق الی الحقّ، وبقوله: **اسجدوا** الّذی هو خروج من الانانیّة حتیّ من نسبة الّذات الی النّفس الی السّفر من الحقّ الی الحقّ.

وبقوله: **واعبدوا ربّکم** الی السّیر بالحق فی الحقّ، وبقوله: **وافعلوا الخیر** الی السّیر بالحقّ فی الخلق، ولا ینا فی ذلك الخطاب کامل حتّی ینا فی تفسیر الآیة بالائمّة علیهم السلام.

فانّ الکامل لکونه جامعاً لجمیع المراتب یکون له علی سبیل الاستمرار سـیر مـن الخلق الی الحقّ وسیر مع الحقّ فی الخلق، وقداشرنا فی المقدّمات و فی تفسیر الفاتحة وفیما بعدها الی الاسفار وکیفیّة السّلوك فیها.

﴿**وَ جَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ**﴾ لمّـا کـان الخـطاب لآل مـحمّد صلی الله علیه وآله خاطبهم بهذا الخطاب والاّ فمثل هذا التّکلیف لغیرهم تکلیف بما لایطاق بل یقال لهم: جاهدوا فی الله حقّ جهادکم لا حقّ جهاده فانّ حقّ الجهاد فی الله علی الاطلاق وحقّ لجهاد اللاّئق بالله ان لایبقی شیءٌ من انانیّة العبد ویبقی بعد فنائه بحیث یلاحظ الحقّ فی الخلق والخلق فی الحقّ من دون نقصان لشیءٍ منهما.

ولحاظ الوحدة والکثرة علی ماینبغی لایتیسّر الاّ لصاحب الجـمع المـطلق یـعنی صاحب الولایة الکلّیّة والرّسالة الکلّیّة کما قیل:

جمع صورت با چنین معنیّ ژرف

می‌نیاید جز ز سلطان شگرف

﴿هُوَ ٱجْتَبَـٰكُمْ﴾ استيناف فى مقام التّعيل ﴿وَ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ عطف على قوله هو اجتبيكم ويفيد التّعليل ايضاً والدّين كماسبق مكرّراً عبارة عن صورة الملّة الّتى هى الاحكام الاقالبيّة الاسلاميّة، وعن احكام الايمان القلبيّة، وعن طريق النّفس الى القلب، والقلب الى الرّوح، والرّوح الى العقل، وهكذا.

و ماجعل الله لاحدٍ فى شيءٍ من ذلك حرجاً فانّ التّكليف بقدر الوسع، واذا بلغ السّالك الى الطّريق كان له وسعة لايتصوّر سعة مثلها فانّه مادام يكون سالكاً الى الطّريق يكون فى ضيقٍ وحرجٍ وقبضٍ و قلقٍ.

واذا بلغ الى الطّريق الى الله وهو مثال شيخه وملكوته تبدّل ضيقه بالسعة وقبضه بالبسط وقلقه بالاطمينان، وتعبه بالرّاحة؛ رزقنا الله وجميع المؤمنين.

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ فى هذا اشارة الى انّ تنزيل الآية لاهل محمّدٍ ﷺ كما فسّروها لنا واذا اريد بالابوّة الابوّة الرّوحانيّة كان التّفسير صرفاً من التّنزيل الى التّأويل وتصدق هذه النّسبة على من ابراهيم‌علیه‌السلام بالبنوّة.

و هذا الانتساب لايكون الاّ اذا صدق الاتّصال بالبيعة العامّة ان لم‌نقل بلزوم البيعة الخاصّة الولويّة فى صدق هذه النّسبة﴿هُوَ﴾ اى ابراهيم‌علیه‌السلام او الله.

﴿سَمَّـٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ يعنى من قبل هذا الزّمان او من قبل القرءان او من قبل هذا العالم فى العوالم العالية ﴿وَ فِى هَٰذَا﴾الزّمان او القرءان او العالم، و تسمية ابراهيم‌علیه‌السلام لهم مسلمين فى هذا الزّمان بواسطة بقاء هذا الاسم لهم منه فى هذا الزّمان.

﴿لِيَكُونَ﴾ تعليل للاوامر السّابقة، او للمدائح اللاّئقة، او للمجموع يعنى جاهدوا ليكون ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ و اجتبيكم ليكون الرّسول صلى الله عليه وآله ﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ هذا ايضاً يدلّ على اختصاص الآية بالائمّة:

﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَ ءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فى اوّل البقرة بيان الصّلوة واقسامها واقامتها وبيان الزّكوة واطوارها وايتائها.

﴿وَ ٱعْتَصِمُواْ بِاللَّهِ﴾ بالاعتصام بالولاية فانّ الاعتصام بالله باعتبار مقام الغيب لايتصوّر للانسان ماكان شاعراً بذاته فالمراد الاعتصام بخلفائه والاعتصام بطريقه الّذى هو طريق الولاية.

﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ يعنى اذا كان موليكم فنعم المولى ﴿وَ نِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ هو.

سُورَةُ ٱلْمُؤْمِنُونَ

وهى مائة وثمانى عشرة اية او تسع عشرة اية



﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ بالايمان الخاصّ والبيعة الولويّة و

قبول الدّعوة الباطنة فانّ المؤمن بمعنى المسلم ان كان واقفاً على اسلامه غير سالكٍ او واصلٍ الى الايمان لم‌يكن له فلاح و لم‌يكن منفعته سوى المنافع الرّاجعة الى الدّنيا من حفظ الدّم و جواز التّناكح والتّوارث و المعاملة نحو معاملة المسلمين من عدم جواز غيبته وهتك عرضه وغير ذلك، والتّوصيف بالاوصاف الآتية يدلّ على ارادة الايمان الخاصّ.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ﴾ الصّلوة بمعنى الدّعاء اى دعاء الله للحضور عند الدّاعى وبمعنى كلّ مابه يدعى الله من فعلٍ او قولٍ او هيئةٍ او فكرٍ او تخيّلٍ ولمّا كانت الصّلوة المشروعة القالبيّة مركّبة من هيأتٍ وافعالٍ واقوالٍ كلّها مابه يدعى الله للحضور عنده سمّيت صلوة، وكذلك الذّكر المأخوذ من صاحب الاجازة سواء كان جليّاً ام خفيّاً.

و هكذا الفكر المصطلح للصّوفيّة من تمثّل ملكوت الشّيخ عند السّالك سواء كان بتعمّل من السّالك او بغير تعمّلٍ منه.

و لمّا كان المقصود من دعاء الله بایّ صورةٍ كان دخوله فى بيت قلب الدّاعى او حضور الدّاعى عنده، و حضور السّالك عند الله لايكون الاّ بكسر انانيّته و الخروج من وجوده و لايكون ذلك الاّ بالمحبّة لله و استشعار الهيبته منه قال: ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ لانّ الخشوع حالة حاصلة من محبّة من يخشع له

واستشعار الهيبة منه و لاتكون هذه الحال الاّ مع كسر انانيّة الخاشع فلو لميخشع الدّاعى فى دعائه كان دعاؤه لغواً فالمصلّى بالصّلوة القالبيّة الشّرعية لمّا كان قيامه فى الصّلوة قيام من يقوم عند الملك المقتدر.

في معنى تكبيرة الاحرام

و تكبيره اظهاراً و استشعاراً بعظمةالله بمعنى ان ليس فى ذكره سوى الله و لذلك سمّى بتكبيرة الاحرام و كان اقواله كلّها دعاءً وتضرّعاً على الله و ركوعه وسجوده تواضعاً لعظمة الله كان هذا العمل منه لغواً واستهزاءً بالله ان لميكن حاله موافقاً لفعله.

و لذلك عقّب قوله ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ بقوله ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ مقدّماً على قوله ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ﴾ مع انّ الانسب بذكر الصّلوة ان يكون الزّكوة عقيبها، واللّغو فعل او قول لايعتدّ به ولايترتّب عليه فائدته المطلوب منه.

ولمّا كان فائدة الصّلوة الخروج من الانانيّة والعروج الى الملكوت و الحضور عند المعبود و كان الاشتغال بالغير و التفات الخيال الى الكثرات منافياً لتلك الفائدة و مسقطاً لها كان الصّلوة بهذه الحال لغواً؛ فعلى هذا كان قوله: وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ تأكيداً لمفهوم قوله ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ.

وقدسبق فى اوّل البقرة تفصيل تامّ للصّلوة واقسامها و الزّكوة و انواعها، و اللاّم فى قوله لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ زائدة للتّقوية او هى للتّعليل، و الزّكوة ههنا بمعنى النّماء او الطّهارة او الصّلاح او التّنعّم او فضول المال الّذى تخرجه لتطهّر باقيه ولم‌يقل للزّكوة مؤتون ليذهب ذهن السّامع اى كلّ المعاني والمحتملات.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ﴾ جمع الفرج بمعنى العورة وهى كلّ سوأةٍ من المرء والمرأة ينبغى حفظها عن النّظر اليها والمراد حفظها عن الوطى او عن النّظر اليها ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ لمّاجعل متعلّق الحفظ مثل الاطلاق والاسترسال استثنى المجرور و بعلى نحو الاستثناء المفرّغ يعنى الّذين هم حافظون فروجم عن الاطلاق وعدم الامساك الاّ على ازواجهم يعنى لايحفظونها عن الاطلاق على ازواجهم.

و قيل: انّ لفظة على ههنا مثل على فى قوله: احفظ علىّ عنان فرسى فانّ الحبس على الازواج يفيد هذا المقصود.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ﴾ من الاماء لاالعبيد وجاء بما للاشعار بانّهنّ من تلك الحيثيّة كسائر الحيوان فى معاملتهنّ معاملة ذوى القول، و الآية مجملة فانّها مطلقة عن بيان الحالات الّتى تحرم الازواج و الاماء فى تلك الحالات.

﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ نفى اللّوم عنهم مع انّ المضاجعة

ان كانت بأمر الله و من الجهة الّتى ارتضاها الله كان صاحبها مأجوراً لانّ اكثر النّاس لم تكن مضاجعتهم الاّ محض تشهّى النّفس كسائر افعالهم فلم يكن لهم اجرٌ فيها.

﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من الاسترسال على الازواج والالمماليك ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ اى الظّالمون او المتجاوزون عن حدود الله.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾

ما هو المنظور من العهد والامانات؟!

الامانات كما فى سورة النّساء و سيأتى فى سورة الاحزاب عبارة عن كلّ مااستودع عند انسانٍ ليكون محفوظاً سالماً لصاحبه.

و اذا طالبه صاحبه سلّمه له، و تصدق على الامانات الصّوريّة الّتى يستودعها بعض الناسّ عند بعض و على الامانات الّتى استودعها اللّٰه عنده عباده و امائه تكويناً من الامانة الاصليّة الّتى هى اللّطيفة السّيّارة الانسانيّة الّتى عرضها الله على السّماوات و الارض و الجبال فأبين من حملها، و حملها الانسان و من سائر ماانعم الله به على عباده من الاعضاء و الجواراح والقوى و المدارک و العلوم و المناسک التكوينيّة، و من الامانات الّتى استودعها اللّٰه عند عباده بتوسّط خلفائه ومظاهره من الاحكام القالبيّة النّبويّة، و القلبيّة الولويّة، و الاذكار الجليّةو الخفيّة، و ودائع الوصاية الّتى استودعها كلّ امام لامام اخر.

و المراد بالعهد كما سبق مكرّراً هو البيعة العامّة والخاصّة فانّ العهد المنظور اليه والمسئول عنه هو الميثاق الّذى يحصل بين الانسان وبين الله بتوسّط مظاهره بالبيعة على ايديهم وسائر العهود و العقود مثل النّذور والعهود وسائر العقود الواقعة بين العباد مقصودة تبعاً.

و مراعاة الامانة بان لايقصّر فى حفظها وانمائها ان كانت صاحبة نماء و بتحمّل ماتحتاج اليه من المأكول والمشروب او المخزن واغلاق الباب والنّقل من مكانٍ الى مكانٍ ان كانت ممّاتحتاج الى ذلك، ومراعاة العهد بان لايتركه و لايترك شروطه ولاينقصه.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ﴾ قرئ‌مفرداً و جمعاً ﴿يُحَافِظُونَ﴾ ولمّا كان المفرد المضاف الغير المراد به فرداً معيّناً او فرداً مامفيداً للعموم لم‌يكن بين الجمع والمفرد فرق، والمحافظة المواظبة على الشّيء بالذبّ عنه و الحفظ له عن الضّياع و المحافظة على الصّلوات القالبيّة و الصّدريّة و القلبيّة بالذّبّ عهنا و دفع الشّياطين الجنّيّة و الانسيّة عن المداخلة فيها و حفظ الوقاتها وحفظ حدود كلّ منها و الدّوام عليها وكلٍّ بحسبه بان لايترك الصّلوة القالبيّة فى اوقاتها ولايغفل عن الصّلوات الصّدريّة و القلبيّة الذّكريّة والفكريّة.

و كرّر ذكر الصّلوة بذكرها اوّلاً بوصف الخشوع فيها الّذى هو من احكامها الباطنة، و اخيراً بوصف الحفظ عليها الّذى هو اعمّ من حفظ صورتها واحكامها الظّاهرة وحفظ معنيها واحكامها الباطنة للاهتمام بشأنها، وللاشارة الى انّها ينبغى ان تكون مفتتح الكلّ ومختتمها، و الاتيان بالمضارع ههنا للاشارة الى انّ مخّلات الصّلوة الباطنة.

و الظّاهرة ومتجدّدة الحدوث استمراراً والمحافظة عليها من اخلال مخّلاتها ينبغى ان تكون متجدّدة الحدوث استمراراً بخلاف سائر الاوصاف.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ العظماء المحضرون باوصافهم العظيمة ﴿هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ حقيقةً لاغير هم فانّ وارثة غيرهم ان كانت من قبيل وراثة الاموال الصّوريّة او الدّركات الاخرويّة الجحيميّة لم تكن معدودة من الوراثة، و ان كانت من قبيل وراثة درجات الجنان لم تكن وراثة بل كانت تطفّلا لاولئك العظام فأتى باسم الاشارة البعيدة اشارةً الى تفخيمهم واحضاراً لهم باوصافهم الحميدة.

و اتى بضمير الفصل تأكيداً للحكم واشعاراً بالحصر، وتعريف المسند ايضاً يفيد الحصر.

﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ لم يقل هم الوارثون للفردوس لايهام انّهم هم الوارثون لجميع مايمكن ان يورّث ليكون

ابلغ فى مدحهم، و الفردوس يطلق على الاودية الّتى تنبت ضروباً من النّبت، والبستان الّذى يكون فيه جميع مايكون فى البساتين، وعلى طبقات الجنان، و على الطّبقة العليا منها ويؤنّث ويذكّر وهو عربىّ او رومىّ او سريانىّ معرّب.

﴿هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ اتى به اشارةً الى تمام النّعمة فانّ تمامها بعدم زوالها.

اعلم، انّ الانسان من بدو خلقته الّتى هى خلقة نطفته واولى مادّته و قرارها فى قرارٍ مكينٍ يكون بالقوّة فى جميع مايمكن ان يحصل للانسان وكلّ انٍ يحصل فعليّة من فعليّات الانسانيّة الّتى هى فعليّات الولاية، وكلّ فعليّة تحصل له تكون مـرتبة مـن الولايـة التّكوينيّة الّتى هى سارية فى جميع الموجودات و بكلّ بـعدٍ مـن مرتبة المادّة وقربٍ من الولاية يحصل له فعليّة من فعليّات الولاية ويخلع عنه نقص وعدم من اعدام المادّة، و حصول كلّ فعليّة له نحو وراثة من ابيه الذى هو الولاية المطلقة الّتى هى المشيّة وهذا الخلع وتلك الوراثة مستمرّان له الى اوان المراهقة و زمان البلوغ و تميز الخير والشّرّ الانسانيّين.

فاذا وصل الى ذلك وقع بين تصرّف الملك والشّيطان و بين النّسبة الى الرّحمن والنّسبة الى الشّيطان بالقوّة.

فاذا تصرّف فيه الشّيطان صار نسبته اليـه بـالفعل و كـلّما

حصل له فعليّة من تصرّف الشّيطان صار تلك الفعليّة ارثاً من الشّيطان، و كلّما زاد تصرّف الشّيطان اشتدّ فعليّة النّسبة الى الشّيطان واشتدّ بحسبها الفعليّات الحاصلة له من الشّيطان حتّى اذا حصل له جميع الفعليّات المناسبة لدركات النّيران وتمكّن فى اتّباع الشّيطان فيصيروا ارثاً لجميع مال الشّيطان وجميع مراتبه بحيث يصير الشّيطان من اجزائه واظلاله.

واذا تصرّف فيه الرّحمن صار نسبته اليه بالفعل وكلّما حصل له فعليّة من تصرّف الرّحمن صارتلك الفعليّة ارثاً له من الرّحمن.

لكن لمّا كان الشّيطان اقرب اليه حين البلوغ من الرّحمن جعل الله وسائط بينه وبين خلقه من الانبياء والاوصياء عليهم السلام حتّى يكونوا بظاهر بشريّتهم موافقين للعباد ويكون العباد مدركين لهم بمداركهم الحيوانيّة حتّى يأنسوا بهم ويتوسّلوا الى الله بالتّوسّل بهم ويكون الرّسل عليهم السلام وخلفاؤهم معاونين لهم فى قبول تصرّف الرّحمن.

فمن توسّل بهم بالبيعة العامّة او البيعة الخاصّة تعرّض لتصرّف الرّحمن و حصّل النّسبة بينه و بين الرّحمن و بتلك النّسبة يصير ابناً لمن بايع معه البيعة العامّة او الخاصّة و كلّما حصل له من جهة تلك النّسبة من الفعليّات كان فعليّة الولاية و الرّحمن وكان ارثاً له من صاحب الولاية المطلقة حتّى حصل له جميع فعليّات الولاية المطلقة من طبقات الجنان.

والفرق بين هذا الارث والارث الدّنيوىّ الصّورىّ انّ الارث الصّورىّ لايحصل للانسان مادام المورّث لم‌يرفع يده بالموت عن المال الموروث و عن الوارث، ومالم‌ينقطع النّسبة بينه وبين الوارث.

و انّ الارث المعنوىّ لايحصل للانسان مالم‌يشتدّ النّسبة بينه وبين الوارث ومالم‌يضع المورّث يده على الوارث وبحسب اشتداد النّسبة وقوّة وضع اليد يكون زيادة الارث وكثرة المال الموروث وهذا الارث موجب لسعة المورّث وكثرة ماله بخلاف الارث الصّورىّ.

و لمّا كان لكلّ انسانٍ قوّة فعليّة الجحيم والجنان وكان دركات الجحيم و درجات الجنان الّتى كان للانسان قوّة الوصول اليها بمنزلة ماله المملوك له بالقوّة، و اذا وصل الى احديهما ترك الاخرى ترك الميّت ماله لوارثه.

ورد انّ منازل اهل الجنان فى الجحيم يرثها اهل الجحيم ومنازل اهل الجحيم فى الجنان يرثها اهل الجنان يعنى يرث كلّ من المتناسبين منازل الآخر و بهذا التّناسب يصحّ اطلاق التّورات فعلى ماذكر كان معنى الآية الّذين يرثون الفردوس من صاحب الولايةالمطلقة او من متناسبيهم من اهل الجحيم.

فى خلقة الانسان من الطين

﴿وَ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ عطف

على قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ و وجه المناسبة بينهما انّ فلاح المؤمن عبارة عن خلاصه عن نقائص المادّة و شوائب العدم وخروجه عن القوّة الى الفعليّة واوّل مراتب خلقته ايضاً خلاص من العدم وعن نقائص المادّة و خروج من القوى الى الفعليّات فكأنّه علّل صحّة فلاحه بهذا العطف و قال: انّ فلاحه مثل خلقته المشهودة لكم بحسب اثارها.

فانّ النّشأة الآخرة مثل النّشأة الدّنيا، ويجوزان يكون حالاً بهذا المعنى، والسّلالة ما انسلّ من الشّيء ونكرّ السّلالة والطّين للاشعار بانّهما كانا نوعين خاصّين من السّلالة والطّين.

و من الاولى ابتدائيّة متعلّقة بخلقنا والثّانية بيانيّة اوتبعيضيّة متعلّقة بمحذوفٍ صفة لسلالةٍ، او ابتدائيّة متعلّقة بسلالةٍ، او بمحذوف صفة لسلالة، او هى مع مابعدها بدل من قوله من سلالة.

و المراد بالانسان الجنس و بالسّلالة النّطفة قبل انفصالها من الاصلاب والتّرائب وقبل ان تسمّى نطفةً، وبالطّين طين ادم او الغذاء مطلقاً او الغذاء المهضوم فى المعدة او الكبد او العروق او الاعضاء فانّ الكلّ بوجهٍ تراب خليط بالماء خلطة اتمّ والبلغ من الطّين المعروف.

وقيل: المراد بالانسان ادم عليه السلام ابوالبشر.

و بالسّلالة التّراب المأخوذ من اديم الارض

مراحل خلقة الانسان من النطفة

﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً﴾ مستقرّاً ﴿فِى قَرَارٍ﴾ القرار والقراره بفتحهما مايستقرّ فيه الشّيء ﴿مَّكِينٍ﴾ من المكان بمعنى الموضع او من المكانة بمعنى المنزلة عند الملك، او من التّمكّن بمعني الاقتدار.

و المراد بالقرار المكين الرّحم ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ﴾ اى صيّرنا النّطفة ﴿عَلَقَةً﴾ او خلقنا من النّطفة علقةً؛﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ اتى بثمّ فى الفقرة الاولى للاشارة الى امتداد الزّمان من اوّل استقرار النّطفة فى الرّحم الى صيرورتها دماً منعقداً بخلاف صيرورة العلقة مضغةً، فانّه لاتراخى بين العلقة والمضغة.

﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا﴾ يعنى صيّرنا وصوّرنا اوّلاً صورة العظام فانّه مالم‌يتميّز العظام فى بدن الجنين لايتصوّر تصوير اللّحوم فان اللّحوم فى كلّ موضع بنحوٍ مخصوصٍ وليس تميّزها وخصوصيّاتها الاّ بتميّز محالّها الّتى هى العظام وخصوصيّاتها.

﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾

اتى بثمّ للاشعار بتراخى مرتبة الانشاء عن الخلق فانّ الخلق يستعمل فى المكوّنات المادّيّات، والانشاء فى المجرّدات، وقديخصّ الخلق بما يحتاج الى مادّة ومدّة كالمواليد، والاختراع بما يحتاج الى المادّة دون المدّة كالسّماوات والعناصر، والانشاء بالمتقدّرات المجرّدة عن المادّة والمدّة، والابداع بالمجرّدات عن

الكـــــلّ و بكـــــلا المــــعنيين يكـــــون انشاء اعلى درجةً من الخلق.

و للاشارة الى انّ انشاء نفس الانسان ليس كصيرورة العليقة مضغةً بلا فرجة بل لايكون انشاء نفس الانسان ممتازة عن بدنه الاّ اخر ايّام الحمل او اوّل ايّام الوضع فيكون بين كسوة العظام لحماً وبين انشائه نفساً تراخ.

التبريك لحسن الخالقة والمراد منه

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ بمعنى تنزّه و تقدّس و هذه كلمة خاصّة بالله بهذا المعنى يقال فى مقام التّعجّب من الشّيء و تعظيمه و ان كان اصله من البركة بمعنى النّماء والزّيادة فى الخيرات، عقّب الانشاء بهذه الكلمة للاشارة الى انّ انشاء نفس الانسان امر عظيم ينبغى ان يتعجّب منه وينزّه منشئه عن وصمة النّقص.

و التفت من التّكلّم الى الغيبة ولم يقل تباركنا لانّ هذه الكلمة صارت كالامثال فى مخاطباتهم ولاتتغيّر.

﴿أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ يعنى انّ الخالقيّة الحقيقيّة ان كانت منحصرة فى الله فوسائطه لخلقه من الملائكة والقوى والصّنّاع كثيرة والله تعالى احسن الكلّ لعدم احتياجه فى خلقه الى شيءٍ من مثالٍ سابقٍ و مادّةٍ ومددٍ والةٍ وقوىً و جوارح واعضاء.

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ وجه الاتيان بـثمّ ظـاهر ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ

﴿طَرَآئِقَ﴾ جمع الطّريقة بمعنى السّماء لانّ كلّ سماءٍ طريقة ومطارقة الى مطابقة للاخرى.

او لانّ السّماوات مسير للكواكب او بمعنى الاخدودة فى الارض شبه الطّريق والمقصود انّكم شاهدتم طبقات الارض الّتى مررتم عليها من المراتب المذكورة و قدخلقنا فوقكم طبقات السّماء ولابدّ لكم من المرور عليها قبل الموت او بعد الموت فأعدّوا انفسكم للمرور عليها و اطلبوا لانفسكم دليلاً للمرور عليها فانّكم بها اجهل منكم بطرق‌الارض.

﴿وَ مَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ﴾ اى المخلوق او ايجاد الخلق ﴿غَـٰفِلِينَ﴾ حتّى نهمل مايحتاج اليه ولم‌نخلقه لهم فاطلبوا ماتحتاجون اليه فى السّير على طرق السّماء تجدوا.

﴿وَ أَنزَلْنَا﴾ عطف فيه معنى التّعليل ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ اى من جهة العلو او من السّحاب ﴿مَآءَم بِقَدَرٍ﴾ بحيث تنتفعون به ولايفسداماكنكم ولازراعاتكم به ولانمنعكم بحيث لايحصل مابه معاشكم و مدد حيوتكم.

فانه لو كان المطر متتالياً افسد الابنية والزّروع، وهكذا القنوات و العيون والسّيول والبحار لو كثرت مياهها بحيث احاطت بوجه الارض لافسدت و اهلكت و لو لم‌يكن ماء اصلاً لم‌تكن حيوة ابداً، و انزال الماء بقدرٍ دليل عدم غفلتنا عن الخلق.

و لايذهب عليك انّ انزال ماء الحيوة الحيوانيّة والبشريّة من سماء الارواح واسكانه فى ارض البدن الحيوانىّ و الانسانىّ منظور ايضاً ﴿فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ليستقى به زراعتكم وبهائمكم و تنتفعون به.

فى سائر منافعكم ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ﴾ فأبقيناه فى الارض ترحّماً عليكم ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ الفاكهة الثّمر بأنواعها رطبها ويابسها.

﴿وَمِنْهَا﴾ اى من الجنّات او من الفواكه ﴿تَأْكُلُونَ﴾ خصّ الجنّات من بين مايحصل بسبب الماء ثمّ خصّ من الجنّات النّخيل والاعناب بالذّكر لاعجاب العرب بالجنّات وبالنّخيل والاعناب منها وعدم معرفتهم من الجنّات شيئاً تعتدّ به سواها.

﴿وَشَجَرَةً﴾ قرئ بالنّصب عطفاً على الجنّات وبالرّفع خبر مبتدءٍ محذوفٍ اى من المنشآت شجرة، او مبتدء خبره تنبت بالدّهن ﴿تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ قرئ بفتح السّين والمدّ وبكسر السّين والمدّ والقصر، والطّور الجبل او فناء الدّار والمراد به الجبل الّذى ناجى موسى عليه السلام ربّه فيه، و سيناء اسم الموضع الّذى به هذا الجبل، او اسم حجارة مخصوصة فى ذلك الموضع.

ماهو معنى طور سيناء

و قيل: المراد بالسّيناء الجبل المشجّر يعنى الكثير الشّجر، و قيل: المراد الجبل الحسن، وقيل: السّيناء بمعنى البركة، ومعنى طور سيناء جبل البركة وهو مابين مصر وايلة.

و قيل: طور سيناء جبل بالشّام، وفى اخبارنا اشارة الى انّ طور سيناء نجف الكوفة، وانّه الموضع الّذى فيه مشهد اميرالمؤمنين عليه السلام.

فعن الباقر عليه السلام انّه كان فى وصيّة اميرالمؤمنين ٧ ان اخرجونى الى الظّهر فاذا تصوّبت اقدامكم واستقبلتكم ريحٌ فادفنونى فهو اوّل طور سيناء[۱].

و عن الصّادق عليه السلام: الغرىّ قطعة من الجبل الّذى كلّم الله عليه موسى عليه السلام تكليماً، و قدّس عليه عيسى عليه السلام تقديساً، واتّخذ عليه ابراهيم عليه السلام خليلاً، واتّخذ محمّداً صلى الله عليه وآله حبيباً، وجعله للنّبيّين مسكناً، فوالله ماسكن بعد ابويه الطّيّبين ادم و نوح عليه السلام اكرم من اميرالمؤمنين عليه السلام[۲].

و المراد بالشّجرة الّتى تخرج من طور سيناء شجرة الزّيتون وخصّها بالذّكر لانّها كثيرة النّفع للعرب فانّها ﴿تَنبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ قرئ من الثّلاثىّ المجرّد وحينئذٍ يكون الباء للتّعدية او للمصاحبة. و قرئ تنبت

۱. تفسير الصافى ج۳ ص ۳۹۷ و التّهذيب ج۶ ص۳۴ ح۱۳

۲. تفسير الصافى ج۳ ص ۳۹۷

من الانبات بمعنی النّبت او متعدّیاً، ویکون المفعول محذوفاً ای تنبت الثمر بالدّهن ﴿وَ صِبْغٍ﴾ ای ادام فانّ ثمرها ادام﴿لِّلْأَكِلِينَ﴾.

قیل: المراد شجرة الزّیتون وهو مثل رسول الله صلّی الله علیه وآله وامیرالمؤمنین علیه السلام فالطّور الجبل والسّیناء الشّجرة ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً﴾اعتباراً واستدلالاً علی عنایته تعالی بکم وکمال حکمته وقدرته والجملة معطوفة علی قوله: لقد خلقنا، او علی قوله: انزلنا من السّماء فانّهما فی معنی ان یقال: انّ لکم فی خلقکم، وانّ لکم فی انزال الماء من السّماء لعبرة.

﴿نُّسْقِيكُم﴾ قرئ بضمّ النّون وفتحها والجملة مستأنفة او حالیّة﴿مِّمَّا فِى بُطُونِهَا﴾ من الالبان ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ كَثِيرَةٌ﴾ بسبب تسخیرها لکم من الظّهور والاصواف والشّعور والاوبار والتّجمّل بها.

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ای من لحومها وشحومها ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ فی البرّ والبحر لمّا کان المراد تعداد النّعم بنحو الاعتبار بها اضاف الی الانعام الفلك.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ لمّا ذکر صنعه فی خلق الانسان وتدبیره لامکان بقائه ونبّهه علی بقائه بعد موته ذکر غایة النّعم واصلها واشرفها وهی ارسال الرّسل للهدایة الی خیر السّبل لیکون بقاؤه اتمّ بقاءٍ وعلی اشرف انحاء البقاء.

﴿فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ قرئ غيره بالرّفع والجرّ ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ اى اتعبدون الاصنام فلاتتّقون سخطه.

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِۦ﴾ يعنى قال الرّؤساء للاتباع ﴿مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ يعنى لافرق بينه و بينكم حتّى يكون مستحقّاً للتّفضّل عليكم و يستحقّ الرّسالة دونكم.

﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ فيجعلكم اتباعاً لنفسه ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ ان يرسل علينا رسولاً ﴿لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً﴾ للرّسالة ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا﴾ اى بارسال رسول من البشر او بما يدعوننا اليه من التّوحيد ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ حتّى لانستغرب منه ولاننكره.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ جنون ﴿فَتَرَبَّصُوا بِهِۦ﴾ فاحتملوا منه وانتظروا افاقته ﴿حَتَّىٰ حِين قَالَ﴾ الرّسول ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ عليهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ بعد دعائه و اجابتنا له و امهالنا لهم مدّة متمادية حتّى رجع عنه من كان داخلاً فی دينه.

﴿أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ جمع العين بمعنى الباصرة او بمعنى الدّيدبان، والباء بمعنى فی اى اصنعها فی حضرة اعيننا، او للسّببيّة والمعنى اصنعها بسبب امداد ملائكتناو على الاوّل يكون

الظّرف لغواً متعلّقاً باصنع او مستقرّاً حالاً من المفعول او الفاعل.

﴿وَوَحْيِنَا﴾ بتعليمك صنعها ﴿فَإِذَا﴾ صنعتنها و ﴿جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ الّذى جعلت فورانه بالماء علامة لاهلاك قومك و غرقهم ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾ قرئ كلّ منوّناً و بالاضافة اى من كلّ نوح من الحيوان مشتمل على الذّكر والانثى (ٱثْنَيْنِ) ذكراً وانثى لئلاّ يستأصل النّوع.

﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ قدسبق الآية فى سورة هودٍ.

﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ لمّا كان المنقطع الفطرة كالعضو الفاسد الّذى يؤذى صاحبه ويفسد مايجاوره وبقطعه يسلم سائر الاعضاء و يستريح البدن وصار قومه بعد كمال شقاوتهم كالاعضاء الفاسدة وبقطعهم واستيصالهم يستريح الملائكة وخلفاء الله امره تعالى بالحمد على نعمة استيصالهم والاّ فنوح عليه السلام كما كان يجادل الله فى دفع العذاب عن قومه كان يحزن على هلاكهم لا انّه كان يشكر على استيصالهم.

﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى﴾ من السّفينة ومن مقام الحضور والاطلاق الى مقام الغيبة والكثرات ﴿مُنزَلاً﴾ قرئ من الانزال

ومن النّزول وهو مصدرٌ او اسم مكانٍ او اسم زمانٍ ﴿مُّبَارَكًا﴾ بالبركة لى فى مالى و اولادى واعوانى.

﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾قدورد قراءة هذه الآية وقت النّزول فى منزل.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ القصص او فى ارسال نوحٍ عليه السلام ودعوته واهلاك قومه ﴿لَأَيَـٰتٍ﴾ عديدة على المبدء وتوحيده وعلمه وقدرته وتوانيه بالنّسبة الى العاصين من خلقه ورحمته وتدبيره.

﴿وَإِن كُنَّا﴾ اى انّه كنّا ﴿لَمُبْتَلِينَ﴾ يعنى كنّا قديماً ممتحنين عبادنا بالشّرّ والخير او كنّا ممتحنين فى ارسال نوحٍ عليه السلام وتوانينا فى اهلاك قومه.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ هم قوم هودٍ او قوم صالحٍ ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ هو هود او صالح.

﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ ان تفسيريّة وتفسير لارسلنا لانّ فيه معنى القول ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ مضى الآية قبيل هذا.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ قولاً كمنكرى البعث او فعلاً وحالاً كأكثر أهل كلّ زمانٍ.

﴿وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ﴾أنعمنا عليهم بنعمة أبطرتهم ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ

وَ يَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ ذكروا الجملتين لتأكيد التّشابه واستغراب التّفضيل.

﴿وَ لَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ﴾ لضياع بضاعتكم الّتى هى عقولكم باطاعة بشر مثلكم ﴿أَيَعِدُكُمْ﴾ استبعاد لهذا الوعد لعدم اقرارهم بالمعاد ﴿أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَ عِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ انّكم الثّانى تأكيدٌ للاوّل اتى به لطول الكلام والفصل بين انّ الاولى و خبرها، او انّكم الثّانى مبتدء خبره الظّرف المتقدّم والجملة خبر انّ الاولى.

او انكم الثّانى فاعل فعل محذوف جواب للشّرط، او هو مبتدء محذوف الخبر والجملة جواب للشّرط بتقدير الفاء، او هو فاعل للظّرف والظّرف خبر انّ الاولى، او خبر انّ الاولى محذوف و انّ الثّانية مع خبرها تأكيد لانّ الاولى و خبرها.

﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ قرئ هَيْهَاتَ بتثليث التّاء منوّناً وغير منّونٍ وبسكون التّاء وبابدالها هاءً ساكنةً وفى هَيْهَاتَ اثنتنان وخمسون لغة هيهات وايهات، وهيهان وايهان، وهايهات وهايهان، وايهات وايهان، مثلّثات الاخر منوّناتٍ وغير منوّناتٍ، و هيهات ساكنة الآخر بالتّاء و بالهاء وايها وايآت وهى اسم للعبد، او اسم فعلٍ بمعنى بعد سواء جعل مفرداً او جمعاً لهيه وهو كلمة طردٍ و زجرٍ، واذا كان اسماً للعبد كان ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ خبره.

و اذا كان اسماً للفعل كان ضمير الفاعل مستتراً فيه وكان لام لماتوعدون للتّبيين ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ جواب لسؤالٍ مقدّرٍ فى مقام التّعليل.

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ﴾ اى مذعنين او لقوله موقنين ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ قَالَ﴾ الله اجابة لدعائه ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً﴾ الغثاء ما احتمل السّيل من الزّبد والهالك والبالى.

﴿فَبُعْدًا﴾ بعدوا بعداً حذف الفعل و اقيم المصدر مقامه و القياس فبعداً لهم لكنّه وضع المظهر موضع المضمر للاشعار بعلّة الحكم و ذمّ اخر لهم فقال ﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ واللاّم للتّبيين وهو اخبار او دعاء عليهم والمعنى انّ الهلاكة ثابتة للقوم الظّالمين.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾ فأهلكوا فى موعدهم المقدّر لهم فانّ قوله ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ كناية من اهلاكهم فى موعد اهلاكهم وتهديد للحاضرين.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ هو من الوتر ضدّ الشّفع والتّاء مبدل من الواو كتاء تقوى وهو وصف او مصدر والالف للتّأنيث

مثل التّقوى او للالحاق و عليهما قرئ غير منوّنٍ ومنوّناً و المعنى ارسلنا رسلنا واحداً لكنّ المواترة لاتستعمل الاّ اذا كان بين الاشياء تعاقب بتراخ فانّه اذا لم يكن بينها تراخ يقال بينها مداركة ومواصلة.

﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ فى العقاب والاهلاك ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ يتحدّث بهم ويسمر بقصصهم و هو جمع الاحدوثة او جمع الاحداث جمع الحديث، او جمع الحديث ابتداء مع شذوذٍ وحمل الاحاديث عليهم اذا كانت جمع الحديث للمبالغة فى استيصالهم كأنّهم لم يبق منهم فى النّاس الاّ حديثهم.

﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ مضى نظيره قبيل هذا ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَـٰرُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ التّسع او بمعجزاتنا او بأحكامنا ﴿وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾ ظاهرٍ او مظهر و المراد بالسّلطان عصاه او برهانه القوليّ او سلطنته على قهر الاعداء ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ اى قومه مطلقاً او خواصّه.

﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن موسى عليه السلام وقبول دينه ﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ بحسب الدّنيا بسبب غلبتهم على اهل ارضهم وعلوّهم على من كان فى مصر ﴿فَقَالُوٓا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَـٰبِدُونَ﴾ يعنى ليس لهما فضل بانفسهما و لابقومها و العاقل لايفضّل من لاجهة فضل فيه بل لنا عليهم الفضل

باستعباد قومهما لانّ القبطىّ كانوا يستعبدون السّبطىّ فى الاعمال او لانّ السّبطىّ كانوا يعبدون فرعون مثل القبطىّ.

﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا﴾ بعد التّكذيب بلا فرجة ﴿مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾ عن الحيوة الانسانيّة دون الحيوانيّة او صاروا من المهلكين بالاغراق لكن بعد حينٍ، والاتيان بالفاء لانّ الفاء فى كلّ شيءٍ بحسبه و الاهلاك المتعقّب للرّسالة بلا فرجة ان تتمّ الرّسالة واحتجاجاتها.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾ كتاب النّبوّة واحكامها او التّوراة ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ اى لعلّ قومه او لعلّ فرعون وقومه وهذا يوافق تفسير الكتاب بالنّبوّة واحكامها.

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ فانّ مريم عليها السلام كانت من اوّل بلوغها اية لله لانّها كانت متعبّدة غير ملتفتةٍ الى الدّنيا وملاذّها، يأتيها رزقها من الله يأتيها فاكهة الصّيف فى الشّتاء وفاكهة الشّتاء فى الصّيف وحملت من غير مسيس بشرٍ، وكان مدّة حملها اقصر مدّةٍ؛ ساعة او اكثر بيسير، فانّها لم‌يظهر على احدٍ انّها كانت حاملة وحملت من غير زوال بكارتها وكون عيسى عليه السلام اية لاحاجة فيه الى التّفصيل.

﴿وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ مكانٍ مرتفعٍ، وقرئ‌الرّبوة بضمّ الرّاء وفتحها، وقرئ رباوة بضمّ الرّاء وكسرها، والرّبوة والرّباوة بتثليث الرّاء

فيهما المرتفع من الارض ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ للماء بانبساطها واستوائها او للنّاس بسبب انّ من كان فيها ومن دخلها يستقرّون فيها لحسن مكانها و وفور النّعم فيها ﴿وَمَعِينٍ﴾ اى ذات ماءٍ جارٍ من معن الماء اذا جرى، او من الماعون بمعنى المعروف.

او اسم مفعول من العين بمعنى المدرك بالعيون لظهورها و ارتفاعها والمراد بها بيت‌المقدّس او دمشق او رملة فلسطين او مصر.

و عن ابى‌جعفر و ابى‌عبدالله عليهما السلام: انّها حيرة الكوفة وسوادها و القرار مسجد الكوفة و المعين الفرات.[1]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ﴾ حال بتقدير القول او جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ بتقدير القول كأنّه قيل: ماقال الله للرّسل سواء كان الخطاب لمجموعهم دفعة فى عالم الجمع وهو عالم الارواح، اوكان الخطاب لكلّ واحد واحد فى زمانه لكنّه تعالى جمعهم فى الحكاية.

و قيل: انّ خطابُ محمّدٍ صلّى الله عليه وآله من دون تقدير القول و الاتيان بالجمع لجريه على طريقة العرف فى مخاطبة الواحد مخاطبة الجمع، و قد مضى مكرّراً انّ الاكل لااختصاص له بما يعرفه العرف اكلاً.

بل ادراك كلّ مدرك وفعل كلّ عضو و تحريك كلّ محرّك وتحرّك كلّ متحرّك اكل له ولمّا كان مراتب الانسان كثيرة كان طيّبات

---

۱. تفسير الصافى ج۳ ص۴۰۱ و مجمع‌البيان ج۴ ص۱۰۸

كلّ مرتبة من جهتها الخلقيّة ما كانت ملائمة ملذّة لها ومن جهتها الحقّيّة ما كانت مباحة مكسوبة بأمر الله مرضيّة لله سواء كانت موافقة لسائر المراتب او لم تكن.

﴿وَٱعْمَلُواْ صَـٰلِحًا﴾ ليس المراد به فرداً ما الا على التّعيين فانّ الانبياء ان لم يكونوا مأمورين بجميع الصّالحات كانوا مأمورين باكثرها، ولم يكتف تعالى من سائر عباده بفردٍ ما من الصّالحات فكيف بالانبياء عليهم السلام.

فالمراد اعملوا صالحاً عظيماً فانّ التّنوين والتّنكير فى امثاله بعد ماعلم انّه ليس المراد به فرداً ما امّا ان يكون للتّحقير او للتّعظيم.

و التّحقير ايضاً منافٍ لامر الانبياء عليهم السلام فالمراد هو التّعظيم و الصّالح العظيم الّذى لاصالح الاّ بصلاحه، هو الولاية.

فعلى هذا ينبغى ان يفسّر الآية هكذا: يا ايّها الرّسل كلوا من الطّيّبات الّتى هى ارزاق الاعضاء والقوى والمدارك من الاعمال القالبيّة الشّرعيّة والنّفسانيّة النّبويّة واعملوا صالحاً عظيماً هو الولاية والتّوجّهات و الاستعدادات و الالهامات و المشاهدات المتعلّقة بها.

﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الاعمال القالبيّة و القلبيّة ﴿عَلِيمٌ﴾ و يجوز ان يكون الخطاب للرّسل و يكون المقصود بالحكم اممهم

من قبيل ايّاك اعنى واسمعى ياجاره، او يكـون الامـم مـقصودين معهم.

﴿ وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ﴾ اى دينكم او جماعتكم الآمّـون لكم المؤتمّون بكم .

و سوق العبارة يقتضى ان يقال: هذه اممكم لكنّه تعالى لمّا جمع فى حكاية الخطاب او جمعهم فى اصل الخطاب فى العوالم العالية جمع الامم ايضاً فى لفظ الامّة فانّه يطلق على الواحـد و الكثير.

و قرئ انّ مفتوحة الهمزة مشدّدةً ومخفّفةً بالعطف على مـا تعملون او بتقدير اللاّم لتعليل قوله فاتّقون، وقـرئ انّ مكسـورة الهمزة بالعطف على انّى بما تعملون عليمٌ.

﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمۡ فَاتَّقُونِ﴾ والمقصود من الآية انّا ارسلنا الرّسل و بعد مابلّغوا واجاب لهم اممهم و وقـعوا بـيننا وبين عبادنا وصاروا ذوى‌اضافتين اضافة الينا واضافة الى عبادنا قلنا لهم: يا ايّها الرّسل عليهم‌السلام انتم ائمّة لعبادنا فاعملوا الاعمال القالبيّة المرضيّة للنّفوس ولنا حتّى يتأسّى بكم اممكم ولاينزجروا منكم و لاينفروا عنكم و عن‌دينكم، واعـملوا الاعـمال القـلبيّة الّـتى بـها توجّهكم الينا واستفاضتكم منّا حتّى يتمّ تربيتكم لعـبادنا بـحسب الظّاهر والباطن، لانّى بما تعملون من الاعمال القالبيّة والقلبيّة عليمٌ.

و لانّ هذه امّتکم فلیکن المنظور من اعمالکم صلاح حالهم و انا ربّکم الّذی افیض علیکم مابه قوامکم و ما به صلاحکم و صلاح اممکم فاتّقون فی عدم مراقبة حال الامم و عدم التّوجّه الیّ لاخذ مابه صلاح الامم.

﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ یعنی کان امّة کلّ رسولٍ فی‌زمانه امّة واحدة بواسطة مراقبة الرّسول و اجتماعهم علی ملّة ففرقّوا امر دینهم بعد ذهاب رسولهم باستبداد بعضهم بالرّأی و عدم انقیادهم لوصیّ رسولهم و اختیار کلٍّ مذهباً و مسلکاً کما وقع ذلک فی امّة محمّد ﷺ او تفرّقوا بفرقٍ مختلفةٍ لاجل امر دینهم.

﴿زُبُرًا﴾ جمع الزّبور بمعنی الفرقة، و قرئ زبراً بفتح الباء جمع الزّبرة بمعنی القطعة مثل الغرفة و الغرف یعنی فرّقوا امر دینهم قطعاً مختلفة، او تفرّقوا حالکونهم فرقاً مختلفة.

او هو جمع الزّبور بمعنی الکتاب یعنی جعلوا دینهم کتباً یتوسّلون بها و ینصرفون عن صاحب دینهم و قالوا: کفانا کتابنا کما جعل امّة محمّد ﷺ امر دینهم مستنداً الی الکتاب السّماویّ الّذی جمعوه و الی کتبهم الّتی دوّنوها لتصحیح دینهم و علی التّقادیر صحّ جعل زبراً مفعولاً ثانیاً و حالاً.

﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ استینافٌ جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ فی مقام التّعلیل یعنی تفرّقوا لانّ کلّ حزبٍ منهم کانوا بماعندهم من

الامر المتقطع بین الامة انتهی الی التفرقة

العلوم والمسائل والآراء معجبون فارادوا رواج ماعندهم واستنكفوا عن صاحب دينهم.

﴿فَذَرْهُمْ﴾ يعنى اذا كان حال الامم على ماذكر وحال امّتك تصير الى ماذكر فذر الامم ومنافقى امّتك ﴿فِى غَمْرَتِهِمْ﴾ فلا تتعرّض لهم بالرّدّ والقبول﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ اى حين العذاب على يدك او يد خليفتك او حين الموت وظهور عليٍّ عليه السلام.

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ فيستنكفون لذلك عن وصيّك ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ انّه استدراجٌ لهم ومكرٌ ولذا يحسبون ويستنكفون ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: لم لاينبغى هذا الحسبان؟

فقال: لانّا نسارع فى الخيرات لهؤلاء لاولئك وقدمضى بيان هذه الكلمة فى سورة الانبياء عند قوله تعالى: وهم من خشيته مشفقون.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ يعنى بجملة اياته خصوصاً اياته العظمى من الانبياء والاولياء عليهم السلام يذعنون، او الّذين يؤمنون بآيات ربّهم بالبيعة العامّة او الخاصّة او الّذين يؤمنون بالبيعة العامّة او الخاصّة بسبب ايات ربّهم بان صارت الآيات الآفاقيّة و الانفسيّة سبباً .

لان يتوجّهوا الى الانبياء عليهم السلام فأسلموا على ايديهم بالبيعة

العامّة، او الى الاولياء فامنوا على ايديهم بالبيعة الخاصّة ﴿وَٱلَّذِينَ هُم﴾ بعد الاسلام او الايمان.

﴿بِرَبِّهِمْ﴾ المضاف وهو ربّهم فى الولاية ﴿لَا يُشْرِكُونَ﴾ بان بايعوا على ايدى غيرهم او توجّهوا الى غيرهم او اطاعوا او اتّبعوا اهواءهم.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟﴾ يعطون مااعطوا من الصّدقات اومن جملة الاعمال الآلهيّة وقرئ‌يأتون مااتوا من الثّلاثىّ المجرّد يعنى يأتون بما اتوا اى يفعلون مافعلوا.

﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ خائفة من تقصيرهم فى الاعمال لانّهم يعملون انّهم لايستطيعون ان يجاهدوا فى الله حقّ جهاده ولايجاهدون فيه حقّ جهادهم وفسّر فى اخبارنا هكذا وهو خائفٌ راجٍ.

و نقل انّ المؤمن جمع احساناً وشفقةً والمنافق جمع اساءةً وامتناناً.

﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ يعنى قلوبهم وجلة بسبب انّهم كانوا فى الرّجوع والسّلوك الى الله او الى ربّه المضاف، او قلوبهم وجلة من انّهم يرجعون بعد الى الله او الى ربّهم المضاف مع تقصير، او قلوبهم وجلة من فوت الرّجوع الى ربّهم ومن انّه لايمكنهم الرّجوع الى الحضور عندالرّبّ المضاف بالفكر المصطلح

للصّوفيّة الّذى هو تمثّل صورة الشّيخ عند السّالك.

او قلوبهم وجلة لانّهم كانوا فى السّلوك الى ربّهم المضاف وكلّما قربوا منه استشعروا بعظمته اكثر من السّابق وكلّما استشعروا بعظمته اشتدّت الخشية والهيبة منه عليهم.

و فى خبرٍ عن اميرالمؤمنينعليه السلام ثمّ قال: ماالّذى اتوا، اتوا والله الطّاعة مع المحبّة والولاية وهم فى ذلك خائفون ليس خوفهم خوف شكٍّ ولكنّهم خافوا ان يكونوا مقصّرين فى محبّتنا وطاعتنا[۱].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ فى مقابل ايحسبون انّما نمدّهم به من مالٍ وبنين نسارع لهم فى الخيرات.

و انّما نسب الفعل ههنا اليهم للاشعار بانّ عملهم و اوصافهم المذكورة وان لم‌تكن سبباً فاعليّاً للخيرات و مسارعتها لكنّها سبب قابلىّ لها وانّهم ان وصلوا الى خير كان ذلك بعملهم بخلاف المسارعة هناك لانّها كانت هناك عبارةً عن الامداد بالمال والبنين وليس ذلك الاّ من الله وليس مسارعة فى الخيرات بل استدراجاً و مسارعة من الله فى العقوبة انّما يريد الله ليعذّبهم بها فى الحيوة الدّنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون.

﴿وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ اى لاجلها متّصفون بالسّبق، او سابقون النّاس فى القرب عند اللّه او سابقون النّاس الى الطّاعة او

التكليف بقدر وسع النفس

---

۱. تفسير الصافى ج۳ ص۴۰۲

الثّواب او الجنّة او هم اخرون لها قبل الاخرة او قبل النّاس و على هذا يكون اللاّم‌زائدة للتّقوية.

﴿وَلَا نُكَلِّفُ﴾ عطف فيه رفع توهّم فانّه قديتوهّم متوهّم انّه لايمكن الجمع بين تلك الاوصاف بحقائقها، او يتوهّم انّ الفرحين بما عندنهم لايقدرون على الاقدام على الاوصاف فرفع ذلك بقوله لانُكَلِّفُ﴿نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ الوسع مثلّثة الواو الجدة والطّاقة يعنى لانكلّف نفساً الاّ بقدر طاقتها او مايسعه طاقتها بان يكون دون طاقتها.

﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ﴾ رفع توهّمٍ اخر فانّه قديتوهّم انّ الامداد بالاموال والبنين ابطرهم فلا ينبغى ان يمدّهم الله.

فقال: انّ امددنا واستدراجنا كان بسؤ فعلهم ولدينا كتاب هو كتاب اعمالهم الّذى يكتبه الحفظة او كتاب هو الكتاب السّابق على وجودهم من الالواح العالية ينطق بالحقّ، نسبة النّطق الى الكتاب مجاز او لانّ الكتب العالية كلّها حيوة وعلم و شعور و نطق.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بزيادة العقاب او بالعقوبة من دون استحقاق ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾ فى غفلةٍ غامرةٍ ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾ الكتاب او ممّا ذكر من اوصاف الاخيار السّابقين او من اتّصاف الاخيار بتلك الاوصاف او من القران كما فى تفسير القّمىّ.

﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ التّفرّق فى الدّين

والفرح بما لديـهم والاعـجاب بآرائـهم او مـن دون ذلك الجـهل والغمرة ﴿هُمْ لَهَا عَـٰمِلُونَ﴾ ممّا يكون عبادة للهوى سواء كـان بصورة العبادات او بصورة المعاصى.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾ متنعّميهم ﴿بِالْعَذَابِ﴾ غاية لعملهم او لكون قلوبهم فى غمرة، وخصّ المـترفين لانّـهم كـانوا منشاءً لكفرهم وكفر غيرهم؛ ولانّ المترفين لايتنبّهون ولايتضرّعون بمؤاخذة غيرهم، والمراد عذاب الموت والآخرة، او عذاب الدّنـيا، وفسّر بقتلهم يوم بدرٍ وبالاخذ بالجوع حين دعا عليهم رسول الله ﷺ فقال: اللّهمّ اشدد وطأتك على مضر [۱] و اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف عليه السلام فابتلاهم بالقحط حتّى اكلوا الجيف والكلاب.

﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾ جأر كمنع رفع صوته بالدّعاء وتضرّع و استغاث ﴿لَا تَجْـَٔرُوا الْيَوْمَ﴾ بتقدير القول جواب لسؤالٍ مقدّرٍ ﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ اى لاتنصرون من قبلنا او لاتنصرون من عذابنا.

﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِى تُـتْلَىٰ عَـلَيْكُمْ فَكُـنتُمْ عَـلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ اى ترجعون والنّكـص لايكـون الاّ فـى الرّجوع عن الخير و قدمضى انّ النّاس كلّهم مفطورون على الخير

۱. مضر كزفر ابو قبيلةٍ ولقّب بمضر الحمراء لانّه ورث من ابيه الذّهب، اولأنّهم كانوا رفعوا فى الحرب رايةً حمراء.

وذاهبون على فطرة الخير و يشبّه الرّاجع عن الدّين والخير مالم‌يقطع فطرته بمن يرجع عن المقصد رجوع القهقرى على عقبيه لانّه ببقاء فطرته كان وجهه الى مقصده وان كان يتنزّل عمّا كان فيه من الخيرات الحاصلة له بفطرته او بكسبه.

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾ اى بالبيت او ببلد مكّة، وشهرة افتخارهم و استكبارهم بالبلد الحرام والبيت الحرام اغنت عن ذكره سابقاً، او بالقران.

فانّ تلاوة الآيات تدلّ عليه، او بمحمّدﷺ فانّ كونه جارياً على السنتهم فى محافلهم قرينة له، ولفظ الباء على الاولين للسببيّة، اوصلة مستكبرين بتضمين مثل معنى التّكذيب.

و يجوز ان‌يكون متعلّقاً بتهجرون، والباء للظّرفيّة على ان يكون الضّمير للبيت او الحرم، او للسّببيّة او للالصاق على ان يكون الضّمير للقران او لمحمّدٍﷺ.

﴿سَـٰمِرًا﴾ اسم لجماعة السّامرين اى المتحدّثين باللّيل بما لافائدة فيه او اسم لمحلّ السّمر ﴿تَهْجُرُونَ﴾ اى تقطعون عن محمّدٍﷺ او تهزأون او تستهزئون او تفجشون قرئ بفتح التّاء وضمّ الجيم وبضمّ التّاء وكسر الجيم.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾اى الم يكترثوا بك وبادّعائك الرّسالة فلم يدّبّروا القران او لم‌يدّبّروا قولك حتّى يعلموا انّه ليس

من هوىً نفسانىّ وامراض قلبيّة واغراض دنيويّة.

﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ من الكتاب والشّريعة والرّسول حتّى كانوا لميعرفوا ولميسمعوا بمثله.

ولذلك ينكرونه ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ﴾ بالنّسب والحسب وبالصّدق والامانة من اوّل نشوه.

﴿فَهُمْ لَهُۥ﴾ لاللشّريعة والكتاب ﴿مُنكِرُونَ﴾ لعدم معرفته بحاله ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ جنون ولذلك ينكرونه ﴿بَلْ﴾ ليس شيءٌ من ذلك.

فانّ الشّريعة و الرّسالة و الكتاب كانت سيرة الهيّة جاريةً من لدن ادم و كان رسولهم معروفاً لهم بالحسب و النّسب والصّدق والامانة بحيث لقّبوه محمّداً الامين وكان فيهم مالميدّع الرّسالة اعقلهم ولكن.

﴿جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ الّذى لميكن سنخاً لهم لانّهم كانوا باطلين وسنخاً للباطل.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ لعدم سنخيّتهم له و عدم موافقته لاهوائهم.

بانّ الحقّ لايتبع الاهواء

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾ الحقّ المطلق هو الله، والحقّ المضاف مشيّته وهى فعله تعالى ثمّ الولاية ثمّ النبوّة ثمّ الرّسالة ثمّ كلّ ما كان الحقّيّة فيه غالبةً والبطان مغلوباً.

﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ لانّ

اهواءهم لاتتجاوز عمّا فيه مشتهى نفوسهم من غير ملاحظة غايةٍ لذلك المشتهى و من غير ملاحظة حقوق من فى عالمهم الصّغير و من فى العالم الكبير و لو لم‌يراع الحقوق لفسدت السّماوات والارض ومن فيهنّ فى العالم الصّغير وفسد من فى العالم الكبير وفسد سماوات العالم الكبير وارضه لفساد غايتهما الّتى هى صلاح من فيها.

﴿بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ يعنى انّ انكار الحقّ الّذى جاء به محمّدﷺ امر عظيم وهؤلاء لخروجهم عن الفطرة الانسانيّة انكروا انكاراً اعظم منه وهو انكارهم ذكرهم و شرفهم او وعظهم و نصحهم و قد اتينا نحن ذلك لهم فهو اضراب من الادنى الى الاعلى.

و المراد بالذّكر الرّسول او القران او الشّريعة او السّلطنة ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم﴾ الّذى اتيناهم نحن به﴿مُّعْرِضُونَ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ﴾ يعنى بل ليس المانع شيئاً من ذلك ولكن تسألهم﴿خَرْجًا﴾ فيثقل ذلك الخرج عليهم فينكرون رسالتك لذلك فلا تسألهم ذلك ان كنت تسألهم ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ لك من كلّ خراج فانّ خراجه كلّ ماسواه.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ قدسبق بيان كونه خير الرّازقين فى سورة الحجّ ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

جملة حاليّة يعنى ليس انكارهم لانّك تدعوهم الى صراطٍ معوّج فلم يقبله عقولهم كأنّه قال ام تدعوهم الى صراطٍ معوّج.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ وضع الظّاهر موضع المضمر لتعليل الحكم، وللاشارة الى ذمٍّ اخر لهم وهو فى معنى لكن الّذين لايذعنون بالآخرة﴿عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾ اى عادلون ولذلك ينكرون وقدفسّر الصّراط المستقيم فى الآية بولاية علىّعليه السلام وعدولهم عن الصّراط بعد ولهم عن علىّعليه السلام او عن الامام.

و عن اميرالمؤمنينعليه السلام انّ الله تبارك وتعالى لوشاء لعرّف العباد نفسه ولكن جعلنا ابوابه و صراطه وسبيله و الوجه الّذى يؤتى منه، فمن عدل عن ولايتنا او فضّل علينا غيرنا فانّهم عن الصّراط لناكبون[1].

﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا﴾ لداموا على الخصومة ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ فى طغيانهم متعلّق بلجّوا او بيعمهون اى يتردّدون فانّ العمه بمعنى التّردّد فى الضّلال والتّحيّر فى الطّريق.

روى انّهم قحطوا حتّى اكلوا العلهر[2] فجاء ابوسفيان الى

---

١. تفسير الصافى ج٣ ص ۴٠۶

٢. العلهر كزبرج طعام يتّخذ من الدم والوبر كانوا فى الجماعة يتّخذونه.

رسول‌الله صلی‌الله علیه وآله فقال: أنشدك الله والرّحم الست تزعم انّك بعثت رحمةً للعالمين قتلت الاباء بالسّيف والابناء بالجوع فنزلت[1].

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم بِالْعَذَابِ﴾ يعنى القتل يوم بدرٍ او الجوع و القتل و الخوف ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾استكان استفعل من الكون بمعنى الّذلّ، او افتعل من السّكون اشبع فتحة الكاف وله النّظير فى لغتهم مثل المنتزاح فى المنتزح يعنى انّهم مااستكانوا حين الابتداء.

﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ والحال انّ المقصود من ارسال الرّسل وانزال العذاب تضرّع العباد واستكانتهم لربّهم فكيف يتضرّعون حين رفع العذاب عنهم وقدفسّر الاستكانة بالدّعاء وبالخضوع والتّضرّع بالدّعاء، وبرفع اليدين بالدّعاء.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ يعنى انّ شيمتهم العتوّ فى كلّ حال حتّى اذا انفتح عليهم باب من جهنّم او باب عذاب اخر مثل عذاب فتح مكّة او باب الى العذاب حين الموت او حين الرّجعة كما فى الخبر.

﴿إِذَا هُمْ فِيهِ﴾ اى فى الباب او فى العذاب ﴿مُبْلِسُونَ﴾ متحيّرون ائسون عن الخير او مبتلون بالشّرّ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ التفات من التّكلّم الى

---

۱. تفسير الصافى ج۳ ص ۴۰۶ ،نقله عن الكتاب الجوامع

الغيبة بالنّسبة الى المتكلّم، و من الغيبة الى الخطاب بـالنّسبة الى المخاطبين وصرف للخطاب من محمدٍ صلی الله علیه وآله اليهم.

و الجملة حال او معطوفة والمقصود انّه تعالى لم‌يمنعهم مابه يتدبّروا القول فلم‌يكن منه تعالى اهمال لمايحتاجون اليه فى تدبير القول لكنّهم لكفر انهم بانعم الله كفروا بمثل هذه النّعم الّتى هى اصل جميع النّعم ولم‌يستعملوها لماخلقت لاجله من النّظر والعبرة وتمييز الحقّ عن الباطل والمبطل من المحقّ.

ولذلك قال ﴿قَلِيلاً مَّا﴾ اى شكـراً قـليلاً ﴿تَشْكُـرُونَ﴾ فلاتستعملون النّعم فى وجهها، ولمّا كان المقصود انّه لامـانع مـن قبله فى قبولهم الرّسالة اتى بهذه الثّلاث الّتى هى المحتاج اليها فى التّدبير والّتميز دون سائر المدارك والقوى.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ اى خـلقكم فـيها ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ يعنى انّه مبدؤكم ومعادكم فلا ينبغى تـرك النّظر فى نعمه و ترك التّدبّر فى امره ونهيه.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَـٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ اى تعاقبهما او زيادة كلّ منهما ونقصانه او اختلاف كلّ مع الآخر بالزّيادة والنّقصان او فى الكيفيّة او فى الاظلام والاضاءة والمراد باللّيل والنّهار صورتهما المشـهودة فـانّ تـعيّش الانسـان واسباب تعيّشه منوطة بهما.

او اعمّ منها كأنّه قال: وهو الّذى يجعل سائر المتضادّات بين العباد كما انّه يحيى ويميت ويوجد هذين المتضادّين بين عباده، واللاّم فى مثله يجوزان يكون هى اللاّم الدّاخلة على المبدأ او الغاية او المملوك.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ذلك فتعلّموا انّ من من بيده ذلك كلّه حقيق بان يتضرّع عليه ويسأل منه وينقاد له ﴿بَلْ قَالُوا﴾ يعنى انّهم لايتفكّرون حتّى يعلموا انّ الله هو المبدئ المعيد بل قلّدوا اباءهم الجهلة واسلافهم الضّالّين فقالوا.

﴿مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ يعنى استغربوا البعث الّذى ينبغى ان يقرّوا به ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَـٰذَا مِن قَبْلُ﴾ ولو كان حقّاً لظهر اثره فى تلك المدّة المديدة.

﴿إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ الاساطير الاحاديث الّتى لانظام لها جمع الاسطار والاسطير بكسر الهمزة فيهما والاسطور بضمّها وقديلحق التّاء بالثّلاثة بمعنى الحديث الّذى لانظام له، وامّا الاساطير جمع الاسطار جمع السّطر بمعنى الخطّ والكتابة فغير مناسب.

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يعنى انّهم يقرّون انّ الخالق هو الله فذكّرهم الاقرار ثمّ نبّههم على انّ

الابداء اصعب من الاعادة ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ يعنى انّهم يظهرون فى جوابك اقرارهم بانّه المبدء فنبّههم بعد ذلك .

و﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ انّ الاعادة اسهل من الابداء﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ يعنى من خالقهما ومدبّر امورهما مع عظمهما وكثرة مافيهما من الملائكة والكواكب.

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ و قرئ: سيقولون الله، وهو اوفق بالسّؤال ﴿قُلْ﴾ لهم بعد الاقرار بانّ الله خالقهما ومدبّرهما ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ سخطه فى مخالفته ومخالفة رسوله ﷺ فى انكار الاعادة او مطلقاً.

﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يعنى من بيده تدبير كلّ شيءٍ و التّصرّف فيه و التّسلّط عليه فانّ الملكوت هو باطن الاشياء المسلّط عليها والمتصرّف فيها بايّ تصرّف شاء،﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾ اى يغيث ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ يعنى لاحد يغيث مغضوبه وقرئ بدون اللاّم ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ اى كيف يخيّل اليكم الحقّ باطلاً مع وضوحه او كيف تعمون عن صحّة الاعادة مع ظهور الادلّة او كيف تخدعون.

﴿بَلْ﴾ ليس انكارهم وقولهم ذلك عن خفاء دليل المدّعى ولا عن ظهور دليل الانكار لكن ﴿أَتَيْنَـٰهُم بِالْحَقِّ﴾ الّذى هو الولاية فى مظهر الرّسول ﷺ الّذى ليس فى وجوده الاّ الحقّ والبعث

والحشر، و الاقرار بالرّسول ليس الاّ من اثار الحقّ؛﴿وَ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ مطلقاً ليس فى وجودهم جهة صدق حتّى يصحّ تقييد كذبهم بغيرها ومن لم‌يكن فى وجوده جهة حقّ وصدق لايصدّق الحقّ الّذى اتيناهم به.

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ جواب سؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: قدعلم حال منكرى البعث فماحال من جعل الله ولداً ومن جعل معه الهة اخرى أصحيح هذا منهم املا ؟

فقال: مااخذ الله من ولدٍ لانّ الولد مايكون مماثلاً للوالد فى الّذات لوازمها فلوكان لله ولد لكان مثله الهاً ولوكان مثله الهاً اخر لزمه مالزم كون الالهة معه ولذلك لم‌يأت ببرهان بطلانه واكتفى ببرهان تعدّد الآلهة.

﴿وَ مَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ﴾ اذاً ظرف لمحذوف والتّقدير لوكان معه اله اذاً لذهب ﴿كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يعنى لوكان الاله اثنين لايخلو امّا ان يكونا قادرين قويّين او عاجزين ضعيفين، او يكون احدهما قادراً قويّاً والآخر عاجزاً ضعيفاً، فان كان احدهما قويّاً والآخر عاجزاً يكون الآله واحداً، وان كانا ضعيفين لم‌يكن شيءٌ منهما الهاً للضّعف الظّاهر فيهما، وان كانا قويّين قديرين لزم ان يكون كلّ منهما قادراً عاجزاً غالباً مغلوباً؛ و هو محال.

و ذلك لانّ اقتضاء الآلهة القدرة التّامّة واقتضاء القدرة التّامّة ان يكون كلّ ماسواه مقدوراً له فلو فرض الآله اثنين لزم ان يكون كلّ واحد منهما قادراً لفرض الآلهة فيه مقدوراً لغيره لفرض الآلهة غيره، فهذه الحجّة من الله تعالى برهان تامّ لو انفضّهم اليه بعض المقدّمات المذكورة المعلومة من عنوان الالهة ويكون معنى قوله لعلا بعضهم على لعلا كلّ بعضٍ منهم على كلّ بعضٍ بجعل اضافة البعض للاستغراق.

﴿ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ﴾بمنزلة النّتيجة للسّابق ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من الولد والشّريك ﴿عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

اعلم، انّ العلم كما مضى فى اوّل الكتاب وفى سورة البقرة قديكون بحضور ذات المعلوم عند العالم ويسمّى علماً حضوريّاً وهذا علم حقيقة ولايكون هذا العلم الاّ باحاطة العالم على المعلوم وصيرورة المعلوم من شؤن العالم واظلاله، وقديكون بحصول صورة من المعلوم عند العالم تكون تلك الصّورة هى المعلومة حقيقة والمعلوم يكون معلوماً بالعرض لابالّذات، وان كان مقصوداً بالّذات.

و هذا العلم يسمّى بالظّنّ لانفكاك معلومه عنه وجواز عدم مطابقته له، و علم البارى تعالى شأنه بالاشياء من القسم الاوّل لانّ

صفحة الاعيان بالنّسبة اليه تعالى كصفحة الاذهان بـالنّسبة اليـنا، ونسبة جميع الموجودات اليه تعالى كنسبةالصّـور الذّهـنيّة اليـنا، فكما انّ الصوّر الذهينّة محاطة لنا و منوطة بارادتنا و التـفاتنا اذا اردنا بقاءها كانت باقية و اذا اردنا فناءها صارت كذا الموجودات المعلومات له تعالى بالنّسبة اليه.

و المراد بالغيب والشّهادة عالم الغيب الغائب عن المـدارك الحيوانيّة وعالم الشّهادة المدرك بها، ولمّا كانت الموجودات بحكم العقل محصورة فيهما فقوله عالم الغيب و الشّـهادة بـمنزلة عـالم جميع الموجودات.

و لمّا كان علمه بجملة الموجودات بنحو الاحاطة والتّسلّط على‌الابقاء والافناء كان قوله عالم الغيب والشّهادة بمنزلة مـحيط بجملة الموجودات قاهر على الكلّ ولذلك اتى بقوله فتعالى عـمّا يشركون بنحو التّفريع واتى ههنا بفاء التّفريع دون قوله سبحان اللّه عمّا يصفون مع انّ كلاًّ منهما تفريغ ونتيجة لسابقه.

لانّ فى قوله سبحان الله معنى التّعجّب، فانّه قلّما يستعمل خـالياً مـن التّعجّب والمناسب لانشاء التّعجّب القطع عـن السّـابق بـخلاف تـعالى عـمّا يشركون فانّه خال عن التّعجّب و اخبار بنتيجة السّابق.

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي﴾ ان ترنى ﴿مَا يُـوعَدُونَ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰـلِمِينَ﴾ وضع الظّـاهر مـوضع

المضمر لذّم اخر والجملة تهديد لهم بترقّب نزول العذاب عليهم.

﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ٱدْفَعْ﴾ جواب لسؤالٍ مقدّرٍ؛ كأنّه قال: فما افعل بهم؟ - قال: ادفع ﴿بِـ﴾ الخصلة ﴿ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ او بالحسنة الّتى هى احسن او بالدّفعة الّتى هى احسن ﴿ٱلسَّيِّئَةَ﴾ اى سيّئة نفسك او سيّئة غيرك والخطاب لمحمّدٍ ﷺ لكن امّته مقصودة بالخطاب وهذا تأديب حسن له ولامّته.

بيان فى الدّفع بالاحسن الى المسيئ

اعلم، انّ رفع اساءة المسيء يتعقّل بالاساءة اليه بما يتعقّل الاساءة اليه من قتله و قطع اطرافه و شقّها و ضربه زائداً على قدر اساءته او مساوياً او ناقصاً منه، و العفو عنه و الصّفح اى تطهير القلب من الحقد عليه و الاحسان اليه.

و الخصلة الحسنى على الاطلاق هى الاحسان الى المسيء فانّه يترتّب عليه المحبّة و الوداد ويتعقّبه مافى قوله تعالى فاذا الّذى بينك وبينه عداوة كأنّه ولّى حميم.

و لمّالم يكن الافعال حسنها وقبحها الاّ باضافتها الى مباديها وغاياتها، وان كانت متعدّية اعتبرت اضافتها الى من وقعت عليه بل قديعتبر فيهما الاضافة الى المكان والزّمان والآلة والحاضرين و غيرها لم يكن المراد الدّفع بالاحسن مطلقاً بل الدّفع بالاحسن بالاضافة الى الفاعل والمنفعل و المكان و الزّمان و غير ذلك لانّ صاحب النّفس الّتى لم ترض من الجانى الاّ بقتله او باضعاف جنايته لم يكن الدّفع منه بالاحسن الاّ بالاقتصاص.

و من يقدر على كظم الغيظ كان الدّفع بالاحسن منه بكظم الغيظ، ومن يقدر على

الصّفح كان الصّفح منه احسن، و من يقدر على الاحسان الى المسئ كان الاحسان منه احسن، و الاحسان الى الجانى الّذى يزيد الاحسان فى طغيانه لم يكن حسناً بل كان قبيحاً و هكذا ترك التّعرّض لمن يزيد عدم التّعرّض فى اعتدائه.

و هكذا الحال بالنّسبة الى الزّمان و المكان و الآلات و السّامعين و الشّاهدين فعلى هذا كان معنى الآية انظر الى المسيء وحالاته وزمان رفع اساءته ومكانه فادفع بالّتى هى احسن بالنظّر الى جميع مايضاف الدّفع اليه السّيّئة سواء كانت تلك السّيّئة من جنودك و قواك او من انسان سواك، او من حيوانٍ سوى الانسان فاقتل من ينبغى ان يقتل و اقطع من ينبغى ان يقطع اطرافه، و اقتصّ ممّن ينبغى ان يقتصّ منه و اضرب، من ينبغى ان يضرب، و ادّب لساناً من ينبغى ان يؤدّب لساناً، و احسن الى من ينبغى ان يحسن اليه.

و قوله تعالى: فاذا الّذى بينك وبينه عداوة كأنّه ولىٌّ حميمٌ اراد بالاحسان فيه فعلاً يلائم و يوافق مرتبة المسئ من غير نظرٍ الى حال الفاعل و لا الى حال المسئ كما يجوز ان يكون المراد بالاحسان فيه فعلاً يلائم و يوافق مرتبة المسيء من غير نظر الى حال الفاعل و لا الى حال المسيء كما يجوز ان يكون المراد بالاحسان ههنا ايضاً ذلك بقرينة قوله تعالى.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ فانّ معناه و لاتتعرّض لهم بالزّجر و المكافاة لانّا نحن اعلم بما يصفون، و لفظة ما مصدريّة او موصولة.﴿وَ قُل﴾ اذا ازعجك الشّيطان للاساءة الى المسيء ﴿رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَاطِينِ﴾ الهمز الغمز و الضغط و الطّرد و الدّفع و الضّرب و العضّ و الكسر، و همزات الشّياطين زعجاتهم و ضغطاتهم.

﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ فانّ حضورهم ليس

الاّ لمناسبة مابينى وبينهم ويتولّد من حضورهم مناسبة اخرى فاعذنى من حضورهم يعنى من مناسبتى لهم وتولّد مناسبة اخرى منهم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ غاية ليصفون او لكاذبون او لقوله قالوا مثل ماقال الاوّلون .

﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ اتى بارجعون جمعاً امّا لتشريك الملائكة معه تعالى او لتعظيم الرّبّ ﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ فرداً من الاعمال الصّالحة او صالحاً عظيماً هو ولاية علىّ بن ابى طالب عليه السلام لانّه يظهر حينئذٍ انّ الرّبّ المضاف كان عليّاً عليه السلام، وان لايقبل عملٌ الاّ بولايته وان لاصالح الاّ هى، وان كلّ صالح صالح بها.

﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾ اى فى الدّنيا الّتى تركتها او فى الاعمال الّتى تركتها، او فى الولاية الّتى تركتها وقدفسّر فى الاخبار المتروك بالزّكوة المتروكة ﴿كَلَّآ﴾ جواب وردع لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: هل يجيب الله سؤالهم؟

فقال: كلاّ وارتدع عن هذا السّؤال او كأنّه قيل: هل يعمل صالحاً ان رجع الى الدنيا؟

قال: كلاّ ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾وليس اجابة لها او ليس يعمل صالحاً ان رجع ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ امامهم او خلفهم فانّ

الكفّار حين الرّجوع الى الآخرة يكونون مقبلين على الدّنيا ومدبرين عن الآخرة لتعلّق قلوبهم بالدّنيا ووراء بتثليث الآخرة مبنيّة، والوراء معرّفة باللاّم بمعنى قدّام وخلف.

﴿بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ للحساب او للجنّة والنّار والمراد يوم القيامة و يوم انتهاء البرزخ و انتقال اهل الجنّة الى الجنّة واهل النّار الى النّار.

بيان لترقّى الارواح فى البرزخ

و البرزخ هو الحاجز بين الشّيئين ويسمّى مابين عالم الطّبع وعالم المثال برزخاً لكونه بين الدّنيا والآخرة فانّ الدّنيا دار ابتلاءٍ وامتحانٍ و الآخرة دار راحةٍ وقرارٍ، والبرزخ بينهما هو الّذى يدخله الانسان بعد الموت و لايستقرّ فيه بل يجوزه سريعاً او بطيئاً بتعبٍ او براحةٍ، وهو الّذى يسمّى بهور قوليا وبعده جابلسا كما انّ قبله جابلقا وهو المدينة الّتى لها الف الف بابٍ ويدخله كلّ يوم مالايحصى من خلق الله ويخرج منه كلّ يوم مثل ذلك .

و قدسبق الاشارة اليه فى سورة البقرة عند قوله تعالى: فسجدوا الاّ ابليس وفى غيرها، وقداختلف الاقوال فى انّ للانسان بعد الموت ترقّياً وتنزّلاً فقيل: انّ التّرقّى والتّنزّل والخروج من القوّة الى الفعل لايكون الاّ فى الدّنيا لانّ حامل القوّة وهو المادّة لايكون

الاّ فی الدّنیا وبعد الموت والانفصال من المادّة لایکون قوّة حتّی یکون خروج من القوّة الی الفعلیّة العلویّة او السّفلیّة.

فلایکون التّرقیّ والتّنزّل، والمأثور من الانبیاءعليهم السلام و اتباعهم انّ عالم البرزخ عالم فیه یتخلّص النّفوس عن شوائبها الغریبة فان کانت النّفوس سجّینیّة تخلّصت من شوائب العلّیّین حتّی اذا بلغت الی الاعراف لمیکن علیها من العلّیّین شیءٌ، واذا کانت علّیّینیّةً تخلّصت من شوائب السّجّین.

فاذا بلغت النّفوس الی الاعراف خالصة من الشّوائب الغریبة دخلت کلّ منها مقرّها من الجحیم والجنان وهذا فی الحقیقة طرح للغرائب وظهور لماهو ذاتیّ ولیس خروجاً من القوّة الی الفعلیّة بل ظهور للفعلیّة الحاصلة فلا منافاة بین ماورد فی الشّرائع الآلهیّة وبین ماقاله الحکماء من طریق الموازین العقلیّة ولیس الوقوف فی البرازخ لکلّ احدٍ بل الخارج الی الفعلیّات السّفلیّة من غیر بقاء اثر من الفعلیّات العلویّة علیه، و الخارج الی الفعلیّات العلویّة من غیر بقاء شوب من العفعلیّات السفلیّة علیه اذا ماتا دخلا مقرّهما من غیر وقوف، وماورد انّ بعض النّاس یمرّ علی الصّراط کالبرق الخاطف، اشارة الیهما.

وغیر هذین الصّنفین له وقوف فی البرازخ قلیلاً او کثیراً معذّباً او غیر معذّبٍ حتّی یخلص من الشّوائب الغیر الذّاتیّة ویدخل

مقرّه، ولاشكّ فى انّ المسلم قديكون له برزخ.

و امّا المؤمن الّذى بايع البيعة الخاصّة و قبل الولاية و دخل الايمان فى قلبه و دخل هو فى امر الائمّة فاكثر الاخبار تدلّ على ان ليس له برزخ و يكون برزخه و خلاصه من الشّوائب قبل الموت، و عند الموت لايكون عليه شوب حتّى يحتاج الى الوقوف فى البرازخ.

و فى بعض الاخبار دلالة على انّ المؤمن ايضاً قديوقف فى البرازخ وشهود اهل الشّهود يدلّ على ذلك لكن هذا الوقوف لقليل من المؤمنين الضّعيف الايمان، واكثرهم لاوقوف لهم فى البرازخ.

و التّحقيق انّ المؤمن اذا خرج من حدود نفسه او لم‌يخرج لكن كان فى وجودة قوّة مهيّجه له على الخروج لايوقف فى البرازخ، واذا لم‌يخرج من حدود نفسه ولم‌يكن له قوّة مهيّجة على الخروج وكان راضياً ببيت نفسه مطمئنّاً بارض طبعه يوقف لامحالة فى البرازخ بحسب تفاوت غرائبه وتفاوت تشبّثها وقدشوهد لبعض المؤمنين تكرار الموت ونزع الرّوح فى البرزخ.

فاتّقوا اخوانى وقوفات البرزخ وموتاتها، ولتنظر نفس ماقدّمت لغدٍ؛ فما ورد من انّ المؤمن لايخرج من الدّنيا الاّ بعد طهارته من الذّنوب.

انّما هو لمن كان خارجاً من حدود نفسه او من كان فيه قوّة مهيّجة، و ماشعر بوقوفه فى البرزخ كان لمن لم‌يخرج ولم‌يكن فيه قوّة مهيّجة.

فلاانساب بين النّاس بعد نفخ الصّور

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ﴾ الصّور بضمّ الصّاد وسكون الواو القرن الّذى ينفخ فيه.

شرح فی نفخ الصّور

و ورد فی الاخبار انّه قرن من نورٍ ینفخ فیه اسرافیل وله رأس وطرفان فینفخ فیه اسرافیل فیخرج الصّوت من الطّرف الّذی یلی الارض فیموت اهل الارض، ویخرج الصّوت من الطّرف الّذی یلی السّماوات فیموت اهل السّماوات ثمّ یمکث الارض والسّماوات خالیة من اهلها وسکّانها ماشاء الله بعد ماامات الله جبرائیل ومیکائیل و اسرافیل و عزرائیل.

ثمّ ینفخ الله فی الصّور او یبعث الله اسرافیل فیأمره فینفخ فی الصّور مرّة اخری وله ثقب بعدد ارواح الخلائق فیخرج الصّوت من احد طرفیه الّذی یلی السّماوات فلایبقی فی السّماوات احد الاّ حیی وقام کماکان ویعود حملة العرش و یحضر الجنّة و النّار و تحشر الخلائق للحساب.

و قیل: انّ الصّور ههنا وفی غیر هذا الموضع ممّا ذکر من امثال الآیة جمع الصّورة ویؤیّد هذا قراءته بضمّ الصّاد وفتح الواو وبکسر الصّاد وفتح الواو فانّهما لیسا الاّ جمع الصّورة بمعنی الشّکل والهیئة.

قول الرسول ﷺ فی نفخ الصور

و نسب الی السّجّاد علیه السلام انّه سئل عن النّفختین کم بینهما؟ قال: ماشاء الله. فأخبرنی یابن رسول الله ﷺ کیف ینفخ فیه؟ فقال: امّا

النّفخة الاولى فانّ الله عزّ وجلّ يأمر اسرافيل فيهبط الى الدّنيا ومعه الصّور وللصّور رأس واحد وطرفان و بين رأس كلّ طرف منهما الى الآخر مثل مابين السّماء الى الارض، فاذا رأت الملائكة اسرافيل قد هبط الى الدّنيا و معه الصّور.

قالوا: قد اذن اللّه تعالى فى موت اهل الارض وفى موت اهل السّماء، قال: فيهبط اسرافيل بحظيرة بيت المقدّس و هو مستقبل الكعبة فاذا راه اهل الارض قالوا: قداذن الله تعالى فى موت اهل الارض فينفخ نفخة فيخرج الصّوت من الطّرف الّذى يلى الارض فلايبقى فى الارض ذوروحٍ الاّ صعق و مات، و يخرج الصّوت من الطّرف الّذى يلى السّماوات فلايبقى فىالسّماوات ذوروحٍ الاّ صعق ومات، الاّ اسرافيل.

قال‌عليه‌السلام: فيقول الله لاسرافيل: يا اسرافيل مت؛ فيموت اسرافيل، فيمكثون فى ذلك ماشاءالله، ثمّ يأمر السّماوات فتمور، ويأمر الجبال فتسير؛ وهو قوله تعالى يوم تمور السّماء موراً، وتسير الجبال سيراً يعنى يبسط ويبدّل الارض غير الارض يعنى بأرض لم‌تكسب عليها الذّنوب بارزةً ليس عليها جبال ولانبات كما دحاها اوّل مرّةٍ ويعيد عرشه على الماء كماكان اوّل مرّة مستقلاّ بعظمته وقدرته قال‌عليه‌السلام: فعند ذلك ينادى الجبّار تبارك وتعالى بصوتٍ من قبله جهورىّ يسمع اقطار السّماوات والارضين: لمن

الملك اليوم؟

فلا يجيبه مجيب فعند ذلك يقول الجبّار عزّ وجلّ مجيباً لنفسه: لله الواحد القهّار و انا قهرت الخلائق كلّهم و امّتهم انّى انا الله لااله الاّ وحدى، لاشريك لى و لاوزير، وانا خلقت خلقى بيدى، وانا امّتهم بمشيّتى، وانا احييهم بقدرتى.

قال عليه السلام: فينفخ الجبّار نفخة اخرى فى الصّور فيخرج من احد الطّرفين الّذى يلى السّماوات فلا يبقى فى السّماوات احد الاّ حيى وقام كما كان، ويعود حملة العرش ويحضر الجنّة والنّار ويحشر الخلائق للحساب، و قدورد غير ذلك من الاخبار مفصّلاً من اراد فليرجع الى المفصّلات.

ولمّا كانت النّسب الجسمانيّة من التّناسب و المصاهره و هكذا ولاء العتق لاتحصل الاّ بتوسّط المادة الجسمانيّة و الاعتبارات الجرمانيّة سواء حصل التنّاسب بين النّفسين بتلك النّسبة الجسمانيّة او لميحصل، وبالنّفخة الاولى يخلص النّفوس من المادّة الجرمانيّة سواء صارت متعلّقة بابدانٍ مثاليّة او كانت مجرّدة عن ذلك، وبالنّفخة الثّانية لاتعود الموادّ بل الاجسام مجرّدة عن موادّها كان كلّ نسبة وخلّة جسمانيّة منقطعةً فى النّفختين الاّ النّسب الرّوحانيّة الّتى تحصل للانسان باحدى البيعتين او بالسّنخيّة والتّوادد بين المتناسبين فلا يبقى انساب جسمانيّة بينهم.

﴿يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ امّا فى النّفخة الاولى فظاهر وامّا فى النّفخة الثّانية ففى موقف الحساب لافى جميع المواقف فانّ فى بعض المواقف يقبل بعضهم على بعضٍ يستاءلون.

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ قدمضى تحقيق الوزن والميزان وبيان الموازين فى اوّل سورة الاعراف فى نظير الآية.

﴿فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ لانّهم ضيّعوا بضاعتهم الّتى هى فطرتهم الانسانيّة ومدّة عمرهم من غير اكتساب كمالٍ لنفوسهم فأنفدوا بضاعتهم من غير عوضٍ ﴿فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ لعدم بقاء الفطرة الّتى تكون غير ملائمة للجحيم ومخرجة منها.

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ لفح النّار بحرّها: احرقت، والجملتان خبر ان بعد خبرٍ او الّذين خسروا انفسهم صفة وفى جهنّم خالدون خبره.

او فى جهنّم خالدون حال وتلفح وجوههم خبر، او الجملتان حالان مترادفتان او متداخلتان او مستأنفتان.

﴿وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ كلح: كمنع كلوحاً وكلاحاً بضمّهما تقلّص شفتاه فى عبوسٍ سواء كان فى تبسّم او غيره و هذه الجملة حاليّة او معطوفة.

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ جملة مستأنفة بتقدير القول و جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: مايقال لهم حينئذٍ؟

فقال: يقال: لتأنيبهم: الم تكن اياتى تتلى عليكم ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ قَالُواْ﴾ هذا ايضاً جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: فما يقولون؟ ـ فقال: يقولون لكنّه عدل الى الماضى لتحقّق وقوعه.

﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ فلم تدعنا نتّبع اياتك وقادتنا الى تكذيب الآيات وسوء العاقبة.

﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ بحسب الفطرة ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا﴾ الى ما كنّا فيه.

﴿فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ﴾ كأنّهم اعتذروا عن تكذيب الآيات فى الكرّة الاولى بكونهم مقهورين للشّقوة وعدم رادعٍ لهم من اتّباع الشّهوة لامن انفسهم ولامن الخارج لانّهم كانوا ضالّين عن الطّريق فما امكن لهم التّوسّل بآثار الطّريق و عقباتها.

وقالوا : ان رجعنا لانكذّب لماعلمنا الطّريق واثارها وعقباتها فلا نخرج ولانضلّ عن الطّريق.

واذا لمنضلّ عن الطّريق لمنضلّ عن صاحبها، واذا لمنضلّ عن صاحبها لانكذّب وان نكذّب كنّا حينئذٍ ظالمين بوضعنا التّكذيب الّذى لاينبغى لنا موضع التّصديق الّذى كان من شأننا، و امّا التّكذيب السّابق فكأنّه كان مقتضى ضلالتنا ولميكن ظلماً منّا.

﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا﴾ اخسأ كلمة تقال لزجرا الكلب ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ هاتان الكلمتان اظهار لغاية السّخط عليهم وردع

لهم عن ساحة حضوره ومحلّ خطابه.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ﴾ حالاً وقالاً ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ يعنى انّ جماعة من عبادى وهم الّذين تولّوا عليّاًعليه السلام بالبيعة الخاصّة توسّلوا بى وتضرّعوا علىّ والتجأوا الىّ.

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ قرئ بضمّ السّين وكسرها ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ﴾ يعنى صاروا بسبب اشتغالكم باستهزائهم اسباباً لنسيانكم ﴿ذِكْرِى﴾ واسباباً لضلالكم لانّكم كنتم ضالّين بفطرتكم ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ وهؤلاء كانوا اوليائى وكان الاستهزاء بهم استهزاءً بى فجزيتكم ذلك الجزاء واكرمتهم غاية الاكرام.

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ على استهزائكم وايذائكم ﴿أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ قرئ بفتح الهمزة مفعولاً لجزيتهم، وبكسر الهمزة مستأنفاً فى مقام التّعليل.

يعنى جزيتهم احسن الجزاء بان جعلتهم مخصوصين بالفوز والنّجاء، او فائزين بمراداتهم، او فائزين بكمالات الانسان ولذائذه مطلقاً.

﴿قَٰلَ﴾ اى قال الله او الملك الموكّل بهم وقرئ قل: على ان يكون امراً للملك الموكّل بهم ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ اى حين الحيوة الدّنيا او فى ارض القبور بعد الموت.

﴿عَدَدَ سِنِينَ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ فانّهم لدهشتهم و وحشتهم استقلّوا مدّة لبثهم فى الدّنيا او فى القبور.

﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ اى الملائكة الموكّلين بحفظ الاعوام والشّهور و الايّام علينا يستشهدون الملائكة على صدق مقالتهم او كأنّهم يلتفتون انّهم مخالطون متحيّرون فى تعيين الايّام والشّهور و يقولون: لاعلم لنا بما نقول فاسئل الملائكة.

﴿قَالَ﴾ الله او الملك وقرئ: قل مثل سابقه ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ لماخالطتم او لفظة لو للتّمنّى.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ﴾ اى اما تأمّلتم او اهملتم فحسبتم ﴿أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ عبث كفرح لعب وكضرب خلط ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ و هذه الجملة مستأنفة جواب لسؤالٍ مقدّرٍ بتقدير القول اى نقول: افحسبتم انّما خلقناكم من غير استكمالٍ لكم ومن غير استبقاءٍ فكذّبتم و اتّبعتماهواءكم وأعرضتم عن رسلنا وخلفائنا.

﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ الّذى لايشوبه باطل عن العبث والفعل الّذى لميكن له غاية ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فلا حاجة له الى من يعضده فيخلق خلقاً يعضدونه ثمّ يهلكهم من غير غاية ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ ومن كان ربّاً للعرش و هو جملةالموجوداتلميكن له حاجة الى الخلق بل يخلقهم ليجودعليهم.

لابرهان للمشركين على جعلهم دونه الها

﴿وَمَن يَدْعُ﴾ جملة حاليّة او معطوفة على لااله الاّ هو ﴿مَعَ ٱللَّهِ﴾ الّذى لااله الاّ هو ﴿إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾ من الاصنام والكواكب والظّلمة واهريمن او من يدع مع علىّ عليه السلام اماماً اخر ﴿لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ لانّ من يدعو الهاً له على الهته برهان كمن يدعو الانبياء والاولياء عليهم السلام لظهور برهان صدقهم فى ادّعائهم فهو موحّد لامشرك ومثاب لامعاقب ولكنّ الّذى يدعو الهاً او اماماً لابرهان له على صدقه.

﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ كناية عن شدّة العقاب وسوء الحساب ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ جواب لسؤالٍ عن العّلة كأنّه قال: فانّه كافر ولايفلح الكافرون.

﴿وَقُل﴾ خطاب لمحمّد صلّى الله عليه وآله او عامّ وعطف على مقدّرٍ كأنّه قال: تذكّر او ذكّرماذكرنا وتوسّل بنا واسئلنا .

وقل ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ﴾ مساوينا الّتى يلزمنا من الاشتغال بكثرات وجودنا والكثرات الخارجة من وجودنا من اتّباع اهويتنا والنّظر الى غيرك فى فعالنا ﴿وَٱرْحَمْ﴾ بعد التّفضّل بالمغفرة ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ جملة حاليّة وذكر له تعالى باتّصافه بكمال مسؤله استرحاماً منه.

سُورَةُ ٱلنُّورِ

و هى مدنيّة كلّها بلا خلافٍ وهى اربع وستّون ايةً.

روى انّ رسول‌الله صلى الله عليه وآله قال: لاتنزلوهنّ الغرف ولاتـعّلموهنّ الكتابة وعلّموهنّ المغزل و سورة النّور(١).

وعن الصّادق عليه السلام حصّنوا اموالكم وفروجكم بـتلاوة سـورة النّور، وحصّنوا بها نساءكم فانّ من أدمن قراءتها فى كلّ ليلة او فى كلّ يوم لم‌يزن احد من بيته ابداً حتّى يموت(٢).

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿سُورَةٌ﴾ قدمضى فى اوّل الفاتحة بيان السّورة وقرئ ههنا مرفوعاً مبتدءً او خبراً لمحذوفٍ او مبتدءٌ و ﴿أَنزَلْنَـٰهَا﴾ خبره ومسوّغ الابـتداء بـه كون التّنوين للتّفخيم او للتنويع.

و قرئ بالنّصب مفعولاً لمحذوفٍ من غير مـادّة الفـعل المـذكور، او لمحذوفٍ يفسّره قوله انزلناها﴿وَ فَرَضْنَـٰهَا﴾ اى وقّتناها وعيّنّاها او اوجبنا على النّاس مافيها او فصّلناها وميّزناها مافيها من الاحكام او أعطيناها.

---

١. تفسير الصافى ج٣ ص ٤٥٢ و الكافى ج٥ ص ٥١٦

٢. تفسير الصافى ج٣ ص ٤٥٢ و ثواب الاعمال ص١٣٥

﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَـٰتٍۭ﴾ تدوينيّة ﴿بَيِّنَـٰتٍ﴾ اى بيّنات المعانى او مبيّناتٍ للمقاصد او احكامٍ تكليفيّة فى صورة الكلمات والحروف ظاهرات المصالح ﴿لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ حكمها ومصالحها فتعملون بها، ثمّ شرع فى بيان الآيات.

فقال ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾ اى منهما حكمهما او الزّانيّة مبتدء و قوله (فَاجْلِدُواْ) خبره، ودخول الفاء بتقدير امّا او توهّمها لكون المقام للتّفصيل او لتضمّن المبتدا معنى الشّرط لانّه بمعنى الّتى زنت، وقرئ بنصبهما بتقدير فعل ناصب لهما من مادّة الفعل المتأخّر اى اجلدوا او من مادّةٍ اخرى اذكروا او احضروا الزّانية.

و تقديم الزّانية مع انّ الرّجل اولى بالتّقديم لانّ الزّنا منها اقبح و لانّ شأنها بفطرتها ان تمنع الرّجال من نفسها فاذا مكّنت الرّجل منها كانت اولى بالعقاب ولذلك كان حدّها مساوياً لحدّه.

فى اجراء الحد على الزانيين

و قال تعالى فاجلدوا﴿كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ معانّ شأنها فى الحدود ان يخفّف عليها بالنّسبة الى الرّجال ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا﴾ متعلّق بلا تأخذكم والباء للسّببيّة او للآلة او متعلّق بقوله ﴿رَأْفَةٌ﴾ وتقديمه على المصدر لكونه ظرفاً.

﴿فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾ ظرف لغو متعلّق باجلدوا او بلا تأخذكم او برأفة شبّه دين الله بمكانٍ مخصوصٍ او ظرف مستقرّ حال من فاعل اجلدوا او من مفعوله وجعله حالاً من مفعوله يفيد انّهما لايجلد ان اذا لم يكونا فى دين الله، او حال من مفعول لاتأخذكم او صفة لرأفة وفائدة التّقييد به التّنبيه على الخلوص

من شوب الهوى.

﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ قيد للجلد او لعدم أخذ الرّأفة والشّرط للتّهييج.

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ اى جماعة اقلّها الثّلاثة وقيل: اقلّها الواحد، وقيل: اقلّها ههنا اربعة لانّ اقلّ مايثبت به الزّنا شهادة الاربعة، وقيل: منوط عددهم برأى الامام والمقصود من احضار طائفةٍ فى عذابهما تنكيلهما بالتّفضيح علاوة على تنكيلهما بالعذاب ليكون تعذيباً شديداً لهما وعبرة لغيرهما.

و هذه الآية فى بيان حدّ الزّانيين مجملةً؛ فانّ الزّانيين امّا يكون كلاهما او احدهما من اهل الذّمّة او يكونان مسلمين محصنين او غير محصنين، بكرين او غير بكرين، حرّين او عبدين، ولكلٍّ حكمٌ وهذا حكم الحرّين المسلمين الغير المحصنين الغير البكرين.

روى انّ عمر اتى بخمسة نفر أخذوا فى الزّنا فامر ان يقال على كلّ واحد منهم الحدّ، وكان اميرالمؤمنين عليه السلام حاضراً فقال: يا عمر ليس هذا حكمهم.

قال: فأقم انت الحدّ عليهم فقدّم واحداً منهم فضرب عنقه، وقدّم الآخر فرجمه، وقدّم الثّالث فضربه الحدّ، وقدّم الرّابع فضربه نصف الحدّ، وقدّم الخامس فعزّره؛ فتحيّر عمر وتعجّب النّاس من

فعله!

فقال له عمر: يا اباالحسن خمسة فى قضيّةٍ واحدةٍ اقمت عليهم خمسة حدود وليس شيءٌ منها يشبه الآخر؟

فقال اميرالمؤمنين عليه السلام: امّا الاوّل فكان ذمّيّاً فخرج عن ذمّته ولم يكن له حدّ الاّ السّيف، وامّا الثّانى فرجل محصن حدّه الرّجم، وامّا الثّالث فغير محصنٍ حدّه الجلد، و امّا الرّابع فعبد ضربناه نصف الحدّ، وامّا الخامس فمجنون مغلوب على عقله و نقل ستّة نفر.

و قال: واطلق السّادس ثمّ قال: وامّا الخامس فكان منه ذلك الفعل بالشّبهة فعزّرناه و ادّبناه وامّا السّادس فمجنون مغلوب على عقله سقط منه التّكليف.

و تفصيل الزّانيين و حكمهما يطلب من الكتب الفقهيّة ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ قدّم الزّانى ههنا لانّ المقام لبيان حكمهما والرّجل مقدّم على المرأة واولى بالحكم منها.

قيل: هو ردّ على من يستحلّ التّمتّع بالزّوانى والتّزويج بهنّ وهنّ المشهورات المعروفات فى الدّنيا لايقدر الرّجل على تحصينهنّ.

و فى الخبر عن الصّادق عليه السلام: هنّ نساء مشهورات بالزّنا ورجال مشهورون بالزّنا شهروا به و عرفوا به و النّاس اليوم بتلك

المنزلة فمن اقيم عليه حدّ الزّنا او شهر بالزّنا لم ينبغ لاحدٍ ان يناكحه حتّى يعرف منه التّوبة.

و فى خبرٍ انّما ذلك فى الجهر ولو انّ انساناً زنى ثمّ تاب تزوجّ حيث شاء.

و فى خبرٍ: لم‌يسمّ الله الزّانى مؤمناً و لاالزّانية مؤمنة و ذلك لانّه تعالى جعلهما فى قبال المؤمنين و قرينين للمشرك و المشركة.

فعلى ماذكر فى الاخبار كانت الآية نهياً فى صورة الاخبار وهو اكد من الاتيان بصورة النّهى وهو كناية عن نهى المؤمن والمؤمنة عن نكاح الزّانية والزّانى والمشركة والمشرك؛فانّ الاخبار عن الزّانى والزّانية بانحصار نكاحهما فيهم يدّل على انّ عنوان الزنّا يقتضى حصر نكاحهما فيهم فكلّ عفيف وعفيفة رضى بنكاحهما منهم كان بمنزلة الزّانى والزّانية والعفيف والعفيفة لايرضيان بجعلهما بمنزلة الزّانى والزّانية فلا ينكحا من الزّانى والزّانية والمشرك والمشركة ولذا صرّح بهذا المكنّى .

وقال ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعنى المؤمنين والمؤمنات لكنّه اكتفى بالمؤمنين تغليباً.

و قيل: انّ المعنى انّ الّذى زنى لايجامع فى حال الزّنا الاّ الّتى كانت شريكة له فى الزّنا او كانت مشركة وهى اسوء من الزّانية يعنى المرأة شريكة له فى الزّنا او كانت اسوء حالاً من الزّنا.

و قيل: هذا الحكم كان ثابتاً لكلّ زانٍ وزانيةٍ وكان نكاح غير الموصوف بالزّنا حراماً عليهما سواء كانا مشهورين به ام لا؟ ثمّ نسخ هذا الحكم بقوله تعالى: وانكحوا الايامى منكم (الآية) او المعنى على الاخبار.

و المقصود انّ الزّانى لايرغب و لايعقد الاّ على الزّانية ولعدم‌السّنخيّة بينه وبين الصّالحات فيكون الاخبار عن الكلّ به اعتبار الغالب.

في حدّ القذف

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ﴾ لمّابيّن حكم الزّانى والزّانية وحدّهماوغلّظ عليهما ارادان يبيّن انّ نسبة الفاحشة الى العباد امر عظيم مستحقّ قائلها للعذاب مثل عذاب الزّانى والزّانية غاية الامر انّ عذابه دون مرتبة عذابهما بدرجةٍ وان يبيّن انّ اثبات الفاحشة للعباد ليس مثل اثبات سائر الحقوق يكتفى فيها ببيّنتين حتّى لايجرأ النّاس على نسبة الزّنا الى العباد.

فقال: وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ اللاّتى احصنّ فروجهن بالعفاف والاسلام والحرّيّة والبلوغ والعقل فانّ المراد بالاحصان ههنا هذه ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ هذه الآية مجملة كاكثر الآيات.

فانّ ظاهرها اختصاص الرّامين بالرّجال والمرميّ بالنّساء والحال انّه لافرق فى الرّامى والمرميّ بين الرّجل والمرأة، والعبد

والحرّ، والمحصن وغير المحصن، والبكر و غير البكر، و لابين ان يكون الرّمى فى حضور المرمىّ او فى غيابه بلا خلاف فى اكثر المذكورات، و لا بين كون الرمى بالصّراحة او بالكناية الغير المحتملة غيرها ولكن ينبغى ان يكون الرّامى عارفاً بمعنى الكلمة.

فلو قال: انت تزنى او ابوك زنى بك او يا ابن الفاعلة او انت المفعول وانت تعمل عمل قوم لوطٍ، او لست من ابيك، او امّى مازنت فى مقامٍ لايحتمل سوى التّعريض، او انا لست من الزّنا تعريضاً بالغير فى مقامٍ لايحتمل غير التّعريض.

او قال فى مقام السّبّ ماصريحه الرّمى مع قصد الرّمى مثلاً امرأتك الفاعلة او مثل النّسبة الى الدّياثة مع قصد الرّمى كان رمياً ولو لميقصد بلفظة الرّمى، او لميكن صريحة الرّمى مثل ان يقول: ولدت من الحرام فانّه مشترك بين الرّمى والتّوليد من الغذاء الحرام والانعقاد حال الحيض لميكن رمياً.

نعم لو قال امثال ذلك فى حضور المسلم كانت هتكاً لحرمته و كان قائلها مستحقّاً للتّعزير، ولمّاجعل تعالى حكم زنا المحصنين و حكم اللّواط والسّحق القتل اعتبر فى اثباتها اربع رجالٍ من دون اعتبار النّساء عوضهم منفردات او منضّمات ليكون اثباتها صعباً وجعل على من نسب هذه الى احدٍ من دون الاتيان باربعة رجال حدّاً حتّى لايجترء احد على نسبة هذه الى النّاس ولو راهم عليها

لايجترء على ابرازها لئلاّ يفتضح المسلمون من غير جرمٍ او ليتوب المجرم و لايفتضح ولايزهق روحه بجرمٍ يمكن ان يتوب عنه و يعبدالله بعده، ولئلاّ يفترى العامّة على الخاصّة، ولئلاّ يجترؤا على الاظهار اذا رأوهم على المتعة .

فانّ الله قدعلم انّهم سينكرونها ويأخذون عليها فجعل الشّاهد للزّنا اربعة رجال فقط لئلاّ يجترء من رأى احدهم على التّمتع بالمتعة على الاظهار فانّه قلّما يتّفق اطّلاع اربعة رجال على الوطى ولو كان حلالاً.

روى عن الصّادق‌عليه‌السلام انّه سئل لم‌جعل فى الزّنا اربعة شهود وفى القتل شاهدان؟ فقال: انّ الله احلّ لكم المتعة وعلم انّها ستنكر عليكم فجعل الاربعة الشّهود احتياطاً لكم لولا ذلك لاتى عليكم، وقلّما تجتمع اربعة شهادة بامر واحدٍ.

وفى رواية قال‌عليه‌السلام: الزّنا فيه حدّان ولايجوز ان‌يشهد كلّ اثنين على واحد لانّ الرّجل والمرأة جميعاً عليهما الحدّ، والقتل انّما يقام الحدّ على القاتل ويدفع عن المقتول.

﴿وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَـٰهَـٰدَةً أَبَدًا وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ عطف فيه معنى التّعليل.

نسب الى الباقر‌عليه‌السلام انّه نزل بالمدينة وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ قال فبرّأ الله المفترى ما كان مقيماً على الفرية من ان

يسمّى بالايمان قال الله عزّ وجلّ افمن كان مؤمناً كمن كان مـؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون، وجعله الله منافقاً فقال الله: انّ المنافقين هم الفاسقون، وجعله الله من اولياء ابليس قال: الاّ ابليس كـان مـن الجنّ ففسق عن امر ربّه. وجعله مـلعوناً فـقال:إِنَّ ٱلَّـذِينَ يَـرْمُونَ ٱلْمحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ(إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن م بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ).

روى عن الصادقعليه السلام سئل: كيف تعرف توبته؟

فقال: يكذّب نفسه عـلى رؤس الخـلائق حـين يـضرب و يستغفر ربّه؛ فاذا فعل ذلك فقد ظهرت توبته.

و فى خبرٍ عن الصّادقعليه السلام القاذف يجلد ثمانين جلدةً ولاتقبل له شهادة ابداً الاّ بعد التّوبة،او يكذّب نفسه وان شهد ثلاثة وابـى واحد يجلد الثّلاثة ولاتقبل شهادتهم حتّى يقول اربعة رأيـنا مـثل الميل فى المكحلة، ومن شهد على نفسه انّه زنى لم يقبل شـهادته حتّى يعيد اربع مرّات كلّ مرّة بازاء شاهدٍ.

و على هذا يكون قوله: الاّ الّذين تابوا استثناءً مـن قـوله: لاتقبلوا لهم شهادة ابداً، او من قوله: اولئك هم الفاسقون، ويجوز ان يكون المراد بالتّوبة التّوبة الخاصّة الجارية على ايدى خلفاء الله فانّه اذا حصل هذه التّوبة جبّت جميع ماسلف.

و على هذا يجوز ان يكون الاستثناء مـن قـوله فـاجلدوهم

ثمانين جلدة، والمراد بالاصلاح بعد التّوبة والرّمى اصلاح نفوسهم بالاعمال الصّالحة او استرضاء المرميّ وتكذيب نفسه عند من رمى عنده وهتك حرمة المرميّ فى حضوره، او تسليم نفسه لاجراء الحدّ من دون ان يجد فى قلبه حرجاً ممّا قضى عليه.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾ لمّاذكر حكم قذف الاجنبيّة ارادان يبيّن حكم رمى الازواج حتّى لايتوهّم انّ رمى الازواج كرمى الاجنبيّة ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ﴾ فى الاتيان بهذا الاستثناء اشعار بانّ الرّمى قديكون عن ظنٍّ وتخمينٍ وحدسٍ، وقديكون عن شهودٍ وعيانٍ، وهذا الحكم لمن شهد لا لمن حدس.

﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍ﴾ مكان اربع شهودٍ، قرئ‌اربع شهادات بالنّصب مفعولاً مطلقاً وحينئذٍ يكون شهادة احدهم مبتدءً محذوف الخبر اى واجبة او عليهم او خبراً محذوف المبتدأ اى الواجب او المعتبر او حكم الله شهادة احدهم.

وقرئ بالرّفع وحينئذٍ يكون شهادة احدهم مبتدءً واربع شهاداتٍ خبره، او يكون شهادة احدهم على الوجوه السّابقة واربع شهادات بدلاً منه والمراد من احدهم واحد لا على التّعيين حتّى يفيد العموم البدليّ اى شهادة كلّ واحد منهم اربع شهادات.

﴿بِٱللَّهِ﴾ متعلّق بشهادات او بشهادة احدهم او متنازع فيه ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ اى فيما رماها والجملة مفعول لشهادة احدهم او

لشهادات والعامل معلّق عنها او هى خبر عن الشّهادة ووجه جواز حملها على الشّهادة لكون الشّهادة فى معنى القول او مستأنفة جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: مايقول او مايشهد؟

فقال: يقول: انّه لمن الصّادقين ﴿وَٱلْخَـٰمِسَةُ﴾ اى الشّهادة الخامسة ﴿أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ﴾ قرئ بتخفيف نون ان ورفع لعنة الله وتشديد نون ان ونصب لعنة الله ﴿عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ وهذا لعان الرّجل وحكمه سقوط حدّ القذف عنه ولزوم الفرقة بينه وبينها.

﴿وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ﴾ اى عذاب الرّجم ﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾فيما رماهابه.

﴿وَٱلْخَـٰمِسَةَ﴾قرئ برفع الخامسة مبتدء وبنصبها عطفاً على اربعِ شهاداتٍ بالنّصب.

﴿أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ﴾ قرئ بتخفيف النّون وغضب فعلاً ماضياً وبالتّخفيف وغضب الله مصدراً ومرفوعاً، وقرئ بتشديد النّون وغضب الله مصدراً منصوباً.

﴿عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ فيما رماها به، عن الصّادقؑ فى جواب من سأله عن هذه الآية انّه القاذف الّذى يقذف امرأته فاذا قذفها ثمّ اقرّ انّه كذب عليها جلد الحدّ وردّت اليه امرأته وان ابى الاّ ان يمضى فليشهد عليها اربع شهاداتٍ بالله انّه لمن الصّادقين، والخامسة يلعن فيها نفسه ان كان من الكاذبين، وان

ارادت ان تدرأ عن نفسها العذاب و العذاب هو الرّجم شهدت اربع شهاداتٍ بالله انّه لمن الكاذبين، والخامسة انّ غضب الله عليها ان كان من الصّادقين.

فان لم‌تفعل رجمت وان فعلت درأت عن نفسها الحدّ ثمّ لاتحلّ له الى يوم القيامة، قيل: أ رأيت ان فرّق بينهما و لها ولد فات؟ قال: ترثه امّه و ان ماتت امّه ورثه اخواله، و من قال: انّه ولد زنا جلد الحدّ، قيل: يردّ اليه الولد اذا اقرّ به؟

قال: لا ولا كرامة ولايرث الابن ويرثه الابن.

و فى خبرٍ: انّ الآية نزلت فى رجلٍ من المسلمين جاء الى رسول‌الله ﷺ وادّعى انّه رأى رجلا معامرأته، وفى خبرٍ انّ عويمربن ساعدة العجلانىّ رأى ذلك و جاء الى رسول‌اللّه ﷺ وتلاعنا.

و فى خبر انّ هلال بن اميّة قذف زوجته بشريك بن السّمحاء.

و عن الصّادق عليه السلام اذا قذف الرّجل امرأته فانّه لا يلا عنها حتّى يقول رأيت بين رجليها رجلاً يزنى بها.

و عن الباقر عليه السلام يجلس الامام مستدبر القبلة فيقيمهما بين يديه مستقبلاً القبلة به‌خداء ويبدأ بالرّجل ثمّ المرأة واذا شهد مرّتين او ثلاث مرّات ونكل جلد الحدّ، ولايفرّق بينه وبين امرأته.

واشير فى الخبر الى انّه لمّاجعل الله للزّوج مدخلاً لم‌يجعله

لغيره جعل الله شهادته اربع شهاداتٍ بالله مكان اربع شهود بخلاف غير من ابٍ وولدٍ، واخٍ وغيره، ولو قال غيره ذلك قيل له: وما أدخلك المدخل الّذى ترى هذا فيه وحدك انت متّهم.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ قد مضى مكرّراً انّ المراد بالفضل الرّسالة وأحكامها والرّسل، وبالرّحمة الولاية واثارها وعلىّ عليه السلام ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ ولفضّحكم او عاجلكم بالعقوبة حذف الجواب تفخيماً للعقوبة كأنّها لا يمكن ان تجرى على اللّسان وليذهب ذهن السّامع كلّ مذهبٍ ممكنٍ.

ولانّه تعالى جرى على طريقة مخاطبات العرف فانّ الغضوب اذا اشتدّ غضبه غاية الاشتداد لايفى شدّة غضبه باطالة الكلام واتمام الخطاب فيحذف منه بعضه وان كان اصل الغضب يقتضى اطالة الكلام وتغليظه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِالْإِفْكِ﴾ افك كضرب و علم افكاً بالكسر و الفتح والتّحريك كذب كأفّك بالتّشديد وافكه عنه كضرب صرفه و قلبه او قلب رأيه ﴿عُصْبَةٌ﴾ اى جماعة ﴿مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾ الضّمير للافك او الاتيان بالافك المستفاد من جاؤا بالافك.

﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لانّ افكهم لايورث ضرراً عليكم بل ينفعكم لانّه يكون كفّارةً لذنوبكم وتخفيفاً لاثقالكم.

﴿لِكُلِّ ٱمْرِىٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ فانّ من هؤلآء العصبة من يقول افتراءً مع علم بانّه افتراء، ومنهم من يقوله ظنّاً وتخميناً، ومنهم من يقول تقليداً، ومنهم من يستمع، ومنهم من يسمع، ولكلٍّ منهم قدر ماا كتسب من الاثم.

﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ معظم الاثم كعبدالله بن ابىّ سلول فانّه كان رأس اصحاب الافك كانوا يجتمعون عنده وكان يحدّث النّاس بحديث الافك ويشيع ذلك بين النّاس ويقول باتت امرأة نبيّكم مع رجلٍ حتّى اصبحت ثمّ جاء يقودها والله مانجت منه ومانجا منها.

و قيل: المراد مسطح بن اثاثة ، وقيل: حسّان بن ثابت، او المعنى الّذى تولّى كبرياءه وتأنّف عن انقياد الرّسول ﷺ وتوقيره.

﴿مِنْهُمْ﴾ اى من هؤلآء العصبة ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قدنقل فى تفاسير الخاصّة و العامّة انّ الآيات نزلت فى عائشة، وسبب نزولها انّ الرّسول ﷺ خرج بها فى غزوة بنى المصطلق وكان الرّسول ﷺ اذا ارادان يخرج باحداهنّ فى غزوةٍ اقرع بينهنّ وبعد مارجع من تلك الغزوة ودنى من المدينة قامت عائشة حين اذنوا بالرّحيل ومشت حتّى جاوزت الجيش فلمّا قضت شأنها اقبلت الى الرّحل فلمست صدرها فلم تجد عقدها فرجعت فى التماسها عقدها فحبسها ابتغاؤه واقبل الرّهط الّذين يحملون هودجها فحملوا

هودجها ظنّاً منهم انّه فيه ووجدت عقدها، ورجعت فلم يجد فی المعسكر داعياً ولامجيباً فبقيت فی المنزل الّذی كانت فيه ظنّاً منها انّ القوم سيفقدونها، وكان صفوان بن المعطّل السّلمیّ جاء من وراء الجيش فأصبح عند منزلها فعرفها فأناخ راحلته فركبتها فقادها حتّی اتيا الجيش.

فقال المنافقون ماقالوا فی حقّها، فأنزل الله تلك الآيات لتبرئتها، و نقل عن الخاصّة انّها نزلت فی مارية القبطيّة ومارمتها به عائشة.

روی عن الباقر عليه السلام انّه قال لمّاهلك ابراهيم بن رسول‌الله صلی الله عليه وآله حزن عليه رسول‌الله صلی الله عليه وآله حزناً شديداً فقالت له عائشة ماالّذی يحزنك عليه فما هو الاّ ابن جريحٍ فبعث رسول‌الله صلی الله عليه وآله عليّاً عليه السلام وامره بقتله فذهب علیّ عليه السلام ومعه السّيف وكان جريح القبطیّ فی حائطٍ فضرب علیّ عليه السلام باب البستان فأقبل اليه جريح ليفتح له الباب فلمّا رأی عليّاً عليه السلام عرف فی وجهه الغضب فأدبر راجعاً ولم‌يفتح باب البستان فوثب علیّ عليه السلام علی الحائط ونزل الی البستان واتبعه وولیّ جريح مدبراً، فلمّا خشی ان يرهقه صعد فی نخلة وصعد علیّ عليه السلام فی اثره فلمّا دنی منه رمی بنفسه من فوق النّخلة، فبدت عورته فاذا ليس ماللرّجال ولاله ماللنّساء.

فانصرف علیّ عليه السلام الی النّبیّ صلی الله عليه وآله فقال له يا رسول‌الله اذا بعثتنی

فی الامر اکون فیه کالمسمار المحمی فی الوبر امضی علی ذلک ام اتثبّت؟

قال: لابل تثبّت، قال: والّذی بعثک بالحقّ ماله ماللرّجال وماله ما للنّساء فقال: الحمد لله الّذی صرف عنّا السّوء اهل البیت.

وروی حکایة رمی المارية بنحوٍ اخر.

﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ عدل عن الخطاب الی الغیبة اشعاراً بانّ الایمان یقتضی ظنّ الخیر بالمؤمن فانّ الایمان الّذی بمعنی الاسلام یقتضی التّسلیم و عدم الاستبداد بالرّأی وعدم التّفوّه بما یقتضیه الهوی وظنّ التّسلیم والانقیاد بالمؤمنین ومع ظنّ التّسلیم بالمؤمن لایبقی ظنّ اتّباع الهوی والفاحشة به، و قدّم الظّرف لانّ المقصود التّوبیخ علی عدم ظنّ الخیر حین سماع الافک و التحضیض علی ظنّ الخیر حینئذٍ و الاّ ففی غیر زمان الافک یکون ظنّ الخیر مسلّماً مفروغاً عنه.

و المراد من المؤمنین و المؤمنات صفوان و عائشة او ماریة وجریح، او المراد جملة المؤمنین و المراد من انفسهم من ذکر لکنّه ادّاهم بقوله بأنفسهم للاشعار بانّ المؤمنین ینبغی ان یکون کلّ بمنزلة نفس الآخر.

﴿وَقَالُوا﴾ عطف علی ظنّ المؤمنون ﴿هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ

لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ و هذا من جملة مقول القول او ابتداء كلام من الله واشارة الى انّ المدّعى اذا لم يكن عليه البيّنة المعتبرة فيه مكذّب عندالله و يترتّب عليه حكم الكذب.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾ كرّر هذه الكلمة لانّ الاوّل فى رمى الزّوج وهذا فى قضيّة خاصّة هى رمى مارية او عائشة ﴿لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ذكر الجواب ههنا جرياً على اقتضاء الغضب التّطويل والتّغليظ وتصريحاً بعظم العذاب وبانّ سبب هذا الغضب وتغليظ العذاب هو الخوض فى هذا الافك.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ يعنى لابقلوبكم يعنى تديرونه بينكم من غير تحقيقٍ له كأنّ السنتكم تأخذه وتقبل مايلقيه غيركم من غير اطّلاع ذواتكم و قلوبكم يقال تلقّى القول بمعنى قبله.

و قرئ: تتلّقونه بالتّائين على الاصل وتلقونه بالتّخيف من لقيه بمعنى تناوله وتلقونه بكسر حرف المضارعه من هذه المادّة وتلقونه من القاه، وتلقونه من ولق بمعنى كذب، وتألقونه من الق بمعنى كذب، و تثقفونه من ثقف اذا طلب ووجد، وتقفونه من وقف بمعنى تبع.

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم﴾ من غير اطّلاع قلوبكم واعتقادها

﴿مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ سهلاً لااثم فيه ولاتبعة لا ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

اعلم، انّ الازمان متشابهة واهل كلّ زمانٍ حالهم تشابه حال اهل الزّمان السّالف والآتى فانّ اهالى الازمنة السّالفة على ماوصل الينا من سيرهم كانوا مثل اهل هذا الزّمان.

كانوا ينتحلون الدّين لاغراضٍ نفسانيّةٍ لالغاياتٍ انسانيّةٍ وكانوا يغتابون ويتّهمون من كان داخلاً فى الدّين مثلهم وكانوا يتجسّسون عوراتهم و يعيبون عليهم و يلمزون بعضهم بعضاً بالالقاب ويسرّون بظهور سوءات اخوانهم، و يسائون بظهور محاسنهم، وكلّ ذلك كان منافياً للدّين بل مناقضاً للغايات المقصودة من التّديّن.

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ﴾ مايصحّ ﴿لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا سُبْحَـٰنَكَ﴾ لولا قلتم سبحانك تعجّباً من الجرأة على مثل هذا القول او تنزيهاً لله من ان يكون حرم نبيّه ﷺ فاجرة لانّ فى فجورها كراهة النّاس له وكراهتم ينافى دعوته.

﴿هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ﴾ فى نفسه فانّ نسبة الفجور اعظم بهتانٍ، وبالنّسبة الى المبهوت عليه فانّها حرم الرّسول ﷺ.

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ﴾ ينصحكم ويطلب الخير لكم ﴿أَن تَعُودُواْ﴾ لئلاّ تعودوا، او كراهة ان تعودوا، او فى ان تعودوا، او

يمنعكم بالوعظ من ان تعودوا ﴿لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا﴾ مادمتم فى الدّنيا ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ شرط للتّهييج لانّ الايمان يقتضى عدم التّفوّه بمثله فى حقّ من كان فى دينه.

﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾اى علامات الاحكام و اثارها او الآيات التّدوينيّة الدّالّة على الاحكام التّكليفيّة القالبيّة والقلبيّة.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ يعلم ماينبغى و ما لاينبغى لكم و مايترتّب على افعالكم ﴿حَكِيمٌ﴾ لايشرع لكم حكماً و لايمنعكم من امراً الاّ لحكمةٍ مقتضيةٍ ذلك.

جزاء من احبّ تشيع الفاحشة

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ﴾الفاحشة الزّنا او ما يشتدّ قبحه، او كلّ مانهى الله عزّ وجلّ عنه ﴿فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ متعلّق بتشيع و المعنى الّذين يحبّون ان تكثر الزّنا او سائر الفواحش فى الّذين امنوا، او الّذين يحبّون ان يكثرذكر الفاحشة فى الّذين امنوا، او ظرف مستقرّ حال من الفاحشة، و المعنى انّ الّذين يحبّون ان تظهر الفاحشة الثّابتة فى المؤمنين و يكثرذكرها.

﴿لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنۡيَا﴾ بالحدّ المقرّر له فى الشّريعة او بالعذاب عند الاحتضار او بالخوف من الافتضاح او باستيحاش المؤمنين منهم ﴿وَٱلۡأٓخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ انّ لهم عذاباً فى الدّنيا والآخرة ولذا يمنعكم عن العود.

﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ولذا تحبّون ولاتخافون والجملة معطوفة على جملة انّ الّذين يحبّون، او على اسم انّ وخبرها وكلتاهما فى مقام التّعليل لقوله يعظكم الله او جملة الله يعمل مفيدة للتّعليل.

وعن الصّادق عليه السلام انّه قال: من قال فى المؤمن مارأته عيناه وسمعته أذناه فهو من الّذين قال الله عزّ وجلّ: انّ الّذين يحبّون (الآية).

و عن الكاظم عليه السلام انّه قيل له: الرّجل من اخوانى بلغنى عنه الشيء الّذى اكرهه فأسأله عنه فينكر ذلك وقدأخبرنى عنه قوم ثقاة؟ فقال عليه السلام: كذّب سمعك و بصرك عن اخيك وان شهد عنك خمسون قسامة وقال لك قولاً فصدّقه وكذّبهم و لاتذيعنّ عليه شيئاً تشينه به وتهدم به مروّته فتكون من الّذين قال الله تعالى: انّ الّذين يحبّون (الآية).

وعن رسول‌الله صلى الله عليه وآله من اذاع فاحشة كان كمبتديها.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ تكرار هذه الكلمة اشارة الى نهاية قبح هذه القول وشدّة الغضب لاجله ونهاية قبح حبّ شياع الفاحشة فى المؤمنين، وحذف الجواب ههنا للاشعار بشدّة القبح وشدّة الغضب على حبّ شياع الفاحشة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ناداهم اظهاراً للّطف بهم

وترغيباً لهم في استماع خطابه ﴿لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ في اشاعة الفاحشة ورمي البريء وغير البريء وقدمضى في سورة البقرة عند قوله لاتتّبعوا خطوات الشّيطان تحقيق الخطوات.

﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ يضلّ ويشقى ﴿فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ البالغة في القبح ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾مالايعرفه العقل والعر حسناً وهو مالايكون بالغاً في القبح ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ زكى يزكو زكاءً فما كازكي وزكى الرّجل صلح وتنعّم وصفا من الكدورات ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾باستعداد من قبله بسبب قوله او فعله ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لاقواله المقاليّة والحاليّة ﴿عَلِيمٌ﴾ بافعاله واحواله ونيّاته واستعداداته المكمونة الغير الظّاهرة عليه و على غيره.

﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ الا الوأ كالضّرب والوّاً كالقعود واليّاً كالمضيّ وائتلى قصّر وأبطأ وتكبّر والى وائتلى حلف، وقيل في نزول الآية: انّه الى جماعة من الصّحابة على ان لايتصدّقوا على رجلٍ تكلّم بشيء من الافك ولايواسوهم.

و قيل: نزلت الآية في ابيبكرٍ ومسطّح بن اثاثة وكان ابن خالة ابيبكرٍ وكان من المهاجرين ومن البدريّين وكان فقيراً و يتحمّل نفقته ابوبكرٍ وكان من رؤساء اصحاب الافك فلمّا خاض في

الافلاك قطع عنه و حلف ان لاينفعه بنفعٍ فلمّا نزل: ولايأتل ﴿أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾ عاد الى المواصلته.

والمراد بالفضل هو السّعة الّتى تفضل عمّا يحتاج اليه الانسان فى انفاقه، والسّعة اعمّ منه وممّا كان بقدر حاجة الانفاق بنحو السّعة، او احدهما مخصوص بالمال والآخر بسعة القلب من حيث العلم والاخلاق ﴿أَن يُؤْتُوٓا۟﴾ كراهة ان يؤتوا او على ان لايؤتوا، او فى ان يؤتوا؛ وهذا على ان يكون لايأتل بمعنى لايحلف وان كان بمعنى لايقصّر فهو بتقدير فى اى لايقصّر اولوا الفضل منكم فى ان يؤتوا ﴿أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ اى اولى قرباهم او اولى قربى الرّسول ﷺ.

﴿وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟﴾ قرئ ان تؤتوا و هذان بالغيبة و الخطاب و قدمضى مكرّراً انّ العفو عبارة عن ترك الانتقام سواء كان قريناً لحقد القلب على المسيء او لم‌يكن، والصّفح عبارة عن تطهيرالقلب عن‌الحقد عليه لكنّها كالفقراء والمساكين اذا افترقااجتمعا و اذااجتمعا افترقا والأية اشارة الى كيفيّة حسن‌العمل مع‌المسيء خصوصاً على مانقل من سبب نزولها.

فكأنّه قال: و ليعفوا عن المسيء و ليصفحوا و لايأتل اولواالفضل فى الاحسان اليه اذاكان اهلاً للاحسان.

﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ ترغيب في المراتب المذكورة بأحسن وجهٍ يعني انّ الله يغفر للمسيء ومن اراد ان يغفر الله له فليشاكل الله في العفو عن المسيء فانّ المشاكل لله يغفر الله له لامحالة.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يغفر لمن عن المسيء ويرحم من يحسن الى المسيء.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ ممّا قذفن به ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ كرّره لانّ الاوّل لبيان العقوبة الصّوريّة والحدود الدّنيويّة وهذا لبيان العقوبة الاخرويّة والحدود الباطنيّة و للتّنبيه على عظم الذّنب.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ﴾ قرئ بالتّاء والياء ﴿أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ﴾ اى جزاءهم ﴿ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ روى انّه ليست تشهد الجوارح على مؤمن انّما تشهد على من حقّت عليه كلمة العذاب.

﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ المراد بالخبيثات والطّيّبات الاقوال الخبيثة والطّيّبة بقرينة ذكرها عقيب الافك، او الاعمال الخبيثة والطّيّبة سواء كانت من سنخ الافعال

والاقوال.

او العلوم والاخلاق والاحوال، او المراد بها النّساء الخبیثات و الطّیّبات بقرینة ذکرها عقیب افك عائشة او مارية، او المراد مطلق ماتسمّی بالخبیثات و الطّیّبات سواء کانت من سنخ الاقوال والاوصاف، و من سنخ الذّوات من المطعومات والمشروبات والملبوسات المنظورات والمسکونات والمنکوحات.

و علی تعمیم الخبیثات ینبغی تعمیم الخبیثین للرّجال و النّساء بطریق التّغلیب.

وعن الحسن المجتبی علیه السلام انّه قال بعد ما حاجّ معاوية واصحابه وقام من مجلسه: الخبیثات للخبیثین والخبیثون للخبیثات هم والله یا معاوية انت وأصحابك هؤلآء وشیعتك، والطّیّبات للطّیّبین الی اخر الآیة علی بن ابی‌طالبٍ واصحابه و شیعته.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ یعنی صفوان وعائشة او جریح ومارية وامثالها او الطّیّبون والطّیّبات ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ فیهم من الافك او ممّا یقوله الخبیثون یعنی من ان یقولوا مثل قولهم.

﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾لطیبوبتهم وطیبوبة هذین ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا﴾ مسکونة ﴿غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟﴾ استأنس ذهب توحّشة، واستأنسه

استأذنه، واستأنس استعلم واستأنس طلب الانس اى الانسان.

و قيل لرسول‌الله ﷺ: يا رسول‌الله ماالاستيناس؟

قال: يتكلّم الرّجل بالتّسبيحة والتّحميدة والتّكبيرة ويتنحنح على اهل البيت، وهذا يناسب الاستيناس مقال الاستيحاش والاستعلام، و قيل: اطّلع رجل فى حجرةٍ من حجر رسول‌الله.

فقال رسول ﷺ ومعه مدرىّ يحكّ به رأسه لو أعلم انّك تنظر لطعنت به فى عينيك انّما الاستيذان من النّظر.

﴿وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ بيان للاستيناس على بعضه معانيه و حكم اخر على بعض اخر ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ الاستيناس او الدّخول بالاستيناس ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ و قلنا لكم ذلك او انزلنا عليكم هذا الحكم ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ مصالحه.

﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا﴾ لانّه قديوجد فى بيوت غيركم ما لايجوز لكم الاطّلاع عليه ومايكره صاحب البيت اطّلاع الغير عليه.

﴿حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْ﴾ و لاتلجّوا و لاتكرهوا فانّه قديكون صاحب البيت بحالٍ لايجوز للغير الاطّلاع عليه.

﴿هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ﴾ انمى لكم او اصفى او انفع لكم ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ فان ترجعوا عن طيب نفوسكم يعلمه الله

ويجازكم به ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾جواب لسؤال مقدّرٍ﴿أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾من غير استيناس وتسليم .

﴿فِيهَا مَتَـٰعٌ لَّكُمْ﴾اى تمتّع و استمتاع، فى الخبر انّها الحمّامات و الخانات و الارحية و امثالها.

و قيل: المراد الخربة يدخل الانسان فيها لقضاء حاجة، و قيل: المراد بيوت التّجّار و الصّنّاع الّتى يفتح ابوابها لمعاملة النّاس، و قيل: انّها منازل المسافرين، و الحقّ انّه اذا اريد بالمتاع التّمتّع كان المراد بالبيوت مطلق البيوت الّتى يكون اذن عامّ من الشّارع او من مالكيها فى الدّخول فيها، و ان كان المراد بالمتاع الاجناس الّتى يتمتّع بها كان المراد مطلق البيوت الّتى يكون فيها امتعتكم سواء كانت البيوت مملوكة لكم غير مسكونةٍ لكم ولغيركم، او مملوكة لغيركم غير مسكونة لكم و لغيركم.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ من الافعال و الاحوال و الاخلاق و النّيّات و الاستعدادات الّتى لم‌تشعروا بها بعد فيعلم و لايقع دخولكم فى بيوت غيركم و نيّاتكم فى دخولكم فلاتدخلوا من غير استيناسٍ حتّى يتّهمكم غيركم بالفاحشة او قصدها و لايقع انظاركم على مالايجوز النّظر اليه من حريم صاحبى البيوت فيريبكم و لاتقدروا على منع نفوسكم من الفاحشة.

و هذا تحذير ممّا يجعل الانسان معرضاً للتّهمة و ممّا يريبه

فانّه لمّا شدّد على الزّانى و الزّانية و غلظّ على من رمى غيره بالفاحشة، حذّر المؤمنين عن مواقع الرّيبة و مواضع التّهمة حتّى لايقعوا فى الرّيبة و الفاحشة و يستحقّوا عقوبة الفاحشة و لايوقع النّاس فى سوء الظّنّ و رمى الفاحشة فيستحقّوا عقوبة المفترين.

كما انّه حذّرهم بالآية عمّا يريبهم او يريب غيرهم من النّظر الى فروج غيرهم او من ان ينظر الى فروجهم وحذّر النّساء من ذلك ومن ابداء زينتهنّ لمن لايجوز له النّظر بالرّيبة

فقال: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ قدمضى مكرّراً انّه تعالى مايأتى بالمقول فى امثاله للاشعار بانّ قوله ﷺ لقوّة نفسه يؤثّر فيهم بحيث يصير سبباً لمايذكر بعده من غير اعتبار المقول فى جزم الجواب، و غضّ طرفه غضاضاً بالكسر و غضّاً و غضاضاً و غضاضةً بفتحهنّ حفظة وتحمّل المكروه، و غضّ من بصره نقص منه ووضع من قدره.

و قيل: من هنا زائدة والمعنى يحفظوا ابصارهم وانظارهم من النّظر الى مالايحلّ النّظر اليه، او من النّظر الى مالاينبغى لهم النّظر اليه سواء كان عدم استحقاق النّظر من باب الحرمة او من باب الكراهة او من النّظر الى ماسوى الله واياته كما يجيء.

﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ من ان ينظر اليها من لايحلّ له النّظر اليها كما فى الخبر، او من مطلق النّظر اليها سواء كان

النّاظرون انفسهم او غيرهم حلالاً كان النّظر او غير حلال على ان يكون النّظر الى الفروج مكروهاً ممّن يحلّ له النّظر اليها كنظر صاحبى الفروج ونظر الازواج الى عوراتهم ويكون الامر المقدّر اعمّ من الوجوب والاستحباب.

او يحفظوا فروجهم من الوطى الغير الحلال او يحفظوا فروجهم من الوطى الغير الحلال ومن النّظر الغير الحلال، او يحفظوا فروجهم من النّظر والوطى مطلقاً على ان يكون الحكم للبايعين البيعة الخاصّة الولويّة ويكون الوطى والنّظر الى الفروج وكون الفروج منظوراً اليها ممنوعاً فى حقّهم.

فانّ السّالك الى الله حكمه حكم المحرم مالم‌يتمّ سلوكه ولم‌يحلّ من احرامه للحجّ الحقيقىّ فلم يحلّ لرجالهم الّتمتّع بالنّساء وبسائر ملاذّ النّفس و لالنسائهم الّتمتّع بالرّجال و بسائر ملاذّ النّفس بل لايجوز لهم الالتفات الى ماسوى الله وماسوى مقصدهم.

﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ اطهر لهم او اصلح او انمى لانّه ابعد من الرّيبة والاشتغال بملاهى النّفس.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ من النّظر وترك النّظر فبجازيهم بحسبه.

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ هذا ايضاً مجمل

محتمل لوجوهٍ ومراد بكلّ وجوهه فانّه يجوز ان يفسّر ابداء الزّينة بابداء نفس الزّينة لمن لايجوز له النّظر الى جسدهنّ من غير المحارم، وان يفسّر بابداء مواضع الزّينة لانّ الزّينة ممّا يجوز للاجانب النّظر اليها، وان يفسّر بمطلق ابداء الزّينة او مطلق ابداء مواضع الزّينة من غير النّظر الى ناظرٍ و نظرة محرّمٍ بان يكون نفس ابداء الزّينة بحيث لو نظر ناظر لراها حراماً نظر ناظر ام لمينظر.

و هذا على ان يجعل النّهى للبايعات البيعة الخاصّة الولويّة ويكون حكم السّالكات عدم الالتفات الى ماسوى الله مالميحللن من سلوكهنّ واحرامهنّ فيكون التفاتهنّ الى الزّينة وابداؤها حراماً عليهنّ ﴿**إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا**﴾ من الثّياب الظّاهرة وزينة المواضع المستثناة ونفس تلك المواضع الّتى ليست بعورة فى النّساء كالخاتم والسّوار والكحل والخدين والكفّين والقدمين.

اعلم، انّ نهى النّساء عن ابداء زينتهنّ ونهى الرّجال عن النّظر الى زينتهنّ انّما و لكون الزّينة وابدائها والنّظر اليها مقدّمة للفساد و مورثاً للرّيبة و موجباً للافتتان.

و قدورد عن النّبىّ ﷺ خطاباً لعلىّ عليه السلام: يا علىّ اوّل نظرة لك و الثّانية عليك لالك يعنى ان افتتنت بالنّظرة وعدت الى الثّانية كانت وبالها عليك.

و فى روايةٍ لكم اوّل نظرة الى المرأة فلا تتسحّبوها بنظرةٍ

اخرى و احذروا الفتنة فعلى هذا لوخيف من الرّيبة والافتتان بالنّظر الى الوجه و الكفّين و القدمين و زينتها لم‌يجز للمرأة ابداؤها و لاللمرء النّظر اليها.

ولو لم‌يخف من الرّيبة جاز ابداء الزّينة الظّاهرة والمواضع المستثناة وجاز للاجنبىّ النّظر اليها ولو لم‌يخف من الرّيبة جاز النظر الى غير الزّينة الظّاهرة من الزّينة الباطنة و غير المواضع المستثناة مثل الرّأس والشّعر و السّاق و الذّراع اذا لم‌تكن من المسلمات اللّواتى لهنّ الحرمة و الرّفعة كالاماء و اهل البد واللاّتى لايمكنهنّ التّحفظّ عن الاجانب و لايمكن لمعاشريهنّ الاحتراز عن النّظر اليهنّ.

و اختلاف الاخبار ناظر الى اختلاف الاحوال و الاشخاص فى الرّيبة وعدمها والحرمة و عدمها وامكان التّحفّظ وعدمه ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾ جمع الخمار بالكسر كالخمر بالسّكون، والخمار المقنعة الّتى هى غطاء رأس المرأة المتسدّل على جنبيها، كانت النّساء يلقين مقانعهنّ على ظهورهنّ وتبدو صدورهنّ.

فقال تعالى: وليلقين خمرهنّ ﴿عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ حتّى لاتبدو صدورهنّ فانّ الصّدور اشدّ شيءٍ فى الافتتان بها ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ تكرار هذه الكلمة لتفصيل الاجمال السّابق ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾.

فانّ الزّينة لم‌تكن الاّلهم بل النّساء مأمورات بالزّينة وابدائها للازواج ليتحرّك ميلهم اليهنّ ﴿أَوْ ءَابَآ ءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ فانّه لايتصوّر الرّيبة والفتنة منهم.

﴿أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾.

نسب الى الباقرعليه‌السلام انّه قال: الزّينة الظّاهرة الثّياب والكحل والخاتم وخضاب الكفّ والسّوار، والزّينة ثلاث: زينة للنّاس وزينة للمحرم وزينة للزّوج، و امّا زينة النّاس فقد ذكرناها، فامّا زينة المحرم فموضع القلادة فما فوقها، والدّملج ومادونه، والخلخال وماسفل منه، وامّا زنية الزّوج فالجسد كلّه.

و عن النّبىّ صلى‌الله‌عليه‌وآله انّه قال: للزّوج ماتحت الدّرع، وللابن والاخ مافوق الدّرع، ولغير ذى‌محرم اربعة اثواب، درع وخمار وجلباب وازار ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ يعنى النّساء المؤمنات فانّ الاضافة الى ضمير المؤمنات تفيد تخصيصاً للنّساء وبعد اعتبار حيثيّة الايمان فى الاضافة يعمل انّ المراد بهنّ المخصوصات بالمؤمنات بوصف الايمان لابالقرابة اعتبار حيثيّة الايمان فى القرابة و لابالمملوكيّة لهنّ لعدم اعتبار تلك الحيثيّة فى المملوكيّة و لذكر المملوكة بعد ذلك.

روى عن الصّادق‌عليه‌السلام انّه لاينبغى للمرأة ان تنكشف بين

اليهوديّة والنّصرانيّة فانّهنّ يصفن ذلك لازواجهنّ.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ﴾ من الاماء الغير المسلمة او من العبيد و الاماء فانّه لابأس ان يرى المملوك شعر مولاته و ساقها اذا كان مأموناً كما فى الخبر.

و فى خبرٍ: لايحلّ للمرأة اِن ينظر عبدها الى شيء من جسدها الاّ الى شعرها غير متعمّدٍ لذلك ﴿أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ﴾ الّذين من شأنهم ان يكونوا تابعين كالخادم والخادمة، والسّقاء والسّقاءة، والاجير والاجيرة، و الشّيخ و الشّيخة، والابله والبلهاء، والمولّى عليهما، والمجنون والمجنونة.

﴿غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ﴾ اى غير ذوى‌الحاجة الى النّساء يعنى ان لم‌يكن لهم شهود النّساء والاّ فلا يجوز لهم النّظر ولالهنّ ابداء الزّينة لهم ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ اى لم‌يطّلعوا على عوراتهنّ من حيث انّها عورات بان لم‌يكن فيهم شهوة النّساء حتّى يتميّز العورة منهنّ عندهم من غيرها، والطّفل جنس فى معنى الجمع ولذلك وصف بالجمع.

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ﴾ لمّا كان المتبادر من ابداء الزّينة ابداءها على الابصار دون ابدائها على الآذان قال: ولايضربن ﴿بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ﴾ بسماع صوت الزّينة من الخلخال وغيره ﴿مَا يُخْفِينَ مِن

﴿زِينَتِهِنَّ﴾ فانّ صوت الخلخال وللّباس ممّا يهيّج ميل الرّجال.

﴿وَتُوبُوٓاْ﴾ لمّانهى النّساء من ابداء مايريب الرّجال من لباسهنّ وزينتهنّ و ابدانهنّ امر الرّجال بالانصراف عمّايريبهم والتّوجّه الى ربّهم، او لمّاامر الرّجال بغضّ الابصار و حفظ الفروج وامر النّساء كذلك امر النّساء والرّجال بالانصراف ممّا يهيّج الشّهوات وبالتّوجّه الى الله بطريق التّغليب.

فقال: توبوا ﴿إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ لفظ الجميع و ان كان بمعنى المجتمع لكنّه يستعمل لمحض تأكيد العموم من دون اعتبار الاجتماع فى زمان الحكم ﴿أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ رسم فى المصاحف كتابة ايّها هذه بدون الالف الاخيرة وقرئ ايّه المؤمنون بفتح الهاء وضمّها تشبيهاً للهاء بعد اسقاط الالف بحرف اخر الكلمة واجراء لحركة ضمّ المنادى عليها.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ولمّاامر المؤمنين والمؤمنات بغضّ البصر و حفظ الفروج وكان ذلك شاقّاً على ذوىالعزوبة .

قال تعالى ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ﴾ مقلوب ايايم جمع الايّم مشدّد الياء من لازوج له من الرّجال والنّساء فالمعنى انكحوا من لازوجة له من الرّجال ومن لازوج لها من النّساء ﴿مِنكُمْ﴾ حالكونهم منكم من حيث الايمان فانّ الخطاب للمؤمنين بعنوان الايمان ومفهوم مخالفته لاتنكحوا الايامى من غيركم من حيث

الايمان سواء كانوا من حيث النّسب او لم‌يكونوا ﴿وَٱلصَّـٰلِحِينَ﴾اى المؤمنين.

فانّ المراد بالصّلاح ههنا الاسلام او المتعفّفين فانّه ايضاً صلاح النّفس ﴿مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ فانّهم ان كانوا متزوّجين ومزوّجات كانوا اسلم من الريبة واصلح للخدمة.

﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ﴾ الضّمير راجع الى الايامى فقط او اليهم والى الصّالحين على القول بتملّك العبيد و الاماء، او على ان يكون المراد بهم العبيد والاماء الّذين أعتقهم مواليهم و يكون الله تعالى أمر المسلمين بتزويجهم وعدم التّأنّف منهم لكونهم عبيداً و اماءً.

او المعنى ان يكونوا محتاجين الى الازواج بغلبة الشّبق و العزوبة، او المراد ان يكونوا فقراء الى الله تعالى محتاجين اليه فى الخلاص من الكثرات و الالتذاذ بالتّوحيد.

﴿يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ﴾ عن الكثرات ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ بحيث لا يكون الكثرات حجباً لهم ويكونون مشاهدين لله فى الكثرات فانّ رفع حجاب الكثرة وان كان بالعزلة اسهل و مشاهدة جمال التّوحيد فى الوحدة اكمل لكنّ المعتزل كلّما اشتغل بالكثرات للضّرورة الدّاعية اليها لانّه خلق محتاجاً اليها كانت الكثرات حجباً بل يكون سترها اقوى واشدّ ولذلك ترى المرتاضين المعتزلين قلّما يتحمّلون

واردات المعاشرة مع الخلق ولايمكنهم المعاملة مع الخلق و الاقامة فيهم.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ لايعجز من التّوسعة عليهم و لايخاف من عولهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بالتّسبيحات الخفيّة فيعلم انّ النّكاح سبب للغناء وان لم‌تعلموا انتم ذلك، او عليم باستعداد كلّ و صلاحه فان لم‌يغن بعضاً بالنّكاح كان يعلم منه باستعداده وبانّ صلاحه فى فقره.

فلا يقول قائل: نرى بعض من تزوّج لايصير غنيّاً.

او عليم بكم فيعلم انّ النّكاح يزيد فى فقركم و حاجتكم فيزيله عنكم بعد مانكحتم بأمره، و لمّا بيّن حكم اولياء الايامى و شركائهم فى الايمان بيّن حكم الايامى انفسهم مع اشعارٍ ما بانّ الواجب على المؤمنين رفع المانع من نكاح الايامى اذاكان المانع من قبلهم مثل التأنّف و ملاحظة الكفاءة فى الحسب النّسب وملاحظة الفقر و عدم القدرة على الانفاق او على التّعيشّ لاتهيّة الاسباب مثل الصّداق والنّفقة والكسوة فقال ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾ الايامى من الرّجال و النّساء.

النهى من ترك التزويج خوفاً من الفقر

﴿ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ بعدم وجدان الازدواج لرجالهم و نسائهم او عدم وجدان مايحتاجون اليه فى نكاحهم من الصّداق والنّفقة و الكسوة و المسكن او بمنع الاولياء من النّكاح و عدم‌القدرة على مخالفتهم.

﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ من فقر الدّنيا فيجدوا مايتيسّر لهم النّكاح او من الفقر الى وجدان الازواج فيجدوا لانفسهم ازواجاً او من الفقر الى رفع منع الاولياء.

او يغنيهم الله من النّكاح بان انسى طبعائعهم توليد النّطفة و أطفى حرارة النّطفةالموجودة فلاتوذى بدغدغتها و لا بامتلاء الاوعية بها او بان جعل قلوبهم بسبب الاستعفاف معلّقة بالملأ الاعلى ونفوسهم تابعة لها فلايشتغلون بالطّبيعة ولوازمها وملاذّها فيغنيهم ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ عن النّكاح.

او المعنى وليستعفف بالتّزويج الايامى من الرّجال والنّساء الّذين لايجدون نكاحاً ووطياً بان لميكن لهم ازواج و لميتزوّجوا مخالفة الفقر حتّى يغنيهم الله بالنّكاح الّذى يخافون الفقر بسببه، وعلى هذا يكون الآية الاولى امراً للمؤمنين و اولياء الاعزاب بتزويج الايامى، والآية الثّانية امراً للاعزاب انفسهم بالتّزويج.

كما نسب الى الصّادقعليه‌السلام فى هذه الآية انّه قال: يتزوّجون حتّى يغنيهم الله من فضله، و عنهعليه‌السلام: من ترك التّزويج مخالفة العيلة فقد اساء الظّنّ بربّه لقوله سبحانه: ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله.

و نسب الى النّبىّ صلى‌الله‌عليه‌وآله انّه قال: من احبّ فطرتى فليستنّ بسنّتى، و من سنّتى النّكاح، و قال صلى‌الله‌عليه‌وآله: يا معشر الشّباب من استطاع منكم الباءة فليتزوّج فانّه اغضّ للبصر و احصن للفرج، و من

لم يستطع فعليه بالصّوم فانّه له وجاء، والوجاء كناية عن قطع الشّهوة فانّه بمعنى رضّ الانثيين الّذى يذهب بشهوة الجماع.

و نسب اليه ﷺ انّه قال: من ادرك له ولد وعنده مايزوّجه فلم يزوّجه فأحدث فالاثم بينهما.

ونسب اليه ﷺ ايضاً انّه قال: اربع لعنهم الله من فوق عرشه وامنّت عليه ملائكته الّذى يحصر نفسه فلا يتزوّج و لا يتسرّى لئلاّ يولد له، و الرّجل يتشبّه بالنّساء وقدخلقه الله ذكراً، او المرأة تتشبّه بالرّجال و قدخلقها الله انثى، ومضلّل النّاس يقول للمسكين: هلمّ اعطك فاذا جاء يقول ليس معى شيءٌ، ويقول للمكفوف: اتّق الدّابة وليس بين يديه شيءٌ، والرّجل يسأل عن دار القوم فيضلّله.

﴿وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ مصدر كاتبه من الكتابة فانّه يجعل بين السيّد و العبد او الامامة كتاباً مشتملاً على نجوم مال الكتابة واجله و شروط المكاتبة، او اسم بمعنى الصّحيفة المكتوب فيها، او بمعنى القدر، او بمعنى الفرض، او هو مصدر من المجرّد او المزيد فيه من الكتاب بواحدٍ من المعنيين الاخيرين فانّهما يقدّر ان مال الكتابة، او المولى يفرض على نفسه عتق عبده باداء مال الكتابة.

﴿مِمَّا مَلَكَتۡ﴾ اى من العبيد والاماء الّذين ملكتهم ﴿أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ وانّما اتى بلفظ مادون من للاشعار بانّهم من حيث المملوكيّة فى حكم غير ذوى العقول.

﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أى مالاً او حرفة او قدرة على كسب المال او امانةً حتّى لايكتسبوا بالحرام مثل السّرقة والسّؤال والزّنا او صلاحاً حتّى لايفرّوا من مال الكتابة.

﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ اى حطّوا من مال الكتابة او ردّوا عليهم ممّا اخذتموه من نجوم مال الكتابة شيئاً ايّها الموالى، او أعطوهم من الزّكوة اعانة على اداء مال الكتابة ايّها الموالى او ايّها المؤمنون.

﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟﴾ايّها الموالى ﴿فَتَيَٰتِكُمْ﴾ اى امائكم الشّابّات ﴿عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ اى الزّنا ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ بيان للاكراه على البغاء فانّه لايتحقّق الاّ بارادتهنّ التّحصّن على انّ مفهوم الشّرط لو كان قيداً لميكن حجّة.

﴿لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بكسبهنّ واجرة البغاء.

﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ﴾ لهم اذا تابوا او غفور لهنّ مايلزمهنّ من السّوأة اللاّزمة لهذا الفعل ولو كان بالاكراه او من السّوأة اللاّزمة لهنّ بعد الاكراه اذا رغبن فى الفعل بمقتضى طبيعتهنّ.

﴿رَّحِيمٌ﴾ يرحمهم او يرحمهنّ فضلاً عن المغفرة، وقرئ فانّ الله من بعد اكراههنّ غفورٌ رحيم ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ موضحات او واضحات.

قرئ بكسر الياء وفتحها، وبان وابان وبيّن و تبيّن و استبان كلّها لازم ومتعدٍّ والمعنى انزلنا اليكم اياتٍ واضحات الاحكام او المقاصد او الحكم والمصالح، او البراهين؛ مثل القضايا الّتى قياساتها معها، او الصّدق والمراد بها معنى اعمّ من الآيات التّدوينيّة والتّكوينيّة الآفاقيّة والانفسيّة من الانبياء والاولياء والعقول وواراداتها ﴿وَ مَثَلاً﴾ اى حجّة او حديثاً او شبيهاً.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ﴾ ويجوز ان يراد بالآيات الآيات التّدوينيّة وبالمثل علىّ عليه السلام او بالآيات محمّد صلى الله عليه وآله والعقول فانّ محمّد صلى الله عليه وآله من حيث النّبوّة نازل من الله وبالمثل علىّ عليه السلام فانّه من حيث الولاية نازل من الله، ومحمّد صلى الله عليه وآله من حيث النّبوّة اية بل ايات من الله، وعلىّ عليه السلام من حيث الولاية شبيه للماضين جميعاً.

﴿وَ مَوْعِظَةً﴾ اى تذكيراً ونصحاً وترغيباً وتخويفاً، ويجوزان يكون الآيات والمثل والموعظة اوصافاً لذاتٍ واحدةٍ ويكون المراد عليّاً عليه السلام فانّه باوصافه واخلاقه وعلومه ومكاشفاته وقدرته وتصرّفاته ايات عديدة دالّة على صفات الحقّ الاوّل تعالى مبيّنة لذاته وصفاته كما انّه مثل لجميع الانبياء و الاولياء عليهم السلام الماضين و هو بذاته و سائر صفاته موعظة.

﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ متعلّق بموعظة او بانزلنا او اللاّم للتّبيين والظّرف مستقرّ خبر لمبتدءٍ محذوف او حال وانّما قال للمتّقين لانّ غيرهم لاينتفعون بذلك.

آية النّور

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ اعلم انّ الله كما سبق مكرّراً اسم للذّات الواجب الوجود باعتبار مقام ظهوره الّذى هو مقام المشيّة و هى اضافته الاشراقيّة الى الاشياء وهى فعل وفيضه ونوره المنبسط على جميع الاشياء وبها يخرج الاشياء من اللّيس المحض الى الايس، و من العدم الى الوجود، ومن الظّلمة الى النّور، ومن الخلفاء الى الظّهور.

و انّ الذّات الاحديّة بدون هذا العنوان غيب محض لااسم له و لارسم و لاخبر عنه ولذلك سمّى فى الاخبار بالعمى، وقدفسّر الله تعالى فى الآيات بسائر مظاهره من الانبياء والاولياء عليهم‌السلام.

فانّه فسّر الكفر والشّرك بالله تعالى فى الاخبار بالكفر والشّرك بخلفائه، وانّ النّور اسم للضّياء سواء كان ضياء الشّمس او القمر او سائر الكواكب، وسواء كان ضياء النّار والسّراج او الجواهر او غيرها.

او هو اسم لشعاع الضّياء، او هم اعمّ وقدنار نوراً وانار واستنار ونوّر وتنوّر كلّها بمعنى اضاء اللاّزم، وجاء انار ونوّر متعدّيين ايضاً، والنّور اسم لمحمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله او نبوّته او رسالته او ولايته او اسم لعلىّ عليه‌السلام او خلافته او ولايته.

و قديطلق على الّذى يبيّن الاشياء مطلقاً ضياءً وشعاعاً كان،

او دليلاً وبرهاناً، او علامة واثاراً، بهذا المعنى يطلق على الكتب السّماويّة و الخلفاء الالهيّة.

وقديطلق على الهدى ومابه الهدى وبـهذا المـعنى ايـضاً يكون الكتب السّـماويّة و الرّسـالات و النّـبوّات و الولايـات و الاقوال و الافعال و الاحوال و الاخلاق الحسنة كلّها انواراً و انّـه لااختصاص للاسماء بمصاديقها العرفيّة بل المعتبر فى صدقها هى المعانى المطلقة الحاصلة فى جميع العوالم وجميع المراتب من دون اعتبار خصوصيّةٍ من خصوصيّات المصاديق والعـوالم فـيها، فـانّ النّور اسم للظّاهر بذاته من دون وساطة امرٍ اخر المظهر لغيره.

و النّور العرضىّ الّذى لايبقى انين وليس ظـاهراً الاّ عـلى الابصار و لايكون ظهوره على الابصار الاّ بعد اجتماعه فى سطحٍ كثيفٍ غليظٍ لاينفذ فيه ولايظهر الاّ السّطوح والالوان والاشكـال ولايظهر الاّ على الابصار دون سائر المدارك احد مصاديقه من دون اعتبار تلك الخصوصيّات فى صدقه.

بل نقول: معنى الظّاهر بذاته مـظهر لغـيره ليس حـقيقةً الاّ لحقيقة الوجود الّذى هو واجب لذاته وموجب لغـيره، وامّـا سـائر الانوار العرضيّة والحقيقيّة الّـتى هـى وجـودات الاشـياء وانـوار الرّسالة والنّبوّة والولاية والهداية فهى وان كـانت بـوجهٍ ظـاهرةٍ بذواتها بمعنى انّه لاحاجة لها الى نورٍ اخر تظهر هـى بـه لكـنّها

محتاجّة الی علّة تخرجها وتظهرها والی ماتقع علیه مـن سـطوح المهیّات والصّـدور والقـلوب والارواح ومـن سـطوح الاجسـام المادّیّات فهی لیست فی الحقیقة ظاهرة بذواتها.

و انّ السّماوات لااختصاص لها بالافلاك الطّبیعیّة و الكرات العلویّة بل كلّماكان فیه جهة علوّ وفاعلیّة بالنّسبة الی مادونه فهو سماء بالنّسبة الیه فالعقول الكلّیّة الطّـولیّة والعـرضیّة و النّـفوس الكلّیّة والجزئیّة والافلاك الطّبیعیّة كلّها سماوات.

و الارض اسم لمـاله تسـفّلٌ وقـبولٌ ولااخـتصاص لاسـم الارض بالارض الغبراء بل عالم الطّبع بشر اشـره وعـالما المـثال السّفلیّ و العلویّ كلّها ارض، وقدمضی فی اوّل سورة الانعام وجه جـمع السّـماوات وافـراد الارض وانّ السّـماء والارض اسـمان للموجود منهما الممتاز بتعیّن السّماویّ والارضیّ، او اسمان لنفس مهیّاتهما من دون اعتبار الوجود معها فعلی هذا صحّ ان یقال فـی بیان الآیة: انّ الله ذونور السّماوات والارض موافقاً لمـانسب الی امیرالمؤمنین‌علیه‌السلام.

انّه قرء: الله نور السّماوات والارض علی صیغة الماضی من التّفعیل سواء ارید من النّور النّور المحسوس العرضیّ او الوجود، او الهـدی وصـحّ ان یـقال: انّ الله مـبیّن السّـماوات والارض ومخرجهما من خفاء العدم الی الوجود.

وصحّ ان يقال: انّ الله وجود السّماوات والارض سواء اريد منه وجود وجودهما على ان يـراد مـن فـى السّـماوات والارض الموجودان منهما واعتبر قيد الحيثيّة فى اضافة النّور اليهما او اريد منه نفس وجودهما.

فانّالله باعتبار مقام ظهوره الّذى هو المشيّة قوام وجودات الاشياء وفاعلها وروحها بوجهٍ ونفس وجودات الاشياء بوجهٍ كما انّ الفصول فاعل وجودات الاجناس وقوامها بوجه اخذها بشـرط لا، ونفس وجوداتها يوجه اخذها لابشرطٍ، فانّ فعل الحـقّ الذى هـو المشيّة هو صورة الاشياء وقوامها وفاعلها.

و صحّ ان يقال انّ الله بحسب مظهره الّذى هو العقل الكلّىّ او الرّوح الكلّىّ الّذى هو ربّ النّوع الانسانىّ نور السّماوات والارض بالوجوه المذكورة او بحسب مظهره الّذى هـو النّـفس الكـلّيّة او بحسب مظهره الّذى هو عالم المثال نـور السّـماوات والارض او بحسب مظاهره الّذين هم انبياؤء واولياؤه عليهم السلام هدى اهل السّماوات والارض او مبيّنون لاهل السّماوات والارض او بحسب مـظاهره الّتى هى لطائف الولاية.

و النّبوّة و الرّسالة نور السّماوات والارض فى العالم الكبير او فى العالم الصّغير بالوجوه السّابقة او بحسب مظاهره الّتى هـى الارواح والعقول و القلوب و النّفوس الحيوانـيّة نـور السّـماوات

والارض فى العالم الصّغير بالوجوه السّابقة.

او بحسب مظهره الّذى هو مثال اوليائه الظّاهر فى صدور السّالكين نور السّماوات والارض فى العالم الصّغير ان لم‌يكن ذلك الامثال قويّاً على انارة خارج عالم السّالك، او فى العالم الصّغير والكبيران صار المثال قويّاً على انارة الخارج ايضاً، والى هذا الوجه اشار العارف الرّبّانيّ قدّس سرّه بقوله:

كرد شهنشاه عشق در حرم دل ظهور

قد ز ميان برفراشت رايت الله نور

او بحسب مظهره الّذى هو قوّة الواهمة والمتخيّلة والخيال، او بحسب مظهره الّذى هو المدارك الباطنة او هو المدارك الظّاهرة.

﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ اى صفته او حديثه ﴿كَمِشْكَاةٍ﴾ اى كصفة مشكوة او حديث مشكوةٍ وقدمضى سابقاً انّ التّشبيهات اَلتمثيليّة لايلزم فيها ذكر جميع اجزاء المشبّه ولاذكر جميع اجزاء المشبّه به ولاالتّرتيب بين اجزائهما ولاذكر جزءٍ مخصوصٍ عقيب اداة التّشبيه ولاالاتيان بلفظ المثل فى الجانب المشبّه به ولاالاتيان باداة التّشبيه، واضاف النّور الى ضمير الله مع انّ المناسب ان يقول مثله لانّه جعله نفس النّور للاشارة الى انّ الذّات بحسب مقام الغيب ومقام الذّات الاحديّة لاخبر عنه و لاحكم عليه وانّما الخبر والحكم عليه بحسب مقام ظهوره بمراتب ظهوره كما اشرنا اليه والمشكوة الكوّة الغير النّافذة.

﴿فِيهَا﴾ اى فى المشكوة الّتى لاينفذ النّور منها ﴿مِصْبَاحٌ﴾ اى سراج ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ فى تكرار المصباح ظاهراً معرّفاً تفخيم و تعجيب من شأنه كما انّ تنكيره اوّلاً يفيد التّفخيم.

﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ قرئ بضمّ الدّال وكسرها مشدّد الياء ومهموز الآخر منسوباً الى الدّرّ او فعّولاً مشدّد العين مضموم الفاء او فعّيلا مشدّد العين مضموم الفاء او مكسورها من الدّرء بمعنى الدّفع و على اىّ تقدير فهو بمعنى شديد التلألؤ.

﴿يُوقَدُ﴾قرئ بالياء التّحتانىّ وبالتّاء الفوقانىّ مبنيّاً للمفعول من اوقد، وقرئ توقّد ماضياً مبنيّاً للفاعل من التّوقّد ﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ فانّ فى الزّيتونة كثرة نفعٍ للعرب من حيث انّها طعام وشراب وفاكهة وادام ودهن، وتوقّد الكواكب او الزّجاجة او المصباح من تلك الشّجرة باعتبار توقّد فتيلة المصباح بدهن ثمرتها.

﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ﴾ لاتكون فى مشرق الحائط حتّى لايقع عليها الشّمس مدّة من اوّل النّهار ﴿وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ لاتكون فى مغرب الحائط حتّى لايقع عليها الشّمس مدّة من اخر النّهار فيكون زيتها اصفى وثمرها اشهى لكونها بارزةً للشّمس طول النّهار، او المعنى انّها ليست من شجر الدّنيا.

فانّ شجر الدّنيا لاتكون الاّ شرقيّة او غربيّة او شرقيّة وغربيّة جميعاً بالاضافة الى الجهات المتخالفة، او المعنى انّها لاتكون

منسوبةً الى شروق الشّمس بحيث لايقع عليها ظلّ فيحترق ثمرها ولامنسوبة الى غرب الشّمس بحيث لايكون الشّمس غاربةً عنها دائماً فلاينضج ثمرها.

او المعنى انّها ليست من الشّجر الواقع فى جهة الشّرق او جهة الغرب من المعمورة فانّ هاتين الجهتين لشدّة حرارة الشّمس فيهما يحترق ثمر شجرهما بل تكون واقعة فى وسط المعمورة فيكون ثمرها اتمّ نضجاً غير محترق من حرّ الشّمس وغيرنيٍّ من برد الهواء.

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ لفرط صفائه ولطافته ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾.

احتمالات تطبيق المثل بالممثل

تطبيق اجزاء المثل بالممثّل له على الاحتمالات الاربعة عشر فيه على عدد ال محمّدٍ ﷺ

اعلم، انّ تطبيق هذا المثال على الممثّل له اذا علمت انّ الممثّل له هو المشيّة او العقل الاوّل او مطلق العقول او ربّ النّوع الانسانىّ او مطلق ارباب الانواع او النّفوس الكلّيّة او الجزئيّة او عالم المثال او روح الانسان او عقله او قلبه او نفسه او النّفس الحيوانيّة او مثل خلفاء الله الظّاهر على صدر السّالك المسمىّ بالسّكينة والفكر عندهم سهل عليك تطبيق اجزاء المثل على الممثّل له.

فانّه اذا اريد بالنّور المشيّة كان المشكوة عالم الطّبع والزّجاجة عالم

الارواح مطلقاً والمصباح نفس المشيّة من وجهها الى العالم الّذى يسمّى بالكرسىّ والفيض المقدّس وكانت الشّجرة هى المشيّة ايضاً بوجهها الى الله الّذى يسمىّ بالعرش والفيض الاقدس.

او كانت الشّجرة هي المادّة الاولى او مطلق المادّة، او كانت المشكوة عالم المثال او عالم النّفوس وباقى اجزاء المثال كما سبق، واذا اريد العقول او النّفوس او عالم الامثال بالنّور الممثّل له كانت المشكوة عالم الطّبع او عالم المثال و الزّجاجة عالم النّفوس و المثال او عالم النّفوس فقط.

و الشّجرة مطلق عالم المشيّة او جهتها الآلهيّة او جهتها الخلقيّة او المادّة الاولى او المادّة المطلقة، واذا اريد النّفوس من النّور كانت المشكوة عالم امثال والشّجرة هى المشيّة بما ذكر فيها من الوجوه.

او العقول او المادّة، واذا اريد عالم المثال كانت المشكوة عالم المثال كانت المشكوة عالم الطّبع والزّجاجة عالم البرزخ، والشّجرة يجوز ان تكون كلّ ماسبق عليه و ان تكون هى المادّة.

و اذا اريد بالنّور الممثّل له الولاية او النّبوّة او الرّسالة او الاسلام او الايمان او الرّوح او العقل او القلب او النّفس البشريّة او مثال الشّيخ كان تطبيق سائر الاجزاء ظاهراً.

و اذا اريد النّبىّ ﷺ او الولىّ عليه السلام او الرّسول ﷺ او المؤمن كان المشكوة ابدانهم الطّبيعيّة او صدورهم المنشرحة بالاسلام،

وبالرّسالة وخلافتها او قلوبهم المنقوشة فيها احكام النّبوّة و اثار الولاية والزّجاجة نفوسهم او قلوبهم او عقولهم والمصباح بحسبها، والشّجرة هى المشيّة او العقول الكلّيّة وارباب الانواع او النّفوس الكلّيّة، او جهة الايحاء وافاضة العلوم اللدّنّيّة او ولايتهم او نبوّتهم.

و يجوز ان يراد بالنّور الممثّل له الرّوح النّفسانىّ او الرّوح الحيوانىّ او النّفس النّباتيّة و يكون الزّجاجة الرّوح الحيوانىّ او النّفس النّباتيّة او الطّبع الجمادىّ و المشكوة النّفس النّباتيّة او البخار المتكوّن فى القلب او فيه وفى الشّرائين او الطّبع الجمادىّ او القلب الصّنوبرىّ او هو مع الشّرائين او جملة البدن، وفى الاخبار اشير الى بعض الوجوه والى بعض وجوه اخر.

فعن الصّادق عليه‌السلام هو مثل ضربه الله تعالى لنا، و عنه عليه‌السلام الله نور السّماوات والارض قال: كذلك الله عزّ وجلّ مثل نوره قال: محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله كمشكوة قال: صدر محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله فيها مصباح، قال: فيه نور العلم يعنى النّبوّة، المصباح فى زجاجةٍ قال: علم رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وآله صدر الى قلب علىٍّ عليه‌السلام الزّجاجة كأنّها قال: كأنّه كواكب درّىّ يوقد من شجرةٍ مباركةٍ زيتونةٍ لاشرقيّةٍ ولاغربيةٍ قال: ذلك اميرالمؤمنين علىّ بن ابى طالب عليه‌السلام لايهودىّ ولانصرانىّ يكاد زيتها ولو لم‌تمسسه نارٌ قال: يكاد العلم يخرج من فم العالم من ال محمّدٍ صلى‌الله‌عليه‌وآله من قبل ان ينطق به، نورٌ على نورٍ، قال: الامام فى اثر الامام.

وقدورد عنهمعليهم‌السلام مع اختلافٍ فی بیان الوجوه نظیر هذا الخبر کثیراً.

و عن الباقرعليه‌السلام انّه تعالی یقول: انا هادی السّماوات والارض مثل العلم الّذی اعطیته وهو النّور الّذی یهتدی به مثل المشکوة فیها المصباح فالمشکوة قلب محمّدصلى‌الله‌عليه‌وآله والمصباح نوره الّذی فیه العلم.

وقوله: المصباح فی زجاجةٍ یقول: انّی ارید ان اقبضك فاجعل الّذی عندك عند الوصیّ کما یجعل المصباح فی الزّجاجة کأنّها کوکبٌ درّیٌّ فأعلمهم فضل الوصیّ یوقد من شجرةٍ مبارکةٍ فأصل الشّجرة المبارکة ابراهیمعليه‌السلام وهو قول الله عزّ وجلّ: رحمة الله وبرکاته علیکم اهل البیت انّه حمیدٌ مجیدٌ وهو قول الله تعالی: انّ الله اصطفی آدم نوحاً وآل ابراهیم وآل عمران علی العالمین ذرّیّةً بعضها من بعضٍ والله سمیعٌ علیمٌ لاشرقیّة ولاغربیّة یقول لستم یهود فتصلّوا قبل المغرب ولاالنّصاری فتصلّوا قبل المشرق و انتم علی ملّة ابراهیمعليه‌السلام.

و قد قال الله عزّ وجلّ: ما کان ابراهیم یهودیّاً و لانصرانیّاً و لکن کان حنیفاً مسلماً و ما کان من المشرکین و قوله: یکاد زیتها یضيء یقول: مثل اولادکم الّذین یولدون منکم مثل الزّیت الّذی یعصر من الزّیتون یکادون ان یتکلّموا بالنّبوّة و لو لم‌ینزل علیهم ملك.

و عن الصّادقعليه‌السلام عن ابیه فی هذه الآیة: الله نور السّماوات

والارض، قال بدأ بنور نفسه مثل هدات فی القلب المؤمنين كمشكوة فيها مصباح، المشكوة جوف المؤمن و القنديل قلبه، و المصباح النّور الّذی جعله الله فيه، توقد من شجرةٍ مباركةٍ قال: الشّجرة المؤمن زيتونةٍ لاشرقيّة و لاغربيّة.

قال: على سواء الجبل لاغربيّة ای لاشرق لها ولاشرقيّة ای لاغرب لها، اذا طلعت الشّمس طلعت عليها، و اذا غربت غربت عليها، يكاد النّور الّذی جعله الله فی قلب المؤمن يضيء و ان لم‌يتكلّم نورٌ على نورٍ فريضة على فريضةٍ وسنّة على سنّةٍ يهدی الله لنوره من يشاء، قال: يهدی الله لفرائضه وسننه من يشاء ويضرب الله الامثال للنّاس قال: فهذا مثل ضربه الله للمؤمن، قال: فالمؤمن ينقلب فی خمسة من النّور مدخله نور، ومخرجه نور، و علمه نور، وكلامه نور، ومصيره يوم القيامة الى الجنّة نور.

قال الرّاوی: قلت لجعفرٍ عليه‌السلام انّهم يقولون مثل نور الرّبّ قال سبحان الله ليس لله مثل اما قال: فلا تضربوا لله الامثال؟!

و يجوز ان يراد بالمصباح ولاية محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله مخصوصاً فليكن الزّجاجة نبوّته والمشكوة رسالته.

و الشّجرة لطيفته السّيّارة الانسانيّة او مادّة الكاملة وجثّته العنصريّة اللّتين كانتا فی حاقّ الوسط غير مائلتين الى التّوحيد ولاالى التّكثير كعيسى وموسى عليه‌السلام فانّ احدهما مال الى التّوحيد

والآخر الى التّكثير.

و يجوز ان يراد بالمصباح نبوّة محمّدٍ ﷺ فليكن الزّجاجة رسالته والمشكوة صدره، و الشّجرة لطيفته السّيارة، او ولايته الكاملة او مادّته، و قيل انّ المشكوة ابراهيم عليه السلام و الزجّاجة اسماعيل عليه السلام و المصباح محمد ﷺ من شجرة مباركة يعنى ابراهيم عليه السلام لانّ اكثر الانبياء من صلبه لاشرقيّة ولاغربيّة لانصرانيّة ولايهوديّة يكاد زيتها يضيء اى يكاد محاسن محمّد ﷺ تظهر قبل ان يوحى اليه.

و قيل: المصباح القران، والزّجاجة قلب المؤمن، والمشكوة لسانه و فمه، والشّجرة شجرة الوحى يكاد حجج القران تتّصح وان لم تقرأ.

﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ خبر بعد خبرٍ لمثل نوره يعنى صفة نوره الّذى هو المشيّة صفة نورٍ على نورٍ فى شدّة الاضاءة لتضاعف اضاءته بصفاء زيته و صفاء زجاجته، و جمع المشكوة لنوره على انّ المشيّة الّتى هى وجود مطلق مقوّمة لجميع الوجودات المقيّدة فهى وجود مطلق وارد على جميع الوجودات المقيّدة و هكذا سائر الوجوه المذكورة فى النّور، او خبر لمبتدءٍ محذوفٍ اى نور الرّب نورٌ على نورٍ بجميع الوجوه المذكورة فى النّور او خبر خبر لله اى الله بحسب مظاهره نورٌ على نورٍ.

او مبتدء خبرٍ محذوفٍ اى فى المشكوة نورٌ على نورٍ، او خبر بعد خبر

للمصباح، او خبر بعد خبر للزّجاجة، او خبر بعد خبر للزّجاجة او خبر بعد خبر لكأنّ، او صفة لمصباح، او الكواكب، او خبر مبتدءٍ محذوفٍ اى الكواكب الدّرىّ نورٌ على نورٍ او مبتدء و على نور خبره و مسوّغه الوصف المقدّر اى نور عظيم على نورٍ او مبتدء و خبره.

﴿يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾ وعائده تكرار المبتدأ اى نورٌ على نورٍ يهدى الله اليه ﴿مَن يَشَآءُ﴾.

وجوه اعراب اية النّور

وبيان اعراب الآية بنحو الاجمال ان يقال: الله مبتدء ونور السّماوات خبره كما هو الظّاهر او بدل منه او صفته ومثل نوره كمشكوة جملة وخبر بعد خبر لله او خبر له او حال .

او مستأنفة جواب لسؤالٍ مقدّرٍ او معترضة وفيها مصباح صفة لمشكوة او مستأنفة او معترضة والمصباح فى زجاجةٍ صفة مصباح او صفة مشكوةٍ او حال من مشكوة والعائد على الاوّل تكرار الموصوف و على الاخيرين يكون مقدّراً اى المصباح فيها فى زجاجة.

اومستأنفة او معترضة وفى زجاجة خبر المصباح او حال منه والزّجاجة كأنّها كوكب صفة زجاجة او صفة مصباحٍ او صفة مشكوةٍ، او حال منها والعائد مثل عائد جملة المصباح فى زجاجة او مستأنفة او معترضة وكأنّها كوكبٌ درىٌّ

خبر الزّجاجة او حال منها، ويوقد من شجرة مباركة صفة كوكب اوحال منه او خبر بعد خبر لكأنّ، او خبر للزّجاجة او خبر بعد خبر لها، او حال من الزّجاجة، او من ضمير كأنّها.

او صفة زجاجة او حال منه او خبر للمصباح او خبر بعد خبر له، او حال منه او من المستتر فى قوله فى زجاجة او خبر بعد خبر لله او خبر له ابتداء او حال منه او من نور السّماوات او مستأنفة او معترضة وتوفيق التّأنيث و التّذكير لمايحمل عليه و يوصف به موكول الى تفطّن النّاظر الخبير، و يكاد زيتها يضيء صفة للشّجرة او حال منها او مستأنفة او معترضة، ونورٌ على نور.

قدمضى وجوه اعرابه ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ يعنى يوصل الى طريق المقصود او يذهب اليه بمن يشاء ويضرب الامثال للتّنبيه على طريق المقصود لجميع النّاس ليهتدى من يهتدى ويضلّ من يضلّ ويحيى من حيّ عن بيّنةٍ ويهلك من هلك عن بيّنة.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ عطف على الله نور السّماوات او على جملة مثل نوره كمشكوة او على جملة يهدى الله لنوره من يشاء، او على جملة يضرب الله الامثال.

﴿فِى بُيُوتٍ﴾ متعلّق بعليم واشارة الى انّ مظاهره كما انّهم مظاهر له تعالى مظاهر لجميع اسمائه وصفاته، وحجّة على انّ

مظاهره انوار السّماوات والارض مثل مقام ظهوره.

لانّ المظاهر اذا كانوا مظاهر لعلمه الّذى هو من صفاته الحقيقيّة الّتى هى اشرف الصّفات كانوا مظاهر لاضافاته الّتى هى اضعف الصّفات والمعنى انّه كما يعلم بكلّ الاشياء فى مقام ذاته ومفام ظهوره عليم بكلّها فى مظاهره، و يجوز ان يجعل فِى بُيُوتٍ متعلّقاً بمحذوف يفسّره يسبّح المذكور بطريق باب الاشتغال، ويجوز تعلّقه بالجمل السّابقة والمراد بتلك البيوت بيوت خلفاء الله من الانبياء و الاولياء عليهم السلام و صدورهم و قلوبهم و ولايتهم و نبوّتهم و ذوات الانبياء و الاولياء عليهم السلام،

يجوز ان يراد بالبيوت الّتى ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ المساجد الصّوريّة يجوز ان ترفع على سائر البيوت و لايجوز ان ترفع البيوت عليها و المساجد الحقيقيّة أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ على كلّ الموجودات اذناً تكوينيّاً و ارتفاعاً تكوينيّاً و اذناً تكليفيّاً و ارتفاعاً تكليفيّاً ﴿وَ يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ﴾ قرئ مبنيّاً للمفعول و مبنيّاً للفاعل بالياء التّحتانىّ و بالتّاء الفوقانىّ.

و اذا كان مبنيّاً للمفعول وبالياء التّحتانىّ كان مرفوعة واحداً من الظّروف الثّلاثة الآتية، واذا كان بالتّاء الفوقانىّ، كان مرفوعة السّبحة المستفادة من الفعل.

و اذا كان مبنيّاً للفاعل كان مرفوعه رجالٌ، وتأنيث الفعل

باعتبار صورة الجمع المكسّر و جملة يسبّح ﴿لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ حاليّة او مستأنفة، و الغدوّ مصدرٌ استعمل بمعنى اوقات الصّبح ولذلك حسن مقابلته مفرداً مع الآصال جمعاً و المراد بالتّسبيح تنزيه اللّطيفة الانسانيّة عمّا يعاوقه عن السّلوك الى الرّبّ سواءٌ عدّى بنفسه الى الله او الى اسم الله او باللاّم سواء كان اللاّم للتّقوية او للغاية.

فانّ تلك اللّطيفة مظهر لله و اسم له و تنزيهها ليس الاّ لله ﴿رِجَالٌ﴾ فاعل يسبّح المذكور ان قرئ مبنيّاً للفاعل وفاعل محذوف ان قرئ مبنيّاً للمفعول.

و فى اخبارنا انّ رجال خبر مبتدءٍ محذوفٍ كناية عن البيوت اى هم اى البيوت رجال، و يجوز ان يكون رجال مبتدءاً خبره يخافون.

﴿لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيۡعٌ﴾ التّجارة مطلق المعاملة او هى البيع والشّرى والبيع من الاضداد يستعمل فى الشّرى والبيع كالشّرى، فعلى هذا كان ذكر البيع بعد التّجارة من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ او من قبيل ذكر المرادف بعد المرادف للتّأكيد ان كان البيع اعمّ من البيع والشّرى بطريق عموم الاشتراك، او المراد بالتّجارة مطلق المكاسب سواء كان بطريق المعاملة او غيرها والبيع التّجارة المعهودة.

﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ قدمضى فى سورة البقرة عند قوله فاذكرونى أذكركم تحقيق الذّكر و اقسامه، و الذّكر سواء كان لسانيّاً جليّاً او جنانيّاً خفيّاً او صدريّاً حقيقيّاً ويعبّر عنه بالسّكينة والفكر والحضور وهو مثال الشّيخ المتمثّل عند السّالك لقوّة اشتغاله بالذّكر المأخوذ منه او كان تذكّراً لأمره ونهيه عند كلّ فعلٍ لاينافى الاشتغال بالمكاسب.

بل اذاكان حال السّالك ملاحظة امره تعالى ونهيه عند فعاله وكان كسبه بلحاظ امره تعالى و عدم فعوده عن الكسب بلحاظ نهيه تعالى كان كسبه ذكراً بل كان من اشرف اقسام الذّكر كما مضى فى سورة البقرة.

فانّ الذّكر اللّسانىّ و الجنانىّ عبارة عمّا يجرى على اللّسان او على الجنان و يذكر الانسان بسببه صفات الرّحمن و هذا الكسب بذلك اللّحاظ يذكر الانسان بسببه صفتى لطفه و قهره و اضافتى امره و نهيه، فالرّجال لايتركون الكسب لذكر الله بل يجعلون الكسب ذكراًلله.

﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ قدمضى فى اوّل البقرة تحقيق و تفصيل للصّلوة واقسامها واقامتها ﴿وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ قدمضى هناك بيان الزّكوة وايتائها مفصّلاً.

روى عن الصّادق عليه السلام انّهم كانوا اصحاب تجارة فاذا حضرت الصّلوة تركوا التّجارة وانطلقوا الى الصّلوة وهم أعظم اجراً ممّن

لا يتّجر، وفى خبر: هم التّجّار الّذين لاتلهيهم تجارةٌ ولا بيع عن ذكر الله اذا دخل مواقيت الصّلوة ادّوا الى الله حقّه فيها.

و سئل الصّادق عليه السلام عن تاجرٍ فقيل: صالح ولكنّه قدترك التّجارة، فقال عليه السلام: عمل الشّيطان، ثلاثاً؛ اما علم انّ رسول الله صلى الله عليه وآله اشترى عيراً اتت من الشّام فاستفضل فيها ماقضى دينه وقسّم فى قرابته يقول الله عزّ وجلّ: رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله (الآية) يقول القصّاص: انّ القوم لميكونوا يتّجرون، كذبوا ولكنّهم لميكونوا يدعون الصّلوة فى ميقاتها وهو افضل ممّن حضر الصّلوة و لميتّجر.

﴿يَخَافُونَ﴾ حال او صفة بعد صفة لرجال او خبر بعد خبر اى هم رجال يخافون او خبر لرجال او جواب لسؤالٍ مقدّرٍ فى مقام التّعليل ﴿يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ﴾ فى الاحوال من الحزن والسّرور والقبض والبسط، و الخوف و الرّجاء و غير ذلك من الاحوال المتضادّة و ذلك لكثرة ماترى من اسباب ذلك فانّ ذلك اليوم يوم يعرض فيه الجنّة ونعيمها والجحيم وانواع عذابها على الخلق.

﴿وَ﴾ تتقلّب ﴿ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ من الانفتاح والنغماز، و الشّخوص والخشوع، والدّوران والسّكون، او تتقلّب القلوب من اخسّ احوالها الى اشرفها، او من حالاتها الخسيسة الى اخسّها، او الابصار من ابصارها الى العمى او من ضعف الابصار الى حدّته، او تتحرّك القلوب الى الحناجر والابصار يمنة

ويسرة لكثرة المدهشات، او تتقلّب القلوب من الشّك الى اليقين والابصار ممّا رأته غيّاً فتراه رشداً.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ اللاّم اشارة الى العاقبة او الى العلّة الغائيّة وعلّة لقوله تعالى: يهدى الله لنوره من يشاء او ليضرب الله الامثال او لاذن الله او لترفع او ليذكر فيها اسمه، او ليسبّح او لقوله لاتلهيهم او لذكر الله واقام الصّلوة او ليخافون او لتتقلّب فيه القلوب، او للكلّ على سبيل التّنازع، والجزاء باحسن ماعملوا امّا بان لايجزى غيره سواء كان حسناً او قبيحاً.

او بان يجزى جميع الاعمال حسنها وأحسنها وقبيحها بجزاء احسنها، و هذا هو المراد و قدمضى فى سورة التّوبة فى نظير الآية بيان لوجه جزاء جملة الاعمال بجزاء احسنها.

﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾من غير نظرٍ الى عمله واستحقاقه ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ عطف او حال فى معنى التّعليل او عطف فيه معنى الاضراب و التّرقّى فانّ الظّاهر من الزّيادة على قدر جزاء العمل ان تكون بقدر و حساب فأضرب عنه وقال بل يرزقهم حسابٍ وانّما قال الله يرزق من يشاء بغير حسابٍ لافادة هذا المعنى و التّعليل عليه فكأنّه قال: بل‌الله يرزقهم بغير حسابٍ لانّهم يشاؤهم الله والله يرزق من يشاء بغير حساب.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ عطف على يـهدى الله و مـعادلٌ له و المناسب للمعادلة ان يقول: ويضلّ الله عن نوره مـن يشـاء لكـنّه للاشارة الى انّ الهداية من الغايات الذّاتيّة و الاضلال من الغايات العرضيّة كأنّه ليس الاّ فعل العبد عدل عنه و قال و الّذين كـفروا بالنّور يعنى بعلىّعليه السلام و ولايته.

أو عطف على جملة يسـبّح له فـيها ومـعادلٌ له والمـعنى لايسبّح له فيها رجال ﴿أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابِۭ﴾ لكنّه عـدل الى هذا للاشعار بانّ كون اعمالهم كسرابٍ معلّل بكفرهم.

وللاشارة الى انّ عدم التّسبيح مسبّب عن كفرهم ايـضاً، او عطف على جملة رجال على ان تكون خبر لمحذوفٍ، او عطف على جملة يخافون على ان تكون مستأنفةً.

﴿بِقِيعَةٍ﴾ القيع والقيعة والقيعان بكسرهنّ جميع القاع وهـى ارض سهلة مطمئنّة قدانفرجت عنها الجبال.

﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَـجِدْهُ شَيْـًٔا وَ وَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّـىٰهُ حِسَـابَهُۥ﴾ و هـذا مـن التّشبيهات الّتمثيليّة مثّل عمل الكافر الّذى يشبه الطّـاعات الّـتى تصدر عمّن قبل الولاية وصار ذالبٍّ بتلقيح الولاية والبيعة الخاصّة الولويّة بسرابٍ يلمع لمعان الماء الجارى فى بيداء بعيدة فى نظارة صورة عمله و خلّوها عن معنى الطّاعات وفنائها من غير بقاء اثرٍ

منها على النّفس.

و شبّه الكافر العامل لهذا العمل او النّاظر الى هذا العامل و عمله الّذى يطلب الحقّ وكان الحقّ مستوراً عنه و يفتتن بصورة هذا العمل بظمآن يفتتن بصورة السّراب، و شبّه توجّه العامل او النّاظر الى صورة هذا العمل وافتتانه به بافتتان الظّمآن و اسراعه الى السّراب.

و شبّه فناء العمل من غير اثرٍ منه حين الحاجة اليه بفناء السّراب حين الاتيان اليه بعد شدّة الحاجة باشتداد الظّماء بسبب سرعة الحركة و تهيّؤ شرب الماء، شبّه وجدانه الله فى القيامة و محاسبة الله ايّاه و مطالبته باماناته الّتى او دعها عنده بوجدان ذلك الظّمآن المسرع الى السّراب مع خيبته من مرجّوه محاسباً قويّاً مطاعاً كان له على ذلك الظّمآن ديونٌ و يطالبه بتلك الدّيون فوفّيه حسابه.

﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ تهديد للكافر والنّاظر الى صورة عمله فانّ سرعة الحساب كناية عن عدم فوات الجليل و الحقير عنه.

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ﴾ يعنى انّ الّذين كفروا بالولاية امّا يكونون على صورة الاسلام و يكون عملهم صورة عمل المؤمن او لايكونون على صورة الاسلام و لايكون عملهم موافقاً لعمل

المؤمن، بل يكون بخلاف الشّريعة و خلاف عمل المؤمن فيكون بصورته مظلماً كما انّه لايكون له لبّ مثل عمل الكافر السّابق الّذى كان على صورة الاسلام ولميكن له ايمان.

فشبّه اعمالهم المظلمة بظلمات اللّيل ونفوسهم المظلمة ببحرٍ عميقٍ او بعيد السّاحل، واضطرابات نفوسهم بسبب كثرة الآمال والشّهوات وكثرة خوفهم بحسبان كلّ صيحةٍ عليهم بالامواج المتتابعة والمتراكمة، وشبّه الاهوية السّائرة للحقّ عن نظره بالسّحاب السّاترة للشّمس الواقعة فوق البحر فانّها تصير سبباً لشدّة الظّلمة وكثرة الامواج خصوصاً اذاكان معها قطرات من المطر فقال أعمالهم كظلماتٍ.

﴿فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَـٰهُ﴾ اى يغشى البحر او العامل ﴿مَوْجٌ﴾ من البحر ﴿مِّن فَوْقِهِۦ﴾ اى من فوق الموج او البحر او العامل ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ﴾ هذا الضّمير كالضّمير السّابق.

﴿سَحَابٌ﴾ قرئ‌بالاضافة ومنوّناً ﴿ظُلُمَـٰتٌۢ﴾ قرئ بالرّقع مبتدءً ومسوّغه وصفه المستفاد من التّنوين، او خبر مبتدءٍ محذوفٍ، وقرئ بالجرّ وهو على قراءة تنوين سحاب يكون بدلاً من ظلماتٍ.

﴿بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ وهى ظلمة البحر وظلمه اللّيل وظلمة الامواج وظلمة السّحاب ﴿إِذَآ أَخْرَجَ﴾ العامل او اذا اخرج

مخرج ﴿يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَا﴾ يعنى لايريها ولايقرب رؤيتها او يريها بعد جهدٍ ومشقّة بعد ان يكون يريها فانّه قديستعمل فى هذا المعنى.

﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا﴾ يعنى من لم‌يهده الله لنوره، و هذا يدلّ على انّ قوله: والّذين كفروا (الى اخره) معادلٌ لقوله يهدى الله لنوره من يشاء ولم يقل: من لم‌يهتد الى نوره؛ للاشعار بانّ الاهتداء الى النّور مسبّب من فعل‌الله بخلاف الكفر فانّه مسببٌ من استعداد العبد.

و المراد بالنّور الّذى يجعله الله للعباد الولاية الّتى هى كالبذر فى ارض القلب و كالانفحة للبن الوجود و كاللّبّ لجوز الاعمال ولوزها و فستقها، وبها يصير العباد اولى‌الالباب، والاعمال ذوات الالباب، و بدونها يكون وجود العباد واعمالهم كالجوز الخالى من اللّبّ وهذه الّتى لاتدع العباد ان يخرجوا عن طاعة مشايخهم.

و هى الّتى اذا قويت وصفّت النّفوس من ظهرت بصورة مشايخهم فى قلوبهم وقوله تعالى: نورهم يسعى بين ايديهم و بأيمانهم اشارة الى هذا الظّهور فانّه فى القيامة تصفوا النّفوس من حجب المادّة و تظهر ولايتهم بصورة امامهم.

و بظهور هذا النّور يكون جميع الخيرات ويدفع جميع الشّرور، و تلك الولاية كسفينة نوح يكون المتوسّل بها امنا من

امواج الفتن و ظلمات الزّمن والی هذه الولایة اشار من قال:

بهر این فرمود پیغمبر کـه مـن
همچو کشتی ام بـطوفان ز مـن

ما واصحابیم چون کشتیّ نـوح
هرکه دست اندر زند یابد فتوح

والی ذلك الظّهور اشار بقوله:

چــون خــدا مـر جسـم را تـبدیل کـرد
رفــتنش بــی فـرسخ و بـی مـیل کـرد

چــون‌که بـا شـیخی تـو دور از زشـتئی
روز و شب ســـیّاری و در کشـــتئی

هــین مــپر الاّ کــه بــا پـرهای شیخ
تــا بــبینی عــون لشکــرهای شــیخ

﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ لانّه من ذاته ان یکون لیس فی ذاته وصفاته، ومن الله ان یکون ایساً فی ذلك کلّه فکأنّه تـعالی قـال: لم‌یکن له نورٌ لانّه ماله من نورٍ من ذاته.

و للاشارة الی بعض وجوه التأویل ورد عن الصّادق عليه السلام شرح فی تأویل الآیة حتّی قال: اذا اخرج یده المؤمن فی ظـلمة فـتنتهم لم‌یکدیریها ومن لم‌یجعل الله له نوراً اماماً من ولدفاطمة عليها السلام فما له من نورٍ امام یوم القیمة.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾

جواب لسؤالٍ مقدّرٍ نشأ من قوله يسبّح له فيها فانّ تقييد التّسبيح بكونه فى تلك البيوت وكونه من رجال مخصوصين يوهم انّه لايسبّح له فى غيرها فصار المقام مقام ان يسأل ان تسبيح غير الرّجال المذكورين و التّسبيح فى غير تلك البيوت فقال تعالى: الم‌تر خطاباً لمحمّدٍ ﷺ او لمن يتأتىّ منه الرّوية فانّ الرّائى اذ انظر بادنى يتأمّلٍ رأى انّ جميع الذّرّات فى جميع الاحوال وجيع الافعال يكونون فى تسبيح الرّبّ والتّسبيح للرّبّ.

فانّ الكلّ يكونون فى الاستكمال الفطرىّ على الدّوام و هذا الاستكمال تنزيه للطّيفة الّتى هى اسم الرّبّ و مراته عن سمة النّقصان و حجب القوى واخراج لها من القوى الى الفعليّات، و هذا التّسبيح اتمّ من التّسبيح اللّسانىّ الاختيارىّ الّذى يكون اكثر الاوقات مشوباً بالاغراض النّفسانيّة و تدنيساً لتلك اللّطيفة وتركاً للتّسبيح اللّسانىّ فى الحقيقة و ضدّاً له.

و قدسبق مكرّراً انّ المراد بتسبيح الرّبّ سواء عدّى بنفسه الى الرّبّ او الى اسم الرّبّ او عدّى بالباء اوباللاّم الزّائدة للتّقوية او باللاّم التّعليليّة تنزيه تلك اللّطيفة عن شوب القوّة والاستعداد.

فانّ تلك اللّطيفة نازلة الرّبّ و اسمه و تنزيهها ليس الاّ للرّبّ وبتنزيهها يكون تنزيه الرّبّ فالله‌تعالى شأنه يسبّحه ويسبّح لاجله جميع من فى السّماوات.

﴿وَ﴾ جميع من فى ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ و المراد جميع الموجودات فيهما بطريق التّغليب ويكون ذكر الطّير بعدهما لكونهما ممّا ليست فى الارض ولافى السّماء فى الاغلب بل بينهما.

او المراد بهما ذوالعقول خاصّة و ذكر الطّير من بين سائر الحيوان لكونها اشرف من اكثر اصنافه و اكثر تفطّناً.

﴿وَٱلطَّيۡرُ صَـٰٓفَّـٰتٍ﴾اى حالكونها ذوات صفيف الاجنحة فى الجوّ.

و هذا التّقييد يشعر بانّ ذكرها لكونها فى الجوّ ﴿كُلٌّ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ و﴾الصّلوة الدّعاء والرّحمة والعبادة المخصوصة الموضوعة فى كلّ ملّةٍ ولكلّ امّةٍ والكلّ مناسب.

فانّ الله يعلم دعاء كلّ والرّحمة اللاّئقة و عبادته الخاصّة به، وكلّ من فى الارض والسّماء والطّير قدعلم كيفيّة دعائه لله وطريق الرّحمة الخاصّة به و العبادة المخصوصة به، فانّ طريق رحمة كلّ و كيفيّة دعائهلله هو سيره على طريقه الخاصّة به و عدم الانحراف منها و هو عبادته الخاصّة به فعلى هذا جاز انيكون ضمير علم راجعاً الى الله والى كلّ.

﴿وَتَسۡبِيحَهُۥ و﴾كيفيّة تنزيهه لله بخروجه من قواه الى فعليّاته غاية الامر انّ غير ذوىالعقول يعلم بالشّعور البسيط دون الشّعور التّركيبىّ كما فى قوله تعالى: وان من شيء الاّ يسبّح بحمده

ولكن لايفقهون تسبيحهم يعنى بالشّعور التّركيبىّ.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾فيجازيهم بحسب افعالهم ولايفوته شيءٌ من افعالهم حتّى لايجزيه.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعنى انّه تعالى خالقه ومالكه فكيف لايعلم افعال خلقه فيه.

﴿وَإِلَى ٱللَّـهِ ٱلْـمَصِيرُ﴾يعنى غاية ملك السّماوات والارض هو الله او رجوع افعال كلّ من فى السّماوات و الارض اليه بمعنى انّ الفاعل فى الكلّ هو الله و انّ الوسائط بمنزلة الآلات كالقلم و اليد و القوّة المحرّكة و القوّة الشّوقيّة والارادة للنّفس فاذا نظر النّاظر الى افعال العباد وانّها صادرة منهم لكن نظر الى انّهم مسخّرون لنفوسهم و نفوسهم مسخّرة لارادتها، وارادتها نازلة اليهم من غيرهم علم انّ الافعال كلّها راجعةٌ بحسب الصّدور الى مسخّر اردات العباد وليس الاّالله.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾ الجملة مستأنفة فى مقام التّعليل لقوله لله ملك السّماوات او لقوله الى الله المصير، او للمجموع والخطاب لمحمّدٍﷺ لانّه هو الرّائى لمثل ذلك لاالمحجوب عن مشاهدة فعل الحقّ فى افعال العباد والطّبائع، او لكلّ من يتأتّى منه تلك الرّؤية.

او لكلّ راءٍ فانّ كلّ ارءٍ ينبعى له ذلك، والاستفهام على

الاوّل والثّانی للتّقریر، و علی الثّالث للتّوبیخ، و الاجاء السّوق.

﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ ای بین قطعه المتفرّقة ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ﴾بعد جمع قطعه ﴿رُكَامًا﴾متراكماً ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ ای المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ای من السّحاب.

فانّ كلّ ماعلا مطبقاً فهو سماء ﴿مِن جِبَالٍ فِيهَا﴾ بدل من قوله من السّماء و المعنی ینزّل من السّحاب من القطع المعظمة المرتفعة فی السّحاب.

﴿مِنۢ بَرَدٍ﴾ بعضاً من برد والوجوه الاخر فی اعراب الآیة ومعناها ضعیفة جدّاً ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ﴾ ای بضرر البرد ﴿مَن يَشَآءُ﴾من عباده فیهلك حرثه وماله و یخرب دوره.

﴿وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ﴾ ای سنا برق السّحاب او البرد ﴿يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ لشدّة لمعانه ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ جواب لسؤالٍ مقدّرٍ.

كأنّه قیل: ماحال اللّیالی و الایّام تكون ذوات غیم وبلاغیم؟

وذوات مطرٍ وبرد وبلا مطر وبرد؟!

فقال تعالی: یقلّب الله اللّیل والنّهار بان یجعل بعضهما حارّاً رطباً فیحصل فیه بخار فیتولّد منه سحاب ومطر وبرد ویجعل اللّیل طویلاً و قصیراً و كذا النّهار.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ التّقليب ﴿لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ الّذين يبصرون الاشياء من حيث حكمها و مصالحها ونضدها و ترتيبها و غاياتها المترتّبة عليها، فانّ هؤلآء يعتبرون باختلاف اللّيل والنّهار بالزّيادة والنّقيصة و البرودة و الحرارة و النّور و الظّلمة، و يستدلّون بذلك الاختلاف والانتضاد فى الاختلاف والحكم المودعة فيه والغايات المترتّبة عليه من تربية جملة المواليد على انّ خالقهما عليمٌ حكيمٌ قادرٌ قويٌّ وان ليس هذا الانتضاد فى الاختلاف الاّ من مبدءٍ حكيمٍ وليس من الدّهر كما يقوله الدّهريّون، ولا من الطّبع كما يقوله الطّبيعيّون، و لابمحض الاتّفاق كما يقوله القائلون بالبخت والاتّفاق.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾ جملة حاليّة او معطوفة على قوله: الم تر انّ الله يسبّح (الآية) بلحاظ المعنى فانّه فى معنى: الله يسبّح له من فى السّماوات، و الاستفهام و النّفى لايفيد الاّ تأكيد هذا المعنى، او على قوله: لله ملك السّماوات والارض، او على قوله: والى الله المصير، او على: الم تر انّ الله يزجى، بلحاظ المعنى او على يقلّب الله اللّيل.

و المراد بالماء الّذى خلق الله منه الدّوابّ هو النّطفة ولذلك تكرّ الماء اشارةٌ الى نوعٍ خاصٍ منه او جنس الماء فانّه جزء مادّته وبه بقاؤه و حياته.

﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ كالحيّات و الحيتان و الديدان ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ كالاناسيّ والطّيور وبعض حشرات الارض ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ كذوات الاربع من الانعام و السّباع و غيرها.

ولم‌يقل: ومنهم من يمشي على اكثر، لانّ اكثر مايمشي على اكثر كان اعتماده على اربعٍ، و ما كان اعتماده في المشي على اكثر يكون نادراً.

نسب الى ابي‌جعفرعليه السلام انّه قال: و منهم من يمشي على اكثر ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ و هذا بمنزلة منهم من يمشي على اكثر وجوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: هل كان في الحيوان مايمشي على اكثر؟

فقال: يخلق الله مايشاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على خلق مايمشي على اكثر من الاربع فهو في مقام التّعليل لقوله تعالى: يخلق الله مايشاء والاتيان بمن الّتي هي لذوي‌العقول في غير ذوي‌العقول لتغليل ذوي‌العقول والاقتران به.

﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ﴾ من مقام المشيّة ومقام الاقلام والالواح ﴿ءَايَـٰتٍ﴾ تدوينيّة في صورة الآيات القرانيّة الّتي تلوناها عليكم و اياتٍ تكوينيّة في صور طبيعيّة من مثل تسبيح من في السّماوات وازجاء السّحاب وانزال الامطار وتقليب الايّام و خلق الدّوابّ كلّها من الماء وجعلها مختلفاتٍ في المشي و غيره ﴿مُّبَيِّنَـٰتٍ﴾

واضحات او موضحات.

﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ بسبب تلك الآيات فلا غرو فى عدم اهتداء بعض مع وضوح الآيات الهاديات فانّ الهداية بيد الله لاغير، والصّراط المستقيم هو الولاية وطريق القلب ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ عطف على الله يهدى سواء جعل معطوفاً على قدانزلنا او حالاً او يقولون حال بتقدير المبتدأ.

﴿وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ يعنى انّ ايمانهم محض قول لمنافاة فعلهم له ولذلك قال ﴿وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ و هذا وجه اخر للدّلالة على عدم ايمانهم.

﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ وجه اخر للدّلالة على عدم ايمانهم وانّهم انّما توجّهوا اليه لجلب النّفع فى دنياهم.

﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ فينصرفوا عنه مع يقينهم به بسبب ذلك المرض ﴿أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ﴾ فى نبوّته ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ بَلْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ لا الله و رسوله صلى الله عليه وآله حتّى يتوهّموا انّه يحيف عليهم.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ جواب لسؤال مقدّر عن حال المؤمنين الّذين لم يكن ايمانهم محض القول ﴿إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا﴾ هذا الدّعاء، او سمعنا حكمه سواء كان لنا او علينا.

﴿وَأَطَعْنَا وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ﴾ قرئ يتّقه بكسر القاف والهاء بدون الاشباع على الاصل، وقرئ يتّقه بسكون القاف وكسر الهاء بلا اشباع تشبيهاً له بالكتف فى التّخفيف، وقرئ بكسر القاف وكسر الهاء مع الاشباع، و قرئ بكسر القاف وسكون الهاء تشبيهاً للضّمير بهاء السّكت.

﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ وَأَقْسَمُواْ﴾ اى القائلون امنّا بالله او الّذين تولّوا ﴿بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ مفعول مطلق نوعىّ لاقسموا اى اقسموا مبالغة ايمانهم كما هو عادة الكذّاب يكثر الايمان و يؤكّدّها و يغلّظها، او جهد ايمانهم مفعول مطلق لمحذوفٍ هو حال اى يجهدون جهد ايمانهم.

﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾ بالخروج فى الغزوات ﴿لَيَخْرُجُنَّ قُل﴾ لهم ﴿لَّا تُقْسِمُواْ﴾ اى لاحاجة الى القسم لانّ طاعتك ﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ يرتضيها العقل والعرف ونفعها عائد اليهم لا اليك حتّى يحتاجوا الى الاظهار والقسم عليها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ قُلْ﴾لهم ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بالفعل لابالقول فقط ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ ای تتولّوا لاتضرّوه شیئاً ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ﴾ ای علی الرّسول ﷺ ﴿مَا حُمِّلَ﴾ من تبلیغ رسالته وقدبلّغ لاهدایتکم الی الطّاعة حتّی یکون وبال تولّیکم علیه ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ من متابعته فضرر التّولّی عائد علیکم.

﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ الی الایمان الّذی هو بضاعتکم لآخرتکم و هو ولایة علیّ علیه السلام .

﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ﴾ ای التّبلیغ ﴿ٱلْمُبِينُ﴾ الظّاهر بحیث لایخفی علی احدٍ او لمظهر المقصود ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ﴾ جواب لسؤالٍ مقدّرٍ کأنّه قیل: مالمطیع الرّسول؟

او ما لمن اهتدی الی الایمان الحقیقیّ؟ ـ فقال: وعد الله ووعده لاخلف به ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾بالبیعة العامّة النّبویّة او بالبیعة الخاصّة الولویّة.

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ اللاّزمات للایمان حتّی یستقرّ ایمانهم ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ یجعلهم خلفاء الماضین او خلفاء نفسه ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ای ارض العالم الصّغیر او ارض العالم الکبیر بان یخرج الجبابرة المسلّطین علیها عنها او یجعلهم منقادین للاسلام طوعاً و کرهاً ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ فی

الصّغير او الكبير.

اعلم، انّ الفاظ القران لسعته لاتحمل على معنيٍ واحدٍ و لاعلى وجهٍ واحدٍ بل كان المنظور منها جميع معانيها بجميع وجوهها لسعة المتكلّم و المخاطب بها.

فالايمان اذا اريد به الاسلام الحاصل بالبيعة العامّة النّبويّة يجوز انيراد بالعمل الصّالح الاعمال اللاّزمة للاسلام، و ان يراد بالاستخلاف التّسلّط الصّوريّ والغلبة فى الدّنيا.

كما ورد انّه لمّاقدم رسول الله ﷺ واصحابه المدينة و اواهم الانصار رمتهم [1] العرب عن قوسٍ واحدة وكانوا لايبيتون الاّ مع السّلاح ولايصبحون الاّ فيه.

فقالوا: ترون انّا نعيش حتّى نبيت امنين مطمئنّين لانخاف الاّالله؟

فنزلت هذه الآية وصدق بعد الغلبة على المدينة و نواحيها و انقياد العرب لهم او بعد فتح مكّة كما قيل: انّه نزلت فى فتح مكّة.

و فى روايةٍ عن رسول الله ﷺ: زويت لى الارض فأريت مشارقها و مغاربها وسيبلغ ملك امّتى مازوى لى منها.

و فى خبرٍ عن المقداد عن رسول الله ﷺ انّه لايبقى على الارض بيت مدرٍ ولاوبرٍ الاّ ادخله الله تعالى كلمة الاسلام بعزّ عزيز

١. اى اتّفقوا على ايذائهم.

او ذلّ ذليل امّا ان يعزّهم الله فيجعلهم من اهلها و امّا ان يذلّهم فيدينون لها.

و على هذا فمعنى قوله ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ ليسلّطنّهم على مخالفيهم حتّى يمكنهم اظهار كلمة الاسلام ولوازمها، و يجوز ان‌يراد بالعمل الصّالح البيعة الولويّة الايمانيّة و بالاستخلاف فى العلم والتّصرّف بالنّسبة الى العالم الصّغير او الى العالم الكبير.

ويجوز ان‌يراد بالاستخلاف استخلاف لطيفتهم الولويّة الّتى تظهر بصورة ولىّ الامر فى ملكهم الصّغير، واذا قويت وتمكّنت صارت خليفةً‌لله فى العلم والعمل فى الصّغير والكبير؛ ويجوز ان‌يراد بالاستخلاف الاستخلاف فى النّبوّة او الرّسالة بعد استخلاف اللّطيفة الولويّة.

و اذا اريد بالايمان، الايمان الحاصل بالبيعة الولويّة يجوز ان‌يراد بالاستخلاف الاستخلاف فى الملك او الاستخلاف فى العلم والعمل، او الاستخلاف بظهوره صورة ولىّ الامر، او الاستخلاف فى النّبوّة والرّسالة.

و اذا اريد بالايمان الايمان الشّهودىّ الّذى لايكون الاّ بشهود ملكوت ولىّ الامر جاز ان‌يراد بالعمل الصّالح البقاء على الحضور عنده، و بالاستخلاف الاستخلاف فى النّبوّة او الرّسالة،

والی هذه المعانی و تلك الوجوه اشیر فی الاخبار فانّه فسّر الّذین امنوا تارةً بالمسلمین وتارةً بـالمؤمنین القـابلین للـولایة بـالبیعة الخاصّة الولویّة.

وتارةً بالکاملین فـی الایـمان مـن الائـمّة الاطـهارعليهم السلام، و الاستخلاف تارةً بالاستخلاف فی الملك وتارةً بـالاستخلاف فـی العلم والدّین والعبادة، وتارةً بالاستخلاف فی ظهور القائمعليه السلام من اراد الاخبار فلیرجع الی المفصّلات.

﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن م بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ من الاعداء الظّاهرة فی الکبیر ومن الاعداء البـاطنة فـی الصّـغیر ﴿أَمْـنًا يَـعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي﴾ بشيء من انواع الشّرك الصّوریّ او البـاطنیّ ﴿شَيْـًٔا﴾ من الاصنام و الاهویة و الشّرکاء فی الولایة.

﴿ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْـفَـٰسِقُونَ﴾ الخارجون عن حکم الله ودینه فانّ من لمیبلغ الی هذا المقام وبقی استعداد للدّخول فیه کان کأنّه غیر خارج من طریق الانسانیّة وان لمیکن داخلاً فیها بالدّخول التّکلیفیّ او السّلوکیّ بعد بخلاف من وصل الی هذا المقام و خرج بعد منه فانّه خرج من القوّة الی الفعل وبالخروج من هذا المقام یبطل الفعلیّة ولایکون فیه قوّة واستعداد فیکون هو الفاسق حقیقةً، واذا ارید بالّذین امنوا المؤمنون التّابعون للائمّةعليهم السلام من الشّیعة کان انجاز الوعد فی ال الحیوة الدّنیا او فی

حال الاحتضار.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ لمّاكان قوله تعالى: وعد الله الّذين امنوا تعريضاً بالحاضرين وامرهم بالايمان والعمل الصّالح فكان فى معنى امنوا واعلموا الصّالحات، وكان عملوا الصّالحات مجلملاً و اراد ان يفصّل الاعمال الصّالحة عطف عليه.

و قوله: وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ او قدّر امنوا ولم‌يصرّح به لاستفادته بعينه من قوله وعد الله الّذين امنوا بخلاف اقيموا الصّلوة فانّه لم‌يستفد من قوله عملوا الصّالحات فكأنّه قال فآمنوا واقيموا الصّلوة.

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾قدمضى فى اوّل البقرة بيان و تفصيل لاقامة الصّلوة و ايتاء الزّكوة ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ فى سائر ماأمركم به او أطيعوه فى اقامة الصّلوة و ايتاء الزّكوة بمعنى اجعلوا الدّاعى على صلوتكم و زكوتكم محض امره ﷺ دون غيره من المراياة و الصيّت و امضاء العادة و المماثلة لامثالكم او حفظ المال او تحصيله او حفظ العيال و العرض و الجاه و غير ذلك ممّا يجعله صاحبوا النّفوس غاياتٍ لافعالهم و عباداتهم.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ لَا تَحْسَبَنَّ﴾ قرئ بالخطاب و الغيبة، و يجوز ان يكون الخطاب لمحمّد ﷺ وان يكون عامّاً وعلى قراءة الغيبة فالفاعل مستتر اى لايحسبنّ حاسب او الفاعل.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ والمفعول الاوّل محذوف اى لايحسبنّهم الّذين كفروا ﴿مُعْجِزِينَ﴾الله عن ادراكهم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ وهذا كلام منقطعٌ عن سابقه لفظاً ومعنىً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ كلامٌ منقطعٌ لتعليم ادبٍ من الآداب ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ﴾ اى ملكتهم ﴿أَيْمَٰنُكُمْ﴾ فى خبرٍ: هى خاصّة فى الرّجال دون النّساء، قيل: فالنّساء يستأذنّ فى هذه الثّلاث ساعاتٍ؟

قال: لاولكن يدخلن ويخرجن، وفى روايةٍ اخرى: هم المملوكون من الرّجال والنّساء والصّبيان الّذين لميبلغوا ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ يعنى فى كلّ يومٍ وليلةٍ ﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ﴾يعنى فى الاوقات الّتى يكون الانسان فى الاغلب عارياً من الثّياب السّاترة للعورات ومن ثياب التّجمّل ودخول الموالى وغير البالغين المميّزين فى تلك الاوقات يوجب رؤية العورات والمساوى ويذهب بهيبة الشّخص من الانظار.

﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾ لميقل فى جوف اللّيل لانّه ليس وقت طوافٍ ودخولٍ او لانّ الامر بالاذن فى طرفى النّهار يكون لاستغراق اللّيل، او لانّ وجوب الاذن فى الطّرفين يوجب وجوبه فى وسطه بالطّريق الاولى.

﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾ العورة الخلل فى الثّغر وغيره وكلّ ممكنٍ للستّر والسّوءة والسّاعة الّتى هى قمن من ظهوره العورة فيها وهى المراد ههنا.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ﴾ فى ترك الاستيذان والدّخول من غير اذن ان شاؤا ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم﴾ استينافٌ جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ فى مقام التّعليل بتقدير مبتدءٍ محذوفٍ اى هؤلآء لاجل حاجتكم اليهم فى خدمتهم وفى تربيتهم كثير الطّواف عليكم، ويكون الاستيذان عسراً عليكم وعليهم.

﴿بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بدل من الضّمير واشعار بأنّهم كالاجزاء والابعاض منكم فلا حاجة لهم ولالكم الى الاستيذان فى غير وقت ظهور لعورات، او بعضكم فاعل فعلٍ محذوفٍ او مبتدء خبرٍ محذوفٍ.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ التّبيين من تبيين الاحكام الاشارة الى عللها وحكمها ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ الاخر والاحكام القالبيّة و القلبيّة مع حكمها و عللها ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ يعلم مصالح مايجعله شريعة لكم ﴿حَكِيمٌ﴾ ينظر الى دقائق الحكم ويشرع مايترتّب عليه دقائق الحكم.

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ﴾ لامن المماليك فانّ حكم اطفالهم وقت البلوغ حكم انفسهم فى الاستيذان فى الاوقات الثّلاثة ﴿ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا﴾ فى جميع الاوقات فانّه المستفاد من اطلاق الاستيذان ومن مقابلته مع غير البالغين الّذين كان حكمهم الاستيذان فى الاوقات الثّلاثة.

﴿كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ اى الّذين كانوا بالغين

و مستأذنين من قبلهم ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ التّكرار لمحض التّأكيد والمبالغة فى امر الاستيذان.

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ﴾ اللاّتى قعدن من طلب النّكاح ليأسهنّ من رغبة الرّجال اليهنّ وعدم ميل الرّجال اليهنّ لكبرهنّ ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ لعدم طمعهنّ فيه وعدم طمع الرّجال فيهنّ ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ﴾الجملة خبر الموصول و دخول الفاء فى الخبر امّا لكون اللاّم موصولاً.

او لوصف القواعد باللاّتى، او لتوهّم امّا او لتقديره، ولمّا امر بالاستيذان وقت ظهور العورة و طرح الثّياب استفيد منه لزوم لبس الثّياب وستر العورات خصوصاً للنّساء اللاّتى يكون جميع بدنهنّ عورة قال امّا العجائز ليس عليهنّ جناح.

﴿أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾يعنى بعض ثيابهنّ و هو الجلباب والخمار كما قرىء ان يضعن من ثيابهنّ فانّ اظهار غير الكفّين والقدمين و لوجه من البدن على غير المحارم كما كان حراماً لغير العجائز كان حراماً لهنّ ايضاً.

﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٍ﴾ اى بشيءٍ من الزّينة ومواضعها فانّ اظهار الزّينة و مواضعها سواء كان من العجائز او غيرهنّ ممّا يريب الرّجال، نعم ورد استثناء الشّعور منهنّ فانّه ان

لم‌يكن الرّجال ينزجرون من رؤيتها لم‌يكونوا يرغبون فيها.

﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾ بالسّتر وترك وضع الثّياب ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ من الوضع ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ فلايقلن للرّجال مايريبهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيّاتهنّ فلا يضعن ثيابهنّ لقصد ارتياب الرّجل.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ استيناف منقطع عن سابقه لفظاً و معنىً ولذلك لم‌يأت بأداة الوصل و بيان لادبٍ اخر من اداب المعاشرة.

و ذلك كما روى ونقل انّ المرضى كانوا يكرهون معاشرة الاصحّاء و مؤاكلتهم لتأنّف الاصحّاء عن معاشرتهم ولاحتمال انزجارهم من مؤاكلتهم ومعاشرتهم وكان الاصحّاء يكرهون مؤاكلتهم لعدم قدرتهم على الاكل مثلهم.

وكان الغازون اذا خرجروا الى الغزاء خلّفوا الزّمنى على بيوتهم وكره الزّمنى الاكل منها وكان اذا خرج سرّية كانوا يدفعون مفاتيح بيوتهم الى الغازين ليأخذوا ويأكلوا مايحتاجون اليه فيكرهون الاكل منها دون الاجتماع مع صاحبيها.

و كانوا اذا ارادوا ان يطعموا المرضى ولم‌يكن فى بيوتهم مايطعمه به ذهبوا بهم الى بيوت قراباتهم فكره المرضى الاكل منها وكان المرضى يتحرّجون بعدم الاستطاعة للجهاد وعدم القدرة على الطّاعة وعدم زيارة الرّسول صلّى الله عليه وآله والمؤمنين مثل الاصحّاء .

فرفع تعالى الحرج من ذلك كلّه بقوله ليس على الاعمى

حـرج ﴿وَلَا عَلَى ٱلْأَعْـرَجِ حَـرَجٌ وَلَا عَـلَى ٱلْـمَرِيضِ حَرَجٌ﴾و حذف المتعلّق ليذهب ذهن السّامع كلّ مـذهبٍ مـمكنٍ، وقدمضى فى اوّل الكتاب انّ الوجوه المحتملة كلّها مقصودة مـن الفاظ القران.

فكأنّه قال: ليس على هؤلآء حرج فى المؤاكلة مع الاصحّاء والمعاشرة معهم ولافى الاكل من بيوت من خلّفوهم عليها ولافى الاكل والاخذ من البيوت الّتى اعطاهم صاحبوها مفاتيحها، ولافى الاكل من بيوت اقرباء الدّاعين ولافى التّخلّف عن الجهاد ولافـى عدم الطّاعة والزّيادة مثل الاصحّاء.

وكرّر لفظ حرج للاشارة الى عدم الفرق بين الثّلاثة فى ظنّ التّحرّج وعدمه ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ حرج ﴿أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ﴾ متعلّق بالمجموع او مختصّ بالاخير والمعنى ليس على انفسكم حرج فى ان تأكلوا منفردين او مع المعلولين مـن بـيوت انفسكم ولمّاكان الولد وبيته للوالد جعل بيته داخلاً فـى بـيوتكم ولم‌يذكره منفرداًكما ورد فى حقّ ولدٍ: انت ومالك لابيك.

و ورد: انّ الطيب ما يأكل المرء من كسـبه، وانّ ولده مـن كسبه ﴿أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَـٰتِكُمْ أَوْ بُـيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُـيُوتِ أَعْـمَـٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَـٰلَـٰتِكُمْ

أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُوٓ﴾ بكونكم وكلاء للمالك فى ضيعته او مخزنه او داره، او اعطى المالك المفتاح عارية.

او المراد بيت المملوك فانّ الفاتح جمع المفتح بمعنى المخزن والسّيّد مالك للمولى ومملوكه ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ فانّ الصّداقة تقتضى السّرور بأكل الصّديق من بيته ولااقلّ من الاذن ولكن كلّ ذلك مالم‌يعلم عدم الاذن من صاحبيها.

و مالم‌يؤدّ الى السّرف والافساد ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا﴾ مجتمعين مع صاحبى البيوت او مع المعلولين او مع انسانٍ اخرٍ او مع ضيفٍ.

﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾ متفرّقين منفردين فانّهم كما قيل كرهوا الأكل من البيوت المذكورة بدون صاحبيها وبعض البطون كان الرّجل منهم لا يأكل وحده وتحرّج بالأكل وحده وكانوا الا يأكلون فى بيوت الفقراء فانّ الغنىّ كان يدخل بيت الفقير من ذوى‌قرابته او صداقته فيدعوه الى طعامنه فيتحرّج عن الأكل وكانوا اذا نزل بهم ضيف يتحرّجون الأكل الاّ معه.

﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾ ادب اخر واتى بالفاء لانّه متعقّب للاذن فى دخول البيوت ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ يعنى ليسلّم بعضكم على بعضٍ فانّ المعاشرين كلاًّ منهم بمنزلة نفس الآخر.

او سلّموا على اهل البيوت حتّى يردّوا السّلام عليكم فيكون سلامكم على اهل

البيوت سلاماً على انفسكم، او سلّموا على انفسكم اذا لم‌تجدوا فيها احداً بان تقولوا: السّلام علينا و على عبادالله الصّالحين.

او بان تقولوا؛ السّلام علينا من عند ربّنا ﴿تَحِيَّةً﴾ مفعول مطلق من غير لفظ الفعل ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ مشروعة من عند الله او نازلة من عند الله.

فانّ لسان المسلّم حين يسلّم بامر الله يكون مسخّراً لامر الله، و الجارى على اللّسان المسخّر لله من جارٍ من الله.

﴿مُبَـٰرَكَةً﴾ لانّها دعوة مؤمنٍ لمؤمن بأمر الله ودعوة المؤمن للمؤمن بركة عليهما، واذا كانت بأمر الله وكان الدّاعى ناظراً الى امره ضوعفت بركتها ﴿طَيِّبَةً﴾ لمافيها من صيرورة نفسى المسلّم والمسلّم عليه طيّبتين.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَـٰتِ﴾ واحكام المعاشرة او الآيات التّدوينيّة فى بيان احكام المعاشرة ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ حكمها ومصالحها او لعلّكم تصيرون عقلاء او لعلّكم تعقلون الآداب اللاّزمة فى المعاشرة وتفهمونها فتعملوا بها.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ منقطع عن سابقه لفظاً ومعنىً او هو جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ. كأنّه قيل: اذا لم‌يمتثل المؤمنون تلك الاوامر هل كانوا مؤمنين؟ ـ فقال: انّما المؤمنون؛﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِۦ﴾ فلايتخلّفون عمّا امروا به ﴿وَ إِذَا كَانُوا مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾للمؤمنين كالجمعة والعيد والقتال

والمشاورة ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَـٔذِنُوهُ﴾ للذّهاب.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِذَا ٱسْتَـٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ يعنى انّ الامر مفوّض اليك ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ﴾ اى للمستأذنين فانّ الالتفات الى غيرك وغير الله اذاكانوا عندك معصية عظيمة لهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يغفر مايلحقهم من التّوجّه والنّظر الى غيرك حين لاينبغى ان ينظروا الاّ اليك ﴿رَّحِيمٌ﴾ يرحمهم بواسطة التّوجّه اليك والاستيذان منك.

نقل انّ الآية نزلت فى حنظلة بن ابى عيّاش وذلك انّه تزوّج فى اللّيلة الّتى كانت فى صبيحتها حرب احد فاستأذن رسول‌الله ﷺ ان يقيم عند اهله فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية فأقام عند اهله، ثمّ اصبح وهو جنب فحضر القتال واستشهد .

فقال رسول‌الله ﷺ: رأيت الملائكة تغسل حنظلة بماء المزن فى صفائح من فضّة بين السّماء والارض فكان سمّى غسيل الملائكة.

﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ﴾ اى دعاءكم ونداءكم للرّسول ﷺ ﴿بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ بان تذكروا اسمه او كنيته او تنادوه بصوتٍ رفيعٍ بل اخفضوا من اصواتكم عنده ولاتذكروه باسمه وكنيته بل اذكروه بالفاظ التّعظيم مثل يا رسول‌الله ﷺ، ويا نبىّ‌الله ﷺ، وامثال ذلك، ولاتقولوا: يا محمّد ﷺ، ويا اباالقاسم ﷺ كما

فی الخبر.

نسب الی الصّادقؑ انّه قال: قالت فاطمةؑ: لمّانزلت هذه الآية هبت رسـول‌اللهﷺ ان اقـول له: يـا ابـه، فكـنت اقـول: يـا رسول‌الله ﷺ فأعرض عنّی مرّةً‌او ثنتين او ثلاثاً ثمّ‌اقبل علیّ فقال: يا فاطمةؑ انّها لم‌تنزل فيك ولافی اهلك ولافی نسلك، انت منّی وانا منك، انّما نزلت فی اهل الجفاء، والغلظة من قريش من اصحاب البزخ والكبر، قولی: يا ابه؛ فانّها احيی للقلب وارضی للرّبّ.

و المعنی لاتجعلوا دعا الرّسولﷺ لكم او عليكم بالخير او الشّرّ كـدعاء بـعضكم بعضاً للغير او علی الغير فی جواز عدم الاجابة او كدعاء بعضكم الله لبعض او علی بعض، او المعنی لاتجعلوا دعاء الرّسولﷺ لكم الی امر كجهاد و غيره كدعاء بعضكم بعضاً ﴿**قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ**﴾ لفظة قد للتّحقيق.

﴿**ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ**﴾انسلّ وتسلّل انطلق فی اسـتخفافٍ يـعنی يعلم الله الّذين ينطلقون من الجهاد فی استخفافٍ وهو انٍ بحيث لا يطّلع عليه احدٌاو ينطلقون من المسجد.

كذلك فانّه نقل انّ المنافقين كانوا يثقل عليهم خطبة النّبیّﷺ يوم الجمعة فيلوذون ببعض اصحابه فيخرجون من المسجد استتاراً من غير استيذانٍ.

و قيل: كانوا يتسلّلون من الجهاد ﴿**لِوَاذًا**﴾ مفعول له او مـفعول مـطلق بـحذف مضافٍ ای تسلّل لواذٍ او حال واللّوذ بالشّیء الاستتار والاحتصان به كـاللّواذ مـثلّثةً واللـيّاذ والملاوذة.

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ اى عن امر الله او عن امر الرّسول ﷺ ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ بليّة اوامتحان يظهر مافى قلوبهم من النّفاق فى الدّنيا ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فى الآخرة او كلاهما فى الدّنيا اوفى الآخرة او فى كلتيهما.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بعد ماحذّرهم بالعذاب على مخالفة امره حقّق ذلك بأنّه قادر عليه ولامانع له منه لكون الكلّ مملوكين له من غير مانعٍ.

﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ من الافعال والاحوال والاخلاق و النّيّات و الخطرات والمكمونات الّتى لااستشعار لكم بها، وهذا تعميم لعلمه تعالى بعد تخصيصه بالّذين يتسلّلون وتأكيد لتحذيرهم بانّه عالم بجميع ماكنتم عليه ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ عطف على محذوفٍ اى يعلم الآن ويوم يرجعون او عطف على ماانتم عليه او ظرفٌ لفعل محذوفٍ بقرينة قوله.

﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟﴾ او ظرف لينبّئهم، وتخلّل الفاء امّا بتوهّم امّا، او بتقديرها، او لفظة الفاء زائدة فلا تمنع من عمل مابعدها فى ماقبلها، وعلى ايّ تقديرٍ يكون الكلام التفاتاً من الخطاب الى الغيبة ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ تعميم اخر لعلمه تعالى.

سُورَةُ ٱلْفُرْقَانِ

وهى سبع وسبعون ايةً، مكيّة كلّها، وقيل: مكيّة الاّ ثلاث اياتٍ منها نزلت بالمدينة من قوله: والّذين لايدعون مع الله الهاً اخر (الى قوله) غفوراً رحيماً.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

المراد من الفرقان

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ هو اسم للقران باعتبار نزوله الى مقام الفرق وعالم الفصل، و باعتبار صدوره عن مقام قلب النّبىّ صلى الله عليه وآله الّذى يعبّر عنه بالبيت المعمور.

فانّ المصدر الّذى هو قلب النّبىّ صلى الله عليه وآله يكون حينئذٍ من عالم الفرق، و باعتبار فرقه بين الحقّ و الباطل و المحقّ والمبطل، وباعتبار تفرّقه فى النّزول طول ثلاثٍ و عشرين سنة، وباعتبار محكماته الّتى هى مبيّنات المعنى.

و قدمضى فى سورة البقرة عند قوله: هدىً للنّاس وبيّناتٍ من الهدى و الفرقان، و فى اوّل ال عمران بيان اجمالىّ للفرقان و القران.

و قدسبق انّ اختيار التّنزيل على الانزال فى القران باعتبار انّه منزّل من مقام الاطلاق الى مقام التّقييد ومحتاج الى تعمّلٍ شديدٍ من قبل من ينزّل عليه بخلاف سائر الكتب السّماويّة فانّها منزلة من مقام التّقييد ولاحاجة فيها الى زيادة تعمّلٍ من قبل من ينزل عليه.

و تعليق تبارك على الموصول للاشعار باعتبار حيثيّة الصّلة فى الحكم كأنّه قال: كثر خيرات الّذى نزّل الفرقان من حيث انّه نزّل الفرقان و هو يدلّ على كثرة خيرات الفرقان و هو كذلك لانّ المتوسّل به يكثر خيراته الدّنيويّة و خيراته الاخرويّة كما فى الآيات و الاخبار و كما يشهد به التّجربة و الوجدان.

﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ يعنى محمّداً ﷺ ﴿لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ جمع العالم و هو ماسوى الله او مافى جوف الفلك او مااشتمل على كثرات متّحدات بالوحدة الطّبيعيّة كأفراد النّبات والحيوان والانسان او مااشتمل على افراد كلّ واحدٍ من تلك الافراد مشتمل على كثراتٍ متّحداتٍ بالوحدة الطّبيعيّة كانواع النّبات والحيوان ونوع الانسان.

او هو اسم جمع لانّ شرط الجمع بالواو والنّون ان يكون مفرده علماً لمذكّرٍ عاقلٍ و وصفاً له، ولانّ العالمين مختصّ بذوى‌العقول والعالم اعمّ من ذوى‌العقول كما قيل، وعلى ايّ تقديرٍ كان المقصود من العالمين المكلّفين من الانس والجنّ لانّ انذاره ﷺ خاصّ بهم.

﴿نَذِيرًا﴾ وللاشعار بانّ الانذار مختصٌّ بشأن الرّسالة المشعر به تنزيل الكتاب فانّ الكتاب لايكون الاّ للرّسول ﷺ اقتصر عليه ولم‌يذكر التّبشير الّذى هو من شؤن الولاية.

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قدتكرّر فيما سلف انّ اللاّم فى مثله يدخل على المبدء والغاية والمالك، ولمّاكان المقصود ذمّ من اتّخذ من دون الله الهاً ومن انكرالرّسول ﷺ وكتابه وصف نفسه اوّلاً بكثرة الخيرات ثمّ بانزال الكتاب على محمّد ﷺ ليكون كالبرهان على ذمّ من أنكرهما ثمّ وصف نفسه بخالقيّة ملك السّماوات والارض ليكون ردّاً على من زعم انّ للشّيطان ملكاً وهو منعزل عن الله مقابلٌ و معاندٌله.

﴿ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ و هذا ردّعلى من زعم انّ عيسى۷او عزيراً ابن الله،

وعلى من قال: نحن ابناءالله.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ وهو ردّعلى من زعم انّ الاصنام او الكواكب او اهريمن شريك له فى الملك.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ ردّعلى من قال بقدم الكواكب او الظّلة او اهريمن ﴿فَقَدَّرَهُۥ﴾ اى قدّر ذاته واحواله وارزاقه امد بقائه ووقته ومكانه واجله ﴿تَقْدِيرًا وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾اى من دون هذا الّذى ذكر بالاوصاف المذكورة ﴿ءَالِهَةً﴾ لايوصفون بشيءٍ من الاوصاف المذكورة بل يوصفون بأضدادها فانّهم.

﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ فضلاً عن ان يكونوا مالكين للسّماوات والارض.

﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ يعنى لايملكون المنسوبات الاختاريّة و لاالمنسوبات الغير الاختياريّة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾بالله انكاراً لرسالة رسوله ﷺ وكتابه ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ يعنى لمّاعجزوا عن معارضته و رأوا حسن نظمه أنكروه و قالوا: كان هذا بمعاونين له.

﴿فَقَدْ جَآءُو﴾اى منكروا الرّسالة او منكروا الله والرّسالة جميعاً ﴿ظُلْمًا﴾ حيث انكروا ماحقّه الاقرار وعبدوا ماحقّه الجحود والانكار ﴿وَزُورًا﴾اى رأياً وقولاً منحرفاً عن الصّواب.

﴿وَقَالُوٓا۟﴾ هذا القران او هذه الاخبار الّتى يخبر محمّد ﷺ بها ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾اى مكتوبات الاقدمين وصلت اليه او الاحاديث المتفرّقة الّتى لانظام لهاكانت

من الاوّلين و وصلت اليه و قدمضى انّ الاساطير جمع الأسطار جمع السّطر.

او جمع الاسطار او الاسطير بكسر الهمزة فيهما، او جمع الاسطور بضمّ الهمزة وتستعمل الثّلاثة بالتّاء والمجموع بمعنى الاحاديث الّتى لانظام لها.

﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾ مستأنف او خبر لأساطير الاوّلين، واكتتب بمعنى كتب او استكتب او استملأ.

وقرئ اكتتبها مبنيّاً للمفعول على ان يكون اصله اكتتب له الاساطير ثمّ حذف اللاّم واتّصل الضّمير واستتر.

﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ يعنى تكرّر تلك الاساطير عليه حتّى يحفظه لانّه كان امّيّاً او تملى عليه لتكتب له.

﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من سماوات الاجسام والارواح وكذا ارضهما، ومن يعلم السّرّ الّذى لايطّلع عليه احد من السّماوات والارض فى العالم الكبير يعلم السّرّ و الجهر من سماوات الارواح و ارض الاشباح منكم فاحذروا من ان تقولوا او تفعلوا فى الملأ او الخلأ او تخيّلوا او تنووا مايليق بالله او بمحمّدٍ صلّى الله عليه وآله او بكم.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا﴾ جواب سؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: فلم لايؤاخذ العاصى والعاتى؟

فقال: انّه كان غفوراً يستر على المساوى ولا يؤاخذ مابقى فى العاصى استعداد التّوبة ﴿رَّحِيمًا﴾ يرحمهم فضلاً عن ان لايؤاخذهم ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ زعموا انّ الرّسالة تنافى البشريّة و لوازمها و لذلك قالوا: مالهذا

الرّسول ليكون حجّة على انكارهم.

﴿وَ يَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾لرفع الحاجات ظنّاً منهم انّ الرّسول ﷺ لاينبغي ان يكون محتاجاً وهذا خطأ منهم فانّ الرّسول لولم يكن بشراً او كان بشراً و لم يكن متّصفاً بلوازم بشريّته لماصحّ رسالته.

فانّ الرّسول ﷺ هو الّذى يحفظ حقوق الكثرات ولولم يكن بشراً ولكن لم يكن متّصفاً لماصحّ منه حفظ حقوقها.

﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ وهذا ايضاً خطأ منهم فانّ الملك لو كان يصحّ ان يراه البشر من غير سنخيّتهم معه لكان هو رسولاً بل الملك ان ظهر على البشر هلك او جنّ او غشى عليه فلا يصحّ نزول الملك اليه بحيث يشاهدوه.

﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾ وهذا ايضاً خطأ فانّ مشيّة الله لم تقتض اجراء الاشياء الاّ بالاسباب ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ لمّاحصروا الخيرات فى الخيرات الحسّيّة قالوا امثال ذلك.

﴿وَ قَالَ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ وضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بظلمهم و بانّ هذه الاقوال منهم ليست الاّ ظلماً ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَّسْحُورًا﴾ سحر كمنع خدع وتباعد وكسمع تكبّر، و المسحور المفسد من المكان لكثرة المطر او قلّة الكلأ.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَـٰلَ﴾ يعنى فى حقّك او مخاطباً لك فانّهم شبّهوا رسالته من الله بالرّسالة من ملك الرّوم تارةً ومن ملك الفرس اخرى، وانّ رسول الرّوم او الفرس له خدم وحشم وخيام واموال وربّنا تعالى شأنه خالقهما فليكن رسوله اشرف من رسولهما.

﴿فَضَلُّوا﴾ حيث انحرفوا عن طريق الآخرة و توجّهوا الى الدّنيا وشبّهوا رسول الله صلى الله عليه وآله فى الامور الاخرويّة برسول بالملوك فى امور الدّنيا.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ الى الآخرة او الى الحقّ الواقع او المعنى فضّلوا عن طريق المحاجّة فلا يستطيعون ﴿سَبِيلاً﴾ بالغلبة فى المحاجّة، و قصّة عبدالله بن ابى اميّة المخزوميّ ومحاجّته مع الرّسول صلى الله عليه وآله وتمثيله له ملك الرّوم والفرس مذكورٌ فى المفصّلات.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ لكنّه لم يشأ ذلك لمنافاته للرّسالة من الله وترغيب النّاس عن الدّنيا.

﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ قدمضى فى اخر ال‌عمران فى ذيل قوله تعالى فالّذين هاجروا واخرجوا من ديارهم بيان كيفيّة جريان الانهار من تحت الجنّات.

﴿وَ يَجْعَل لَّكَ قُصُورَا﴾ والجملة على قراءة رفع يجعل معطوفة على قوله تبارك الّذى يعنى يجعل لك فى الآخرة قصوراً، وعلى قراءة الجزم معطوفة على الجزاء، و يصحّ عطفه‌على الجزاء على قراءة الرّفع ايضاً.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ اضراب من الادنى الى الاعلى يعنى كذّبوك فى رسالتك بل كذّبوا بالقيامة والآخرة الّتى هى متّفق عليها من الكلّ.

﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا إِذَا رَأَتْهُم

مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا﴾ التّغيّظ شدّة الحرّ او هو من الغيظ بمعنى الغضب او اشدّه او سورته و تغيّظ السّعير لكون عالم الآخرة بشراشره حيّاً عالماً شاعراً محبّاًلله مبغضاًلله ﴿وَزَفِيرٗا﴾ زفير النّار صوت توقدّها.

﴿وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا﴾ الثّبور الهلاك او الويل ﴿لَّا تَدۡعُواْ﴾ جواب سؤالٍ مقدّرٍ بتقدير القول كأنّه قيل: مايقال لهم؟

فقال: يقال لهم: لاتدعوا ﴿ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا قُلۡ﴾ لهم ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۚ كَانَتۡ لَهُمۡ جَزَآءٗ﴾ جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ ورفع لتوهّم الامتنان بهذا الاحسان ﴿وَمَصِيرٗا لَّهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ﴾ و لمّاكان تمام الاحسان الى الاضياف حضور مايشاؤه كلّ احدٍ وعدم زوال النّعمة أتى بهما.

﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ﴾

عطف على هنا لك سواء كان للزّمان او المكان، او عطف على قل بتقدير اذكر، او ظرف ليقول والفاء زائدة او بتقدير امّا اوتوهّمها ﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من افراد البشر و سائر المواليد و من الكواكب و الاصنام او ما يعبدون عبادة طاعة من دون وليّ امرهم من افراد للمعبودين.

﴿فَيَقُولُ﴾ خطاباً للمعبودين ﴿ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ﴾ بأنفسهم ﴿ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ قَالُواْ﴾ التّعبير بالماضى لتحقّق وقوعه او لوقوعه بالنّسبة الى محمّدٍ ﷺ فانّه كان يشاهد كلّ مالم يشاهد غيره من امر الآخرة.

﴿سُبْحَـٰنَكَ﴾ عن كون امثالنا انداداً لك وشركاء فى المـعبوديّة ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ﴾ يعنى للعابدين ولنا او المراد المعبودون فـقط ﴿أَن نَّتَّخِذَ﴾ قـرئ بالنّون مبنيّاً للفاعل ومبنيّاً للمفعول ﴿مِن دُونِكَ﴾ من دون اذنك او هو حال من اوليـاء ولفظ من للتّبعيض ﴿مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ﴾ من المشتهيات الدّنيويّة فاشتغلوا بها عن الآخرة.

﴿وَءَابَآءَهُمْ﴾ يعنى لم يكونوا فى ضيقٍ فى وقت كونهم مستقلّين بأمرهم ولا فى وقت كونهم عيالاً لغيرهم فلم يكن لهم اضطرار حتّى يتذكّروا الآخرة وتكون فى ذكرهم.

﴿حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ الذّكر يطلق على الكتب السّماويّة والشّرائع الآلهيّة وعلى الرّسالة والولاية، وعلى الانبياء واوصيائهم عليهم السلام، وعلى الولاية التّكوينيّة الّـتى هـى فطرة الله الّتى فطر النّاس عليها، وعلى الجهة الّتى بها يتذكّر الله من الاشياء.

﴿وَكَانُوا۟﴾ فى الذّرّ او باصل فطرتهم او صاروا ﴿قَوْمًۢا بُورًا﴾ هالكين مصدر وصف به ولذلك يطلق على الواحد والاثنين والجماعة و المذكّر و المؤنّث بلفظٍ واحد، او مشترك بين جمع بائر ووصف بار بمعنى هلك ومصدره يعنى انّهم كانوا هالكين من الحيوة الانسانيّة وغافلين عن اللّطيفة الالهيّة الّتى بها يكون تذكّر الانسان لله ولامـور الآخـرة فـلم يتذكّروا من التّوجّه الينا امراً الهيّاً اخرويّاً بل كان توجّههم فى العبادة لنا الى الجهة النّفسانيّة منّا الموافقة لجهاتهم النّفسانيّة واهويتهم الكاسدة وشياطينهم المغوية فكانوا فـى عـبادتنا يعبدون الجنّ واهويتهم.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾ عطف على قالوا بتقدير القول اى فـيقال للـعابدين: فـقد كذّبكم المعبودون وصرف للخطاب من المعبودين الى العابدين.

﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ الباء بمعنى فى او للسّببيّة او للتّعدية نظير كذّب بالآيات بمعنى كذّب الآيات، و يكون حينئذٍ بدلا من المفعول و المعنى كذّبكم المعبودون فى قولكم انّهم الهة او فى قولكم انّكم عبدتموهم، او فى قولكم ربّنا هؤلآء اضلّونا و قرئ بالغيبة و المعنى كذّبكم المعبودون بقولهم: سبحانك (الى اخر).

﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ ايّها المشركون ﴿صَرْفًا﴾ للعذاب عن انفسكم ﴿وَ لَا نَصْرًا﴾ لانفسكم وقرئ بالغيبة فيكون المعنى لايستطيع المعبودون صرفاً و لانصراً لكم ثمّ صرف الخطاب الى المكلّفين الحاضرين .

فقال: ﴿وَ مَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾ بالاشراك بالله او بايّ ظلمٍ لكن بشرط ان لايتوب ﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ والشّرط مطلق والوعيد غير مقيّد لكنّ الخلف فى الوعيد غير قبيح بل حسن ممدوح ثمّ صرف الخطاب الى محمّد ﷺ فقال ردّاً على من أنكر اكل الرّسول ﷺ ومشيه فى الاسواق.

﴿وَ مَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ وَ جَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ اختباراً وفساداً فانّ الله جعل الانبياء والاولياء عليهم السلام فتنة وامتحاناً للمؤمنين، واختباراً وفساداً للمنافقين، وجعل المؤمنين ارتياضاً وامتحاناً بافعالهم الغير المرضيّة للانبياء والاولياء عليهم السلام و بافعالهم الاخرويّة و اتّصالهم بالرّسالة والولاية اختباراً و فساداً للمنافقين، وجعل المنافقين والكافرين امتحاناً للانبياء والاولياء عليهم السلام بايذائهم القوليّ والفعليّ وللمؤمنين كذلك، وعلى هذا كان اضافة بعضٍ الى الضّمير لتعريف الجنس المفيد الفردِ مالا على التّعيين.

﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ استفهام فی معنی الامر ای اصبروا ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ جملة حالیّة فی معنی التّعلیل سواء قلنا بلزوم قد فی الماضی الّذی وقع حالاً او لم نقل.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ ای لقاء حسابنا وثوابنا و عقابنا او لقاء مظاهرنا، وعدم رجاءنا اللّقاء امّا بعدم الاعتقاد به او بعدم الالتفات و التّوجّه الیه و عدم الطّلب له کحال إکثر المعتقدین للآخرة.

﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ لرسالة الرّبّ فانّ الملك اولی بالرّسالة من الله، من البشر او لتصدیق محمّد ﷺ فی رسالته، او المعنی ان کان ینزل الملك علی محمّد ﷺ فلولا انزل علینا الملائکة فانّا ان لم نکن اولی بنزول الملك منه فلسنا بادون منه.

﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ فیخبرنا بنفسه بتکالیفنا او یخبرنا انّ محمّد ﷺ رسول منّی، او ان کان لنا ربّ یرسل رسولاً الینا فلم لایظهر علینا حتّی نریه؟ ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ عند أنفسهم.

﴿وَعَتَوْ﴾ تجاوزوا الحدّ فی الاستکبار ﴿عُتُوًّا كَبِيرًا يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ یعنی انّهم استدعوا نزول الملائکة وهم مجرمون متدنّسون بدنس المادّة والملائکة مجرّدون عن المادّة مطهّرون عن دنسها و لایظهر المجرّد علی المادّیّ الاّ هلك واذا هلك المادّیّ الغیر المطهّر من ادناسها لم یکن له بشری بل کان له العذاب، ووضع المجرمین موضع المضمر لیکون کالعلّة للحکم.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ ای الملائکة ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ حراماً محرّماً یعنی البشری او الجنّة او رؤیة الرّبّ او التّعوّذ فانّه لامعاذ لکم او یقول المجرمون ذلك

﴿وَ قَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ ایّ عملٍ كان ممّا يحسبونه ذخراً لآخرتهم من الصّدق والامانة والوفاء والدّيانة والانفاقات والصّلات و الاعمال الّتى كانت على صورة ملّةٍ الهيّةٍ و عبّر بالماضى لايهام انّه واقع او اخبار عن وقوعه، او اخبار بانّ المخاطب حاله ومقامه حال من قامت قيامته ويرى ماسيقع بالنّسبة الى النّاقصين واقعاً.

﴿فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً﴾ الهباء عبارة عن الغبار الّذى يرى فى شعاع الشّمس ﴿مَّنثُورًا﴾ صفة هباء او خبرٌ بعد خبرٍ ﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة او يوم يرون الملائكة ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ اى افضل منزلاً ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾ مستراحاً من هؤلآء فى الدّنيا او ليس التّفضيل مراداً.

﴿وَ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ﴾ عطف على يومئذٍ او على يوم يرون الملائكة و متعّلق بالحقّ، او بقوله للرّحمن والجملة معطوفة على سابقتها.

﴿بِٱلْغَمَـٰمِ﴾ حالكون السّماء متلبّساً بالغمام او تشقّق بتراكم الغمام وقوّته كأنّ الغمام صار آلة التّشقّق او تشقّق بخروج الغمام الّذى قال الله تعالى: هل ينظرون الاّن يأتيهم الله فى ظللٍ من الغمام والملائكة.

﴿وَ نُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلاً﴾ فانّ فى وقت الاحتضار يشتقّق سماء الارواح ويظهر الغمام الحاصل فى الرّوح من كدورات النّفس بالشّهوات و الغضبات و ينزّل الملائكة رحمةً او نقمةً.

يوم العسر و الشّدّة على الكافرين

﴿ٱلْمُلْكُ﴾ هو بتثليث الميم مصدر ملكه واسمٌ للمملوك وهو مبتدء وقوله ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ خبره سواء كان بمعناه المصدرىّ او بمعنى المملوك لكن

اذا كان بمعنى المملوك كان التّقدير عظمة الملك لئلاّ يلزم الاخبار بظرف الزّمان عن الذّات و حينئذٍ يكون قوله ﴿ٱلْحَقُّ﴾ خبراً بعد خبرٍ و(لِلرَّحْمَـٰنِ) كذلك او متعلّق بالحقّ او حال عن المستتر فيه او يومئذٍ متعلّق بالملك او بالحقّ او بقوله للرّحمن والحقّ خبره، وللرّحمن مثل السّابق او الحقّ صفته وللرّحمن خبره والمراد بقوله يومئذٍ يوم الاحتضار والموت او يوم القيامة.

﴿وَكَانَ﴾ ذلك اليوم ﴿يَوْمًا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ عَسِيرًا وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ﴾ عطف على المستتر فى كان او على يومئذٍ او على يوم تشقّق السّماء، او متعلّق بيقول الآتى والجملة معطوفة على سابقتها وعضّ الظّالم ﴿عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ كناية عن غاية ندمه وتحسّره فانّ الغضوب او المتحسّر اذا بلغ الغاية فى الغضب او التّحسّر يعضّ على انامله ويده.

﴿يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً﴾

طريقاً الى النّجاة او طريقاً واحداً ولم يتفرّق بى الطّرق او طريقاً عظيماً هو طريق الولاية وهذا هو المناسب لقوله.

﴿يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً﴾ ان كان المنظور التّعريض بالامّة فالمراد بقوله فلاناً منافقوا الامّة وان كان المنظور مطلق الظّالم فالمراد بقوله فلاناً مطلق الرّؤساء فى الضّلالة.

﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ عن الشّريعة او الولاية او القران او النّبىّ او الولىّ او علىّ عليه السلام او العقل اوالفطرة ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾ الذّكر بلسان الرّسول صلى الله عليه وآله او مطلقاً.

﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ ابتداء كلام من الله او من قول الظّالم ﴿لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا﴾لانّه يدعو الانسان الى امر ثمّ يتركه لاينصره وقت حاجته في الدّنيا او في الآخرة.

﴿قَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ عطف على يقول يا ليتني او على يعضّ الظّالم او على تشقّق السّماء وعلى التّقادير فالمعنى على الاستقبال اى يقول الرّسول ﷺ في ذلك او عطف على يقال الّذين لايرجون وحينئذٍ يكون على مضيّة يعني قال الّذين لايرجون استهزاءً بالرّسول ﷺ: لولا انزل علينا الملائكة، وقال الرّسول ﷺ تشكيّاً منهم.

﴿يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ يعني جملة القران او قران ولاية عليّ عليه السلام ﴿مَهْجُورًا﴾متروكاً، وفي خطبةٍ عن اميرالمؤمنين عليه السلام فانا الذّكر عنه ضلّ، والسّبيل الّذي عنه مال، والايمان الّذي به كفر، والقران الّذي ايّاه هجر، والدّين الّذي به كذّب.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾اى مثل جعل الاعداء لك مشتملاً على حكم ومصالح عديدة من سوق اتباعك الى دار الآخرة كما قيل:

این جفای خلق بر تو در جهان
گر بدانی گنج زر آمد نهان
خلق را با تو چنین بدخو کند
تا ترا ناچار رخ آنسو کند

آن یکی واعظ چو بر منبر بدی
قاطعان راه را داعی شدی
می‌نکردی او دعا بر اصفیا
می‌بکردی او خبیثان را دعا
مرو را گفتند کاین معهود نیست
دعوت اهل ضلالت جود نیست
گفت نیکویی از اینها دیده‌ام
من دعاشان زین سبب بگزیده‌ام
چون سبب ساز صلاح من شدند
پس دعاشان بر من است ای هوشمند

و من نشر فضلك فى العالم و ايصال صيتك الى اسماع بنى‌ادم فانّ فضل الفاضل ينشره حسد الحاسدين ومن توجيه النّاس و ترغيبهم الى رؤيتك و صحبتك فانّ النّفوس مفطورة على التّوجّه الى كلّ جديد، و من تمييز المؤمن عن الكافر و الخالص عن المنافق، و من ظهور المعجزات عنك بسبب العداوة و من تمكينك فى دينك و تمكين اتباعك و تقوية قلوبكم و غير ذلك من المصالح.

﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ المراد بالعدوّ امّا الجنس المطلق على الواحد و الكثير او المراد به معنى الجمع فانّه كان لكلّ نبيٍّ اعداء عديده و لفظ العدوّ يطلق على الواحد والجمع ﴿مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ لاالمؤمنين ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ تسليه له ﷺ ولامّته من شدّة الخوف من كثرة الاعداء.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً

﴿وَٰحِدَةً﴾ يعنى تارة يقولون: لولا انزل علينا الملائكة سخريّةً بك، و تارةً يقولون: ان كان مايقال حقّاً فلم لاينزل القران عليه مجموعاً؟ و لاىّ سبب ينزل عليه اية بعد اية؟! فانّ الله الّذى يدّعى هو الرّسالة منه قادر على انزال الكتاب جملةً و ليس يحتاج الى تأمّل و تروٍّ و مضىّ زمان لجمعه و تأليفه، ووضع الظهر موضع المضمر لاحضارهم بصفتهم الفظيعة.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ الانزال بالتّفريق انزلناه ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ فانّه كلّما نزل عليك اية من القران ازداد انسك بالرّحمن، وكلّما ازداد انسك ازداد ثبات قلبك على الدّين.

﴿وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلاً﴾ عطف على انزلناه المقدّر، والتّرتيل القراءة بتؤدةٍ [١] والمراد قرأناه عليك مفصولاً متفرّقاً فى ثلاثٍ وعشرين سنة.

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ اى بحال شبيهة بحالك فى ادّعاء الرّسالة مثل قولهم: هذا ملك الرّوم وملك الفرس اذا أرسلوا رسولاً كان له خدم و حشم و ضياع و عقار و خيامٌ و فساطيط.

و حالهم فى الرّسالة شبيهة بحالك فى ادّعاء الرّسالة من الله الّذى هو خالق الارض و السّماء، بل حالك فى هذا الادّعاء اجلّ وارفع من حالهم واذ ليس لك مثل مالهم فلم تكن رسولاً او بحال شبيهة بحالك فى البشريّة مانعة من الرّسالة مثل قولهم: انّك تأكل وتمشى فى الاسواق مثلنا وهذه الحالة تدلّ على الاحتياج، والاحتياج ينا فى الرّسالة من الغنىّ المطلق.

او بحال شبيهة بحالك بل اشراف من حالك ولم‌ينزل الى

---

١ - التؤدة بضم التاء وفتح الهمزة او سكونها.

صاحبها ملك ولم‌يصر رسولاً فلست انت برسولٍ مثل قولهم: لولا أنزل الينا الملائكة فانّه فى معنى قولهم؛ نحن اشرف حالاً منه حيث تربية الآباء وتعليم المعلّمين واكتساب الفضائل الانسانيّة فانّا قدتدرّسنا فى مدارس العلم وأتعبنا أنفسنا فى تحصيل العلوم والحكمة و اكتسبنا الخطّ و الكتابة، ومن حيث الجدة و الحسب و لم‌نصر رسلا فكيف صار هو رسولاً من بيننا مع انّه لم‌يرأباً و لم‌يحصّل علماً وماكان ذامالٍ ولم‌يكتب، او بحال شبيهةٍ بحالك فى الرّسالة و عدم موافقة حالك لها مثل قولهم لو لاانزل عليه القران جملةً واحدةً.

فانّه فى معنى قولهم: حاله فى الرّسالة شبيهة بحال الرّسل الماضية فلوكان رسولاً مثلهم لاتى بكتابة جملةً واحدةً مثل ايتانهم بكتبهم واذا لم‌يأت به دفعةً مثلهم فليس برسولٍ.

﴿إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِالْحَقِّ﴾بالجواب الحقّ الثّابت الدّافع لابطال امثلتِهم المبطل لها المبقى لرسالتك من غير معارضٍ ومبطلٍ ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾اى بياناً من بيانهم لابطال رسالتك.

﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ﴾ بدل او صفة من الّذين كفروا واظهار لذمٍّ اخر وفضيحة اخرى او مبتدء خبره الجملة الآتية او خبر لمحذوفٍ اى هم الّذين يحشرون ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ يعنى ماشين على وجوههم كما يمشى المستقيم القامة على قدميه او مقبلين على وجوههم ﴿اءِلَى جَهَنَّمَ﴾.

اعلم، انّ الانسان كما خلق ببدنه مستقيم القامة رأسه فى اعلى بدنة ورجلاه على الارض يمشى الى حاجاته البدنيّة برجليه خلقه بروحه كذلك رأسه المعنوىّ فى اعلى وجوده ورجلاه المعنويّتان فى اسفل ومابقى على فطرته الانسانيّة كان حاله الباطنيّة على هذا المنوال، واذا ارتدّ عن فطرته صار رأسه ووجهه الباطنيّان منكوسين من اعلى وجوده الى اواسطه ويتدرّج فى الانحطاط والتّوجّه الى ان وصل رأسه الى مقام ووجهه الباطنيّان منكوسين من اعلى وجوده الى اواسطه ويتدرّج فى الانحطاط والتّوجّه الى ان وصل رأسه الى مقام رجله وانقلب رجله الى مقام رأسه.

ولمّاكان صورته الاخرويّة وبدنه الملكوتىّ تابعة لنفسه بحيث لايكون نفسه بحال الاّ ويصير بدنه بتلك الحال كان بدنه الاخروىّ منكوساً بحيث يكون مشيه على وجهه ورجلاه من اعلاه، روى انّ رجلاً قال: يا نبىّ الله ﷺ كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟

قال: انّ الّذى أمشاه على رجليه قادر على ان يمشيه على وجهه يوم القيامة، وهذا معنى التّناسخ الملكوتىّ وقديتقوّى ذلك بحيث يسرى اثره الى بدنه الملكىّ فيصير ممسوخاً ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ قال كفّار مكّة لمحمّدٍ ﷺ و اصحابه:

هم شرّ خلق الله فنزل الآية يعنى ان زعموا انّ محمّداً ﷺ و اصحابه شرّ خلق الله فهم حين يسبحون الى النّار كانوا شرّاً منهم او فى هذه الدّنـــــــيا

حكاية موسى وهارون

كانوا شرّاً منهم و اضلّ سبيلاً منهم.

﴿وَ لَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾ لمّاذكر حال محمّدٍ ﷺ فى رسالته وحال الكفّار فى الانكار ذكر الرّسل الماضية وانكار المنكرين وتدميرهم ليكون تسليّةً وتقويةً للرّسول ﷺ والمؤمنين وتهديداً للمنكرين.

﴿وَ جَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَـٰرُونَ وَزِيرًا فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَدَمَّرْنَـٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾ لمّا كان المقصود تسلية الرّسول ﷺ والمؤمنين وتهديد المنكرين والمعاندين من ذكر رسالة موسى ﷺ وهارون اقتصر على ذكر ارسالهما وانكار قومهما و تدميرهم من تفصيل كيفيّة ارسالهما و تدميرهم.

وكان حقّ العبارة ان يقول ثمّ دمّرناهم لكن اتى بالفاء لايهام انّ التّدمير كان عقيب الرّسالة بلامهلةٍ ليكون ابلغ فى التّقوية والتّهديد والتّقدير.

فذهبا وبلّغا رسالتهما و داريا القوم مدّةً مديدةً وبالغ القوم فى الانكار حتّى انتهوا فى انكارهم الى ابطال فطرتهم فدمّرناهم.

حكاية قوم نوح و تكذيبهم

﴿وَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ عطف على مفعول دمرّناهم و قوله تعالى

﴿لَّمَّا كَذَّبُوا ٱلرُّسُلَ﴾استيناف كلامٍ جواب سؤال مقدّرٍ او مفعول لاذكر محذوفاً ومعطوف على قولهلقد اتينا موسىؑ الكتاب فانّه فى معنى اذكر موسىؑ و قومه و مابعده مستأنفٌ او مفعول لمحذوفٍ يفسّره مابعده وليس من باب شريطة التّفسير لعدم جواز تسلّط مابعد لمّا على ماقبلها، ونسب تكذيب جميع الرّسلؑ اليهم امّا لأنّهم كانوا انكروا الرّسالة او لانّهم انكروا نوحاًؑ و من سبق عليه او لانّ انكار واحدٍ من الرّسل مستلزم لانكار جميع الرّسلؑ ﴿أَغْرَقْنَـٰهُمْ﴾ جميعاً ﴿وَ جَعَلْنَـٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾ دالّة على قدرتنا وسخطنا على من خالف رسلنا بحيث لايخفى على احدٍ ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ﴾ يعنى لهم لكنّه وضع الظّاهر موضع المضمر للتّصريح بانّهم فى تكذيب الرّسلؑ ظالمون، او المقصود تهديد مطلق الظّالمين ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ فى الآخرة كما انّ التّدمير والاغراق كانا فى الدّنيا.

﴿وَ عَادًا﴾ عطف على مفعول دمّرناهم او على مفعول جعلناهم او على للظّالمين بطريق الحذف والايصال، او بالعطف على محلّة او مفعول لاذكر محذوفاً اولاهلكنا محذوفاً (وَ ثَمُودَاْ وَأَصْحَـٰبَ ٱلرَّسِّ).

حكاية اصحاب الرّسّ

الرّسّ البئر المطويّة بالحجارة واسم لبئر كانت لبقيّة من ثمود

و الحفر والاخفاء ودفن الشّيء تحت الشّيء، و اصحاب الرّسّ.

على ماروى عن مولانا اميرالمؤمنينعليه السلام كانوا يعبدون شجر الصّنوبر، وكان لهم اثنتا عشرة قرية على نهرٍ يقال له الرّسّ وسمّوا قراهم بأسماء الشّهور الفرسيّة وكان فى كلّ شهرٍ عيد لهم فى قرية من قراهم.

و أخذوا أسماء الشّهور من أسماء تلك القرى أخذوا لكلّ شهرٍ اسم القرية الّتى كان فى ذلك الشّهر عيد تلك القرية، وكان فى كلّ قريةٍ شجرة يعبدونها ويجتمعون عندها فى موسم العيد، وكان الشّيطان يحرّك تلك الشّجرة بعد الاجتماع عندها و عبادتها ويتكلّم معهم ويصيح من ساقها قدرضيت عنكم عبادى فطيبوا نفساً.

و اذا كان عيد قريتهم الكبيرة اجتمعوا عند الشّجرة العظيمة الّتى فيها اكثر ممّا اجتمعوا فى سائر القرى وذبحوا القرابين اكثر ممّا ذبحوا فى سائر القرى وكان الشّيطان يتكلّم من جوف تلك الشّجرة كلاماً جمهوريّاً و يمنّيهم اكثر من السّابق.

فلمّا تمادوا فى ذلك ارسل الله تعالى اليهم نبيّاً من ولد يهود ابن يعقوب فمكث يدعوهم الى التّوحيد زماناً طويلاً فلمّا رأى تماديهم فى الطّغيان دعا الله ان ايبس اشجارهم فيبست فلمّا رأوا أشجارهم قديبست صاروا فرقتين؛ فرقة قالوا سحر هذا الهتكم، وفرقة قالوا غضب الهتكم حين رأت هذا الرّجل يصرف وجوه

النّاس عنها ولم تغضبوا لها، واجمعوا على ان يدفنوه فی نهر الرّسّ تحت الشّجرة الكبيرة ودفنوه حيّاً تحت نهر الرّسّ، فسمّاهم الله اصحاب الرّسّ لكونهم اصحاب القرى الواقعة على نهر الرّسّ او لدفنهم نبيّهم حيّاً.

فغضب الله فأرسل عليهم ريحاً شديدة الحمرة و صارت الارض من تحتهم حجر كبريت تتوقّد و اظلّتهم سحابة سوداء فألقت عليهم لالقبّة حمراً يلتهب فذابت ابدانهم كما يذوب الرّصاص فی النّار.

و قيل: الرّسّ نهر بناحية آذربايجان.

روى انّه دخل على الصّادقعليه‌السلام نسوة فسألته امرأة منهنّ عن السّحق فقال: حدّها حدّ الزّانی فقال المرأة: ماذكرالله عزّ وجلّ ذلك فی القران؟فقال: بلى، فقالت: واين هو؟ قالعليه‌السلام: هنّ اصحاب الرّسّ.

و فی خبرٍ: دخلت امرأة مع مولاة لها على ابى عبداللّهعليه‌السلام فقالت ما تقول فی اللّواتی مع اللّواتی؟ - قالعليه‌السلام: هنّ فی النّار ان قالت: ليس هذا فی كتاب الله؟ ـ قال: نعم، قالت: اين هو؟

قالعليه‌السلام: قوله: وعاداً وثمود واصحب الرّسّ فهنّ الرّسّيّات.

و فی خبرٍ: انّ سحق النّساء كانت فی اصحاب الرّسّ.

و قيل: انّ الرّسّ اسم بئرٍ رسّوا فيها نبيّهم ای القوا فيها، وقيل: اصحاب الرّسّ كانوا اصحاب مواشٍ ولهم بئر يقعدون عليها وكانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيباً فكذّبوه

فانهار البئر وانخسفت بهم الارض فهلكوا.

و قيل: الرّسّ قرية باليمامة قتلوا نبيّهم فأهلكهم الله، وقيل: الرّسّ بئر بانطاكية قتل اهلها حبيباً النّجّار فنسبوا اليها.

﴿وَ قُرُونَام﴾ جمع القرن والقرن له معانٍ عديدة لكنّ المناسب ههنا ان يكون بمعنى الامّة الهالكة الّتى لم‌يبق منهم احد، او اهل زمانٍ واحدٍ او الامّة بعد الامّة ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من قوم نوحٍ وعادٍ وثمود اصحاب الرّسّ وقوم موسى عليه السلام.

﴿كَثِيرًا وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ يعنى كلاًّ من الامم الهالكة اجرينا له حكاياتٍ عديدة من الماضين مهدّدة من سخطنا ومرغبّة فى رحمتنا كما ضربنا لامّتك الامثال العديدة بهذا المنوال.

﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا﴾ التّبر الكسر والاهلاك كالتّبير ﴿تَتْبِيرًا وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾ وهى قرى قوم لوطٍ امطرت بالحجارة ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ حتّى يعتبروا بها ولايحتاجوا فى التّنبيه والتّهديد الى غيرها.

﴿بَلْ﴾ رأوها ولكن ﴿كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ لعدم اعتقادهم بالحشر او ليأسهم من رحمة الله فيكون المعنى لايرجون نشوراً للثّواب.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ الهزؤ بالضمّ والسّكون والهزؤ بالضّمّتين مصدرا هزء به ومنه كمنع وسمع بمعنى سخر منه قائلين تهكّماً بك وتحقيراً لك.

﴿أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ وهذا الكلام منهم لغاية التّحقير والاستهزاء لاتيانهم بالاستفهمام التّعجّبى الدّالّ على منافاة حاله لرسالة الله لحقارته، وباسم الاشارة القريبة الدّالّ على تحقيره، وببعث الله ايّاه رسولاً على سبيل التّسليم من حيث انّهم جعلوا البعث صلة للموصول دالّة على تحقّقه وتسليمه مع انكارهم له وهذا مبتدء والّذى خبره او صفته وخبره قوله.

﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ ان مخفّفة من الثّقيلة او نافية على قولٍ يعنى انّه لكثرة مايدعو ويصرّ على الدّعاء الى الهة، وكثرة مايحاجّ بما يزعمه برهاناً، وكثرة مايظهره ممّا يزعمه معجزة يكاد يصرف وجوهنا؛ ﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ الى الهةٍ ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ جواب لولا محذوف بقرينة السّابق اى لكاد يضلّنا فهو بمنزلة القيد لقوله ان كاد ليضلّنا.

﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ حال الاحتضار او فى البرازخ او فى القيامة ﴿مَنْ أَضَلُّ﴾ منك ومنهم (سَبِيلاً) لمّادلّ قولهم ان كاد ليضلّنا عن الهتنا على انّه ضالّ ويريد اضلالهم قال تعالى: سوف يعلمون من اضلّ سبيلاً.

﴿أَرَءَيْتَ﴾ خطاب لمحمّد ﷺ والرّؤية من رؤية البصر او رؤية القلب او الخطاب عامّ ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ﴾ من موصولة ومفعول لرأيت او استفهاميّة ومفعول معلّق عنه العامل.

﴿إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ قدّم المفعول الثّانى للاهتمام به والهوى مقصوراً المحبّة والعشق فى الخير والشّرّ والمهوىّ كذلك لكن اذا اضيف الى الانسان او الى نفسه يتبادر منه الهوى فى الشّرّ بالنّسبة الى الانسانيّة، والآله هو الذى يعبده الانسان يعنى يطيعه فى اوامره

ونواهیه ویجعل غایة حرکاته وسکناته الّتی یسمّیها عبادة رضاه.

ولمّاکان الانسان مالم‌یصر بالنّسبة الی الله والشّیطان کالمدارك بالنّسبة الی النّفس ذاوجهین وجه الی نفسه ووجه الی عقله ووجه النّفسانیّ یأمره بمهویّات النّفس الّتی فیها هلاکه وضلاله، ووجهه العقلانی یأمره بمرضیّات العقل الّتی هی مرضیّات الله ومأموراته.

و بعبارةٍ اخری مالم‌یخرج الانسان من حکم نفسه ولم‌یتمکّن فی اتّباع الرّحمن او الشّیطان،کان علیه حاکمان حاکم الهیّ عقلانیّ وحاکم شیطانیّ نفسانیّ هذا یزجره وذاك یغویه.

فاذا اتّبع الشّیطان فی اغوائه والنّفس فی هواها واراداتها و مهویّاتها تدرّج فی المحکومیّة للشیطان والنّفس بحیث تمکّن فی ذلك و لم‌یبق فیه مدخل ومخرج للعقل والملك والرّحمن، ولا یقبل حکم الله بتوسّط الملك والعقل، ولا یحبّ مرضیّات العقل ولا یطلبها بل یطیع الشّیطان فی امره بطلب المهویّات .

و المهویّات فی جذبها الّذی هو أمرها التّکوینیّ والارادات فی تسخیرها له الّذی هو امره فیکون الشّیطان معبوداً له اوّلاً کما قال تعالی حکایة لقول الملائکة بل کانوا یعبدون الجن اکثرهم بهم مؤمنون لکن من حیث لا یشعرون بل یحسبون انّ‌الله یعبدون ثمّ المهویّات ثانیاً ثمّ الاهویة والارادات ثالثاً ونعم ماقیل:

ای هواهای تو خداانگیز　　زین خداهای تو خدا بیزار

﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾ حتّی تحزن علی اتّباعهم الهوی وعدم استماعهم منك وتضیق صدراً به، والوکیل فعیل بمعنی المفعول من وکل الیه الامر سلّمه الیه وترکه، وتعدیته بعلی بتضمین مثل معنی الرّقیب ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ فی مقام التّقلید.

﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ فى مقام التّحقيق فانّ السّماع اوّل مقام العلم الّذى هو مقام التّقليد، والتّعقّل اخر مقامه الّذى هو مقام التّحقيق والتّحقّق واليهما اشار تعالى بقوله تعالى: انّ فى ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ السّميع و هو شهيد.

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ فى عدم التّدبّر وعدم تذكّر المقصود من التّخاطب وفى كونهم محكومين بحكم شهوتهم وغضبهم من دون رادعٍ يردعهم من أنفسهم ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ لانّ الانعام مفطورة على اتّباع الشّهوات والغضبات وليست ضالّة عن طريقها المفطورة عليها.

وانّما ضلالها يكون بالنّسبة الى الانسان وطريقه والانسان مفطورٌ على السّلوك الى الله والخروج من جملة الحدود والتّعيّنات واللّحوق بعالم الاطلاق.

فاذا انصرف عن هذا السّير واللّحوق ووقف على بعض مراتب البهائم او السّباع او الشّياطين كان ضالاًّ عن طريقه الخاصّة به واضلّ من كلّ ضالٍ.

ولانّ ضلال كلّ ضالّ سوى الانسان والجانّ يكون بالنّسبة الى طريق الانسانيّة الّتى لايترقّب منه السّير عليها بخلاف ضلال الانسان فانّه يكون بالنّسبة الى طريقه الّتى يترقّب منه السّير عليها.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ الخطاب لمحمّدٍ ﷺ فانّه اهل لتلك الرّؤية وينبغى ان يعاقب على تركها ويؤكّد ثبوتها لها او عامّ فانّ غيره ينبغى ان يرى و يوبّخ على تركها.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ المضاف وهو ربّه فى الولاية، ومدّ الظّلّ منه عبارة عن صورته المثاليّة الّتى اذا تمكّن القابل للولاية فى الاتّصال بها يرى سعة احاطتها وتصرّفها فيما سواها من غير توقّفٍ الى مضىّ زمانٍ او قطع مكان والنّقل من مقامٍ او ربّك المطلق.

ومدّ الظّلّ منه عبارة عن سعة مفعولاته وكثرة مقدوراته وانتهاء ذلك الظّلّ الى الملكوت السّفلى وعالم الجنّة والشّياطين.

او المراد بالظّلّ هو الّذى خرج من انانيّته وحيى بحيوة الله و بقى ببقاء الله وهم الانبياء والاولياء عليهم‌السلام فانّهم بالنّسبة الى الله كالظّلّ بالنّسبة الى الشّاخص من حيث انّه لاانانيّة له من نفسه و لااستقلال له و لابقاء كما قيل:

سايهٔ يزدان بود بندهٔ خدا مردهٔ اين عالم و زندهٔ خدا
كيف مدّالظلل نقش اولياست كاو دليل نور خورشيد خداست
دامن او گير زوتر بی گمان تا رهی از افت اخر زمان
اندرين وادی مرو بی اين دليل لااحبّ الآفلين گو چون خليل

﴿كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ قيل على ظاهر التّنزيل: الم تر الى فعل ربّك، وقيل معناه: الم تعلم و قيل: انّ هذا معنى القلب و التّقدير الم تر الى الظّلّ كيف مدّة ربّك.

و قيل: المراد بالظّلّ مابين الطّلوعين فانّه ظلّ ممدود غير مقطوع، وقيل: المراد بالظّلّ مابين غروب الشّمس الى طلوعها.

﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ غير ممدود وغير متحرّكٍ الى المدّ او جعله ساكناً من السّكنى بمعنى الاقامة فانّه لوشاء الله لم‌يظهر الشّمس حتّى يكون الظّلّ دائماً ،او لم‌يتبدّل اوضاعها حتّى يكون الظّلّ بحال واحدة، او لم‌يرجع الفانى الى البقاء او لم‌يذهب بالرّاجع الى البقاء الى حضرته فيكون نبىّ واحد وولىّ واحد فى جملة ادوار العالم او لم‌يذهب بالمكوّنات ولم‌يخرجها من القوى الى الفعليّات او لم‌ينزل الوجود من عالم الارواح الى عالم الاكوان.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً﴾ يعنى لوشاء لجعل الشّمس

على الظّلّ دليلاً لكنّه لم يشأ فجعل الظّلّ دليلاً على الشّمس فانّه بجملة معانيه وبطونه يدلّ على الشّمس، او المعنى ثمّ لو شاء لجعل الشّمس عليه دليلاً لكنّه شاء وجعل الشّمس دليلاً على الظّلّ لمن رقى عن رؤية افعال الله الى مشاهدة ذاته فى مظاهر جماله.

او المعنى الم تر كيف مدّ الظّلّ ثمّ كيف جعل الشّمس عليه دليلاً لمن صار كذلك وعلى هذين المعنيين فالاتيان بثمّ للاشعار بانّ دلالة الشّمس على الظّلّ مع انّها مدلولة للظّلّ فى اوّل الامر لاتكون بعد مشاهدة فعل الله فى جملة الافعال الاّ بتراخٍ كما انّ الالتفات من الغيبة الى التّكلّم للاشارة الى انّ دلالة الشّمس على مصنوعاته لاتكون الاّ بعد حصول مقام الحضور.

﴿ ثُمَّ قَبَضْنَـٰهُ﴾ بعد المدّ ﴿إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ لفظ الينا كالتّصريح بانّ المقصود من الظّلّ هو الانبياء والاولياء عليهم السلام، وجملة الموجودات وقبض ظلّ الشّمس بعد المدّ محسوس، وقبض الانبياء و الاولياء عليهم السلام و قبض جملة الخلق ايضاً محسوس.

فانّ المكوّنات كلّها من اوّل خلقتها الّتى هى مدّ الظّلّ تكون فى الخروج من القوى الى الفعليّات و فى طرح النّقائص والاعدام وهذا الخروج والطّرح هو قبض الرّبّ ايّاها اليه، واليسير اشارة الى التّدريج فى القبض.

﴿وَ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ عطف على الم تر كيف مدّ الظّلّ باعتبار المعنى، فانّه فى معنى هو الّذى مدّ الظّلّ.

والمراد باللّباس الثّوب فانّ ظلمة اللّيل السّاترة للاشخاص عن الانظار شبيهة باللّباس السّاتر للابدان من الانظار.

او الاختلاط فانّ اللّيل سبب لاختلاط القوى واثارها، او الاجتماع مقابل النّشر فى النّهار فانّ اللّيل وقت لاجتماع الاشخاص فى البيوت واجتماع القوى والارواح فى الباطن.

﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ اى سبب قطع من الدّنيا ومشاغلها او سبب راحة او نوم. ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ اى سبب نشورٍ، ولمّا كان المقام للامتنان بتعداد النّعم وتكرار النّعم والبسط فيها كان مطلوباً كرّر جعل ههنا ولمّا كان النّوم من نعم اللّيل كأنّه لم يكن نعمة على حيالها لم يكرّر جعل هناك.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ فانّ الرّياح الصّوريّة وقت الشّتاء والرّبيع تحرّك السّحاب وتصير سبباً لامطار المطر، واطلاق الرّحمة على المطر شائع فى العرب والعجم.

ورياح الغموم والاخاويف والاسقام والقبضات والبلايا وسائر مالا يلايم الانسان تبشّر بضدّ ذلك فانّ مع العسر يسرين وقدسبق فى سورة الاعراف الاختلاف القراءة فى بشراً وغير ذلك.

﴿وَأَنزَلْنَا﴾ لمّا كان الامتحانات الآلهيّة موجبة لترقّى السّالك عن مقام الغيبة الى مقام الحضور ويكون الامتحان فى الغياب قال ارسل الرّياح بالغيبة وانزلنا بالالتفات من الغيبة الى الحضور.

﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾اى السّحاب او جهة العلو بعد ارسال الرّياح ﴿مَآءً طَهُورًا﴾ اى طاهراً فى نفسه مطهّراً لغيره من الاخباث والاحداث فانّ الطّهور للمبالغة فى الطّاهر.

والبالغ فى الطّهارة هو الّذى يكون لشدّة طهارته مورثاً لطهارة مجاوره، وتوصيف الاجناس عنه هذا الوصف قليلاً كان ام كثيراً وارداً على المتنجّس او وارداً عليه المتنجّس او ملاقياً له غسالةً ام غيرها.

ماءالمحيى للبلدة الميتة

كما افتى به بعض الفقهاء رضوان الله عليهم، لكنّ الاحتياط طريق الرّشاد خصوصاً في البلاد الّتي يكون الماء بها كثيراً حيث لاينجرّالى تعسّر و تبذير واسرافٍ.

﴿لِّنُحْيِيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ موت البلاد بسكون عروق اراضيها وحبوبها عن الهيجان والحركة والنموّ وحيوتها بهيجان تلك ونبتها ونموّها ﴿وَ نُسْقِيَهُۥ﴾اى الماء الطّهور ﴿مِمَّا خَلَقْنَآ﴾ بعضاً ممّا خلقنا (أَنْعَـٰمًا) مفعول نسقيه، وممّا خلقنا حال مقدّم او ممّا خلقنا مفعوله على كون من التّبعيضيّة اسماً او قائماً مقام الاسم وانعاماً بدل او حال منه.

﴿وَأَنَاسِيَّ﴾جمع الانسيّ بمعنى الانسان او جمع الانسان باسقاط النّون والاتيان بالياءعوضاً عنها او بابدالها ياءً ﴿كَثِيرًا﴾ قديوحّد الكثير للجميع وقديطابق ونكرّ الانعام وخصّها بالذّكر من بين سائر الحيوان لانّ كثيراً من الانعام تسقى من الانهار، وكثيراً من الحيوان غنيّة من الماء، وبعضها يطلب الماء فى المسافات البعيدة، ونكرّ الاناسيّ.

لذلك، وقدّم احياء الارض وسقى الانعام على سقى الانسان لانّ احياء الارض وسقى الانعام ليس الاّ للانسان وعمدة منافعه واسباب تعيّشه منوطة بهما فكان الاهتمام بهما فى مقام تعداد النّعم اكثر من سقى الماء الانسان.

﴿وَ لَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ﴾ اى امر ولاية علىّ عليه السلام فانّه المعهود على الاطلاق والمنظور من كلّ قولٍ وخطابٍ، او صرّفنا تعداد النّعم فى القران وسائر الكتب وعلى السنة خلفائنا او صرّفنا المطر فى البلدان والبرارى والبحار وفى الاوقات وفى الاوصاف بجعله وابلاً وطّلاً ورضراضاً وثلجاً وبرداً ومتتابعاً وغير متتابع.

﴿بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا﴾ بذلك و يقرّوا بالمبدء والمعاد ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ الّذين نسوا الآخرة ولم يكن لهم همّ الاّ حيوتهم الدّنيويّة ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ بالولاية او بالنّعم المعدودة من حيث انعامنا او بنعمة المطر وانعامنا به.

عن ابی جعفرعليه السلام انّه قال: فأبی اكثر النّاس من امّتك بولاية علیّعليه السلام الاّ كفوراً (وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا) لكن لم نشأ لعدم اقتضاء الحكمة ذلك فانّ توحيد الرّسول صلى الله عليه وآله تفخيم لشأنه وتوحيد لجهة توجّه الخلق وفی هذا التّوحيد اصلاحهم وتكميلهم.

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ بالله او بك او بالولاية فی ارداتهم واهويتهم.

﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ بالقران او ترك طاعتهم او بعلیّعليه السلام ﴿جِهَادًا كَبِيرًا وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ﴾ ارسل وخلی ﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ البحر العذاب والبحر الاجاج ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ العذب من الطّعام ولشّراب كلّ مستساغٍ، والفرات البالغ فی العذوبة.

﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ الملح ضدّ العذب، والاجاج البالغ فی الملوحة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ حاجزاً من قدرته بحسب التّنزيل ومن عالمٍ سوی العالمين ومن شيءٍ سوی البحرين بحسب التّأويل.

﴿وَحِجْرًا﴾ الحجر بالتّثليث المنع ويستعمل فی المانع و الحرام ﴿مَّحْجُورًا﴾ تأكيد للحجر مثل ظلّ ظليل، قيل: ذلك مثل دجلة تدخل البحر و تشقّه و لايغيّر احدهما طعم الآخر.

و قيل: ذلك مثل الانهار العظيمة جعل الله بينه وبين البحار العظيمة برزخاً من الارض

مانعاً من اختلاطها، او المراد بالبحرين بحر الفاعليّة الّتى هى عين ذات الفاعل و بحر القابليّة الّتى هى عين ذات القابل، و بالبرزخ الصّور المنطبعة الّتى هى بوجهٍ من جهة القابل، و بوجهٍ من جهة الفاعل، و هى برزخ مانع من اختلاط الفاعليّة بالقابليّة و تدنّسها بها، و هلاك القابليّة بالفاعليّة.

او البحران عالم الارواح المجرّدة الصّرفة وعالم الاجسام المادّيّة، و البرزخ عالم البرزخ و عالم المثال المانع من فناء الاجسام بالارواح و اختلاط الارواح بالاجسام، او البحران عالم الاجسام المادّيّة و عالم المثال و مافوقه و البرزخ عالم البرزخ المعبّر عنه بهور قوليا، او البحران الملكوتان السّفليّ والعلويّ و البرزخ عالم الاجسام المانع من ظهور احدهما على الآخر لفنى الملكوت السّفليّ وهلك، او البحران عالم المثال و البرزخ عالم النّفوس الحيوانيّة وكلّ هذه كما هى جارية فى العالم الكبير تجرى فى العالم الصّغير.

﴿وَ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ﴾اى ماء البحرين فانّ المناسب لذكره فى ذيل البحرين ان يكون اللاّم للعهد يعنى عوضاً عن المضاف اليه، او من النّطفة فانّ الانسان مخلوق من النّطفة الّتى هى امشاج من الطّينتين السّجّينيّة والعلّيّنيّة اللّتين هما من البحرين.

﴿بَشَرًا﴾ البشر الانسان ذكراً كان او انثى واحداً او غيره و قديثنّى ويجمع لكن اطلاق البشر على الانسان باعتبار جسمانيّته المحياة بروحانيّته ﴿فَجَعَلَهُو﴾ بعد ماخلقه ﴿نَسَبًا﴾اى منسوباً او منسوباً اليه او ذانسب والنّسب القرابة مطلقة او من جانب الأب.

﴿وَ صِهْرًا﴾ اى جعله قرابة بالنّسب وقرابة بالمصاهرة فانّ الصّهر مطلق القرابة او الانتساب بالمصاهرة وهو المراد كما انّ المراد بالنّسب الانتساب بالتّوالد، وورد انّ المراد بالبشر ادم عليه السلام وحوّاء عليها السلام خلقهما من الماء بان جعل جزء مادّتهما الماء او خلقها من امتزاج

الماء العذب الفرات والماء الملح الاجاج، وخلق حوّاء من ضلعه الايسر فصارا ذوی‌نسب وزوّج حوّاء ادم فصارا ذوی‌صهرٍ.

وفی اخبارٍ عديدةٍ مضمون انّ المراد بالبشر محمّد ﷺ وعلیّ علیه السلام وانّ الله خلق ماءً تحت العرش قبل ان يخلق ادم واسكنه فی لؤلؤٍ خضراء فی غامض علمه الی ان خلق ادم فلمّا خلق ادم نقل ذلك الماء من اللؤلؤ فأجره فی صلب ادم الی ان جعله الله فی صلب عبدالمطّلب ثمّ شقّه نصفين ومحمّد ﷺ وعلیّ علیه السلام من ذينك النّصفين فصارا ذوی‌نسبين.

و تزوّج علیّ علیه السلام فاطمة علیها السلام فصارا صهرين، وانّ الآية فی محمّدٍ ﷺ وعلیٍّ علیه السلام وفاطمة علیها السلام و الحسن علیه السلام و الحسين علیه السلام و هم البشر وجعلهم الله ذوی‌نسبٍ وصهرٍ.

﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ علی خلق البشر من الماء وجعله نسباً و صهراً ﴿وَ يَعْبُدُونَ﴾ ای المشركون او الكافرون او المحجوبون فی حجب الاجسام او الغافلون او المنكرون للولاية وهو المنظور ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ﴾ من الاشجار والاحجار والكواكب والاصنام والجنّ والشّياطين والاهوية والمهويّات ورؤساء الضّلالة.

﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ﴾ عطف فی معنی الاضراب كأنّه قال: بل كانوا لكنّه وضع الظّاهر موضع المضمر ليكون تصريحاً بذمّهم بالكفر وتعليلاً للحكم، والمراد بالكافر احد الاصناف المذكورة.

فانّ كلاًّ كان ﴿عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ ای مظاهراً علی ربّه لانّ ربّ الكافر لايظهر الاّ بالفطرة الانسانيّة الّتی هی الولاية التّكوينيّة او اللّطيفة العقلانيّة وتلك الفطرة مظهر للرّبّ فی الولاية وللرّبّ المطلق والكافر بایّ معنیً كان ساتر لتلك اللّطيفة والسّاتر لتلك اللّطيفة نابذلها خلف ظهره ومظاهر للشّيطان علی تضعيفه تلك الفطرة فی جملة افعاله سواء

كانت بصورة العبادات ام لا؟

لانّ السّاتر لتلك اللّطيفة يكون توجّهه فی فعله الی غيره وكلّ فعل منه خروج من القوّة الی الفعليّة والخروج من القوّة الی الفعليّة اذا لم‌يكن بالتّوجّه الی تلك اللّطيفة صار صاحب بتلك الفعليّة بعيداً من تلك اللّطيفة حتّی تنقطع منه وصار مرتدّاً فطريّاً غير مرجوّ منه الخير و غير مقبول التّوبة.

و اشير فی الاخبار الی انّ المراد بالكافر مخالف الولاية وبربّه علیّ عليه السلام.

وقيل: المراد بالكافر ابوجهلٍ وبربّه محمّد صلی الله عليه وآله، ولاينافی ذلك التّعميم كما عرفت وجهه.

﴿وَ مَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا﴾ تسلية له صلی الله عليه وآله ورفع للحرج عنه كأنّه ضاق صدره من كفرهم وكونهم مظاهرين عليه وتحرّج علی أن لايقدر علی تغييرهم عن كفرهم ﴿قُلْ﴾ يا محمّد صلی الله عليه وآله تسلية لقلبك ومتاركة معهم واتماماً للحجّة عليهم ﴿مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ ای علی الارسال او علی التّبشير والانذار ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ ای شيئاً من الاجر حقيراً حتّی تتّهمونی بانّ ادّعائی لذلك ليس من الله.

﴿إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ فی الولاية او ربّه المطلق ﴿سَبِيلاً﴾ ایّ سبيلٍ كان.

اعلم، انّ شأن الرّسالة ليس الاّ الانذار من التّوقّف فی مسبع النّفس والتّخويف من مخاوف الوقوف علی المشتهيات النّفسيّة الّتی توجب دخول النّار مع الكفّار كما قال: انّما انت منذرٌ بطريق

الحصر وانّ المقصود من قبول الرّسالة والبيعة الاسلاميّة ليس الاّ الاهتداء الى الايمان الّذى هو طريق الى الله.

وقدعلمت انّه لايحصل الاّ بقبول الولاية والبيعة الايـمانيّة فالاسلام فى الحقيقة مقدّمة للايمان ودلالة على الطّريق الى الله فلم يكن مقصود الرّسول ﷺ مـن تـبليغه الاّ ايـمان المـؤمن لااسـلام المسلم الاّ من باب المقدّمة.

و لانّه يصير المؤمن بشأن ايمانه من اظلال الرّسول ﷺ من حيث ولايته واجزائه صحّ ان يقول الرّسول لااطـلب مـنكم عـلى متاعب رسالتى الاّ ذات من شاء ان يتّخذ الى ربّه سبيلاً.

اى من شاء ان يصير مؤمناً وقابلاً للولاية واتـرك الكـفّار الّذين هم اموات ولاتنظر اليهم والى مافعلوا من عبادة غير الله ومن ايذائك فانّهم لاحراك لهم الاّ بالله وكل امورك الى الله.

﴿وَ تَوَكَّلْ﴾واعتمد ﴿عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ اى على الحىّ بالّذات فانّ من يموت يكون حيوته عرضيّة يعنى لاتر الافعال من غير الله بل كن فانياً من نسبة الافعال الى غيره وانظر الى علمه تعالى و قدرته و ارادته بالّذات.

فانّ الحيوة يستلزمها واذاكانت ذاتيّة كانت تلك ايضاً ذاتيّة واعلم، انّها فى غير الله بتوسّطه حتّى تعتمد عليه وتكل امورك اليه ولاتنظر الى فعل وارادة وقدرة من غيره.

فانّ مقام التّوكّل لايحصل للسّالك الاّ بالفناء من فعله والنّظر الى سريان قدرته وارادته وفعله فى الجميع.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ اى نزّهه عن جميع مالايليق به بسبب حمده الّذى هو سعة وجوده فانّ تسبيحه لايكون الاّ تحميده كما مضى فى اوّل الفاتحة انّ تسبيحه عبارة عن سلب النّقائص والحدود عنه، وسلب الحدود ليس الاّ سلب السّلب الرّاجع الى سعة الوجود.

والمراد بالتّسبيح منه ﷺ ليس الاّ التّسبيح الفعلىّ الّذى هو خروجه عن جميع الحدود وفناؤه عن افعاله وصفاته وذاته يعنى لاتنظر الى حدودك وحدود غيرك وذنوبهم فانّ الله يقلّبهم فى الحدود والذّنوب ويجازيهم على مايستحقّونه.

﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ لاحاجة له الى نظرك اليهم.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ بدل او صفة للّذى لايموت او خبر مبتدء محذوف، او مفعول فعل محذوف، او مبتدء خبره الرّحمن او قوله فاسئل.

﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من الملائكة والمواليد ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ قدمضى الآية بتمام اجزائها فى سورة الاعراف.

وذكرنا هناك كيفيّة خلق السّماوات والارض فى ستّة ايّام وسرّ تعقيب خلقهما باستوائه على العرش باداة التّراخى، ولمّاكان استواؤه تعالى على العرش الّذى هو جملة المخلوقات بمعنى استواء نسبته الى الجليل والحقير بصفته الرّحمانيّة جعل المسنداليه عنوان وصف الرّحمن.

﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ سألته كذا وعن كذا و بكذا بمعنىً فيجوز انيكون الباء صلة اسئل وخبيراً مفعوله الاوّل، او خبيراً حالاً ومفعوله الاوّل محذوفاً اى اسئله عن حاله حالكونه خبيراً، او اسئله ذاته حالكونه خبيراً.

و يجوز انيكون الباء سببيّةً وخبيراً مفعوله الاوّل ويكون الكلام على التّجريد مثل رأيت بزيدٍ اسداً.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ عطف على يعبدون وذمّ اخر لهم﴿ٱسْجُدُوا لِلرَّحْمَـٰنِ﴾ لمّاكان المخاطبون لايدركون من عناوين الله الاّ عنوان رحمته الرّحمانيّة علّق الحكم على الرّحمن دون سائر الاسماء.

﴿قَالُوا﴾ استهزاءً او اظهاراً للجهل به وسؤالاً عنه او انكاراً لسجدته ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ﴾ والاتيان بما دون من ايضاً لذلك ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ بالسّجدة له.

الاستفهام للانكار كأنّهم انكروا الايتمار بأمره لاالسّجدة للرّحمن و لذلك لم‌يقولوا: انسجد الرّحمن.

﴿وَزَادَهُمْ﴾ امرك او ذكر الرّحمن او ذكر سجدة الرّحمن

﴿نُفُورًا﴾ منك او من أمرك او من الرّحمن او من سجدته ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ جملة انشائيّة منقطعة عن سابقها والسّماء اعمّ من هذه السّماء المشهودة وعوالم الارواح وسماواتها، والبرج بمعنى الرّكن والحصن والبروج الاثنا عشر المشهورة الموهومة فى الفلك الاطلس المعيّنة بالاشكال الموهومة من كواكب الفلك الثّامن.

ويجوز ان يراد بالبروج الكواكب السّيّارة او الكواكب الكبار المضيئة سيّارة كانت ام ثابتة او مطلق الكواكب فانّ كلاًّ منها حصنٌ او مثل حصنٍ او هى اركان السّماء.

او ان يراد اللّطائف النّبويّة والولويّة المحصور كلّيّاتها فى اثنتى عشرة المنتهى جزئيّاتها الى حدّ المحدودة بحسب الامّهات الى مائة واربعةٍ وعشرين الفاً، او مائة وعشرين الفاً، او مائة الفٍ.

و ان يراد الانبياء والاولياء عليهم السلام فانّهم بتعلّقهم بابدانهم الارضيّة اركان الارض وبتجرّدهم الذّاتىّ عن ارض الطّبع اركان السّماء، وان يراد الجهات الفاعليّة المحيية والمميتة والمفيضة للارزاق والمفيضة للعلوم المعبّر عنها باسرافيل وعزرائيل وميكائيل وجبرائيل.

و لمّا كان جميع الخيرات المنتشرة فى العوالم منوطة بالبروج باىّ معنى كانت مدح نفسه فى هذا الجعل بكثرة البركات ﴿وَ جَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا﴾ وقرئ سرجاً وعلى قراءة الافراد كان المراد به الشّمس وعلى قراءة الجمع كان المراد جملة الكواكب المضيئة بانفسها.

﴿وَ قَمَرًا مُّنِيرًا﴾ والمناسب لقراءة الافراد ان يكون البروج هى الكواكب

الانبياء واولياء عليهم السلام هم اركان الارض

المضيئة بذواتها.

والمراد بحسب التّأويل من السّراج لطيفة الولاية فانّها المضيئة بذاتها ومن القمر لطيفة النّبوّة والرّسالة فانّها كاسبة للنّور من الولاية.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ﴾ لم‌يقل وتبارك الّذى جعل اللّيل ولاالّذى جعل اللّيل حتّى يكون تبارك مقدّراً لماذكرنا من انّ جملة خيرات العوالم منوطة بالبروج بخلاف تعاقب اللّيل والنّهار فانّهما وان كانا موجبين لخيرات العالم لكنّهما التان لبروز خيرات البروج فى العالم فكأنّه قال: وهو الّذى جعل اللّيل.

﴿وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ لبروز بركات البروج يعنى جعل كلاًّ منهما بدلاً من الآخر حتّى انّ من فاته امر فى احدهما قضاة فى الآخر، او جعل كلاًّ منهما عقيب الآخر او مخالفاً للآخر فى كيفيّة الضّوء و الظّلمة و البرد والحرّ.

﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ يعنى انّهما نعمتان عظيمتان للانسان لانّ جميع مصالح معاشه بل جميع مصالح معاده و معاشه بتعاقبهما اذا عمّم اللّيل والنّهار لجميع معانيهما التّنزيليّة والتّأويليّة، لكنّهما نعمتان عظيمتان لمن اراد الآخرة مبتدياً كان و مقلّداً.

و هو الّذى اراد ان يذّكّر او محقّقاً ومنتهياً و هو الّذى اراد الشّكور فانّ الشّكور عبارة عن رؤية الانعام فى النّعمة والمنعم فى الانعام و يلزمها صرف النّعمة لماخلقت له وليس الاّ فى مقام التّحقيق والخروج عن التّقليد وهذا بمنزلة قوله تعالى: لمن كان له قلب اشارةً الى مقام التّحقيق او القى السّمع وهو شهيد اشارةً الى مقام التّقليد.

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾ جملة مع مابعدها معطوفة على قوله هو الّذى مرجع البحرين او هو الّذى خلق من الماء بشراً او على قوله كان الكافر على ربّه ظهيراً او على قوله الّذى خلق السّماوات والارض ومابينهما الرّحمن او على تبارك الّذى جعل فى السّماء بروجاً او على هو الّذى جعل اللّيل والنّهار خلفةً.

﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ صفة لعباد الرّحمن وخبره قوله اولئك يجزون الغرفة او خبر له اراد تعالى ان يبيّن علائم مقام العبديّة حتّى لايغترّ السّالكون الى الله بما يلوح من التّجليّات الغيبيّة ولايظنّوا انّهم وصلوا، ومن الانانيّة و اسر النّفس خرجوا، ومقام العبديّة والحضور حصّلوا.

فانّ مقام العبديّة لايحصل للّسالك الاّ اذا خرج من انانيّته ولم يرفعلا وصفة الاّ من الله تعالى، وادنى مراتب هذا المقام بحسب الظّهور فى المظاهر ان ينزّل السّكينة الالهيّة على السّالك و يشاهدها لابنحو شهود المباين المباين و لابنحو شهود المحلّ للحالّ المنبئ عن الحلول و لابنحو شهود المتّحد للمتّحد المنبئ عن الاتّحاد.

فانّ شيئاً منها ليس من مقام العبديّة بل مقام العبديّة ان يصير السّكينة مالكة ومحيطةً بحيث لايبقى للعبد فعل وصفة و ذات وارادة و شعور، لكن مقام الحلول و الاتّحاد انموذج عن مقام العبديّة ومخبرعنه.

و فى هذا المقام يكون العبد مثل من وقع على رأسه طير عزيز بل اعزّ من ذاته لايريد ان يطير عنه بل يرى فناء ذاته فى طيرانه فانّه يبالغ ويجتهد فى ان لايطير عن رأسه فيجتهد فى خفض صوته وسكون أعضائه فلا يحرّك يده ولارجله ولاسائر اعضائه اذا اضطرّ الى تحريكها الا بتأنٍّ ورفقٍ.

و ان اراد غیره ان یرفع صوته او یتحرّك اعضاؤه یلتمس عنده و یسأله ان لا یـرفع

و لا یحرّك اعضاءه عنده فلا یمشی صاحبوا السّکینة الاّکما یمشی صاحب الطّیر.

﴿وَ إِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا سَلَـٰمًا﴾ یـعنی بـجهلهم

لا یعارضونهم بمثل جهلهم فانّ الجاهل لا یخاطب من حیث الجهل الاّ بما لیس فیه رضی الله و

قَالُوا ألیناً بهم سَلَـٰمًا لئلاّ یظهر منهم ماینا فی حضورهم و مایکرهه الحاضر علیهم.

﴿وَ ٱلَّذِینَ یَبِیتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَ قِیَـٰمًا﴾ یـعنی انّ لذّة

خضوعهم و تذلّلهم و مناجاتهم تغلب علی لذّة النّوم و الرّاحة فلا ینامون الاّ قدر مـالابدّ مـنه

و یتذلّلون لربّهم بالسّجود و القیام و یناجونه.

وَالّذین یرون الدّنیا و مشاغلها مانعة من حضورهم و عذاباً لانفسهم و یرون انّ الدّنیا

الشّاغلة لیست الاّ من جانب جهنّم فیستعیذون بربّهم .

﴿وَ ٱلَّذِینَ یَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّ عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ الغرام الولوع و الشّرّ الدّائم و الهلاك و العذاب.

﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقَامًا وَ ٱلَّذِینَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ یُسْرِفُوا وَ لَمْ یَقْتُرُوا﴾ یعنی انّ عـباد الرّحـمن عـلامتهم التّـوجّه الی الکـثرات

و العدالة بینها بان ینظروا الی مالهم من الاموال الدّنیویّة العرضیّة و القوی و الحشمة و الاعضاء

و المدارك ینفقوا ماحقّه ان ینفق منها و یمسکوا ماحقّه ان یمسك، و یعطوا من حقّه ان یعطی،

و یمنعوا من حقّه ان یمنع.

فانّ التّقیید بعدم الاسراف و الاقتار یفید هذا المعنی لانّ الاعـطاء لغـیر المسـتحقّ

اسراف و ان کان من فضول المال و منع المستحقّ اقتار و ان کان من اصل المال.

و من هذا العلامة يستفاد وجه اضافة العباد الى الرّحمن دون سائر فانّه تعالى برحمته الرّحمانيّة يعطى كلاًّ بقدر استعداده.

﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾عدلاً او معتدلاً او وسطاً ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ لاقالاً ولاحالاً فانّ من نزل السّكينة بحيث تصير مالكة له لم يبق له جهة دعاء غير الله.

﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ فى العالم الصّغير ولا فى العالم الكبير بخلاف من لم يصر عبداً للرّحمن سواء صار عبداً للشّيطان او لغير الرّحمن من اسمائه تعالى فانّه يقتل النّفس المحترمة من القوى الانسانيّة او القوى الحيوانيّة فى طريق الانسانيّة بغير الحقّ سواء قتل نفساً فى الخارج او لم يقتل.

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾اى بأمر الحقّ او بسبب امرٍ حقٍّ من قصاص وحدّ او بالحقّ المطلق بان يكون يده يد الحقّ.

اعلم، انّه مالم يصر يد القاتل يد الحقّ او مسخّرة لامر الحقّ و مالم يصر لسان الآمر بالقتل لسان الحقّ او مسخّراً لامره لايجوز القتل ولاالامر بالقتل سواء كان ذلك فى قصاص وحدٍّ ام غير ذلك، ولذلك لايجوز القتل واجراء الحدود الاّ من حاكم الهيٍّ او من يأمره ذلك الحاكم بحيث يكون المأمور مسخّراً لامر الحاكم ومتحرّكاً بأمره، وامّا من لم يكن كذلك فلايجوز له القتل و لاالامر بالقتل.

كما قيل:

آنكه جان بدهد اگر بكشد رواست

نائب است و دست او دست خداست

وعلى هذا كان المعنى لايقتلون النّفس الّتى حرّم الله قتلها الاّ بالله اى بيدالله ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ لايتّبعون الشّهوات.

اعلم، انّ ذنوب الانسان منحصرة فى مقتضيات الشّيطنة والقوّة الغضبيّة والشّهويّة وقداشار تعالى الى امّهات مقتضيات الثّلاث فانّ دعاء غير الله من مقتضيات الشّيطنة بل نقول مقتضيات الشّيطنة منحصرة فى دعاء غير الله لانّ كلّ اعجابٍ بالنّفس وكلّ مراياة ومجادلة وغيرها من مقتضيات الشّيطنة دعاء لغير الله.

وقتل النّفس من مقتضيات الغضب، والزّنا من مقتضيات الشّهوة، وعلى تعميم قتل النّفس وتعميم الزّنا جملة مقتضياتهما منحصرة فيهما.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ المذكورة من مقتضيات الثّلاث ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ عقوبة، او الاثام كما فى الخبر وادٍ فى جهنّم او هو من اثمه الله فى كذاكمنع و نصر عدّه عليه اثماً.

﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ﴾ بدل من قوله يلق اثاماً او مستأنف جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ومعنى مضاعفة العذاب انّه يضاعف عذابه فى القيامة بالنّسبة الى عذابه وحدّه فى الدّنيا او يضاعف فى القيامة بالنّسبة الى عذابه فى البرزخ يعذّب بعذاب من نفسه بظهور صورة العصيان عليه واذا وصل الى القيامة يعذّب بعذاب من نفسه وبعذاب هو جزاء عمله.

و بعبارة اخرى يعذّب فى البرزخ بتجسّم عمله وفى القيامة به و بجزائه وليس المراد انّه يضاعف له العذاب بالنّسبة الى استحقاقه حتّى ينافى عدله.

﴿ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ﴾ اى فى العذاب او فى الاثام ﴿مُهَانًا﴾ التّقييد به

للاشعار بانّ بعضاً يعذّب لاعلى وجه الاهانة او هو تأكيد وبيان ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ بالتّوبة العامّة النّبويّة على يد نبيٍّ ﷺ او خليفة نبيٍّ ﷺ ﴿وَ ءَامَنَ﴾ اى قبل احكام الاسلام بالبيعة العامّة.

﴿وَ عَمِلَ عَمَلاً صَـٰلِحًا﴾ بالتّوبة الخاصّة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة والبيعة الخاصة الولويّة فانّه لاصلاح لعمل الاّ بالولاية الحاصلة بالبيعة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة، او التّوبة كناية عن الاسلام المشتمل على التّوبة والبيعة العامّة، وامن كناية عن البيعة الخاصّة الّتى بها يحصل الايمان الخاصّ.

والعمل الصّالح عبارة عن العمل بما اخذ عليه فى ميثاقه الّذى هو المراد بالوفاء بعهد الله، والحاصل انّ لابدّ من اخذ الايمان الخاصّ والبيعة الولويّة فى المستثنى حتّى يصحّ ترتّب تبديل السّيّئات حسناتٍ عليه.

لانّ ذلك ليس الاّ لمن تولّى عليّاًعليه السلام كما مضى مكرّراً تصريحاً وتلويحاً.

﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ﴾ قدمضى منّا مكرّراً انّ كلّ فعل من الانسان يوجب فعليّة لنفسه وكلّ فعليّة اذا لم تكن مسخّرة للعقل كانت مسخّرة للشّيطان والنّفس، وكلّ فعليّة مسخّرة للشّيطان كانت سيّئة النّفس.

و اذا تاب الانسان ودخل تحت حكم العقل بواسطة ولىّ الامر يصير جميع فعليّاته مسخّرة تحت العقل وكلّ فعليّة مسخّرة تحت العقل تكون حسنة النّفس.

وهذا هو معنى تبديل السّيّئات حسناتٍ، كما انّ محو السّيّئات و تكفيرها و غفرانها عبارة عن ازالة حدودها بلا تعمّلٍ او بتعمّلٍ وستر حدودها.

فالتّائب على يد علىّعليه السلام ان كان لنفسه فعليّة مسخّرة للشّيطان تبدّل تلك الفعليّة

بمعنی ان تجعل تلك الفعليّة مسخّرة للرّحمن، وان كان لنفسه نقائص وحدود تزال تلك الحدود ان كانت يجوز زوالها بتفاوت الزّوال بالتّعمّل وعدمه والاّ تغفر وتستر.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ يعنی يغفر له مالم‌يبدّل ولم‌يزل من الحدود اللاّزمة لوجوده ﴿رَّحِيمًا﴾ يتفضّل عليه برحمته بعد التّبديل والغفران ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا﴾ بالوفاء بعهده الّذی اخذ عليه فی توبته وبيعته.

﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ كما قال انّ الّذين يبايعونك انّما يبايعون الله يدالله فوق ايديهم بطريق الحصر وسرّ ذلك انّ الخلفاء حين التّوبة والبيعة ينسلخون عن غواشی الطّبع وانانيّاتهم ويصيرون الاتٍ لله من غير مداخلة انانيّاتهم فی تلك البيعة فالقابل للتّوبة والاخذ للميثاق حين البيعة هو الله تعالی بتوسّط مظاهره الّذين هم كالآلات لله.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ الزّور الكذب والشّرك بالله تعالی واعياد اليهود والنّصاری ومجلس الغناء ومايعبد من دون‌اللّه و الكلّ مناسب ههنا، والتّحقيق انّ الزّور كلّ عمل او عامل كان منحرفاً عن الطّريق و عن ولاية علیٍّ،ومن صار عبداً للرّحمن لايحبّ بل يبغض الزّور فلا يشهده.

﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟﴾ بمقتضی عبوديّتهم ﴿كِرَاماً﴾ لايرغبون فيه ولايهتكون حرمة صاحبه ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾ التّدوينيّة والتّكوينيّة الموجودة فی الآفاق او الانفس وخصوصاً الآيات العظمی سواء ذكّرهم بشر مثلهم او نبیّ او امام او ملك او الله تعالی فی اليقظة او النّوم.

﴿ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا﴾ لم‌يسقطوا عليها ﴿صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ كاكثر

النّاس الّذين لايتذكّرون من الآيات الاّ جهاتها الدّنيويّة الموافقة لاهويتهم و امالهم وكـانوا صمّاً وعمياناً من جهاتها الاخرويّة.

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ بمقتضى حفظهم لحقوق الكثرات ومن جملتها ارحامهم وذو وانسابهم مستدعين من الله بمقتضى جهتهم الآلهيّة ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ يعنى اجعل لنا قرّة اعين ناشئة من ازواجنا او اجعل بعض ازواجنا وذرّيّاتنا قرّة اعينٍ لنا او اجعل لنا اولاداً متولّدة من ازواجنا و متولّدة من ذرّيّاتنا تكون قرّة اعين لنا، و قرّة العين بمعنى برده كناية عن السّرور او عن قرارها عن الاضطراب.

﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ ولمّا كان كلّ مرتبةٍ اماماً لسابقتها وكان من صار عبداً للرّحمن مرتبته بعد مرتبة التّقوى فانّه مالم يتمّ التّقوى بالفناء التّامّ لايصير السّالك عبداً للرّحمن كما فى قوله يوم نحشر المتّقين الى الرّحمن وفداً استدعوا على وفق مقامهم ان يكونوا اماماً للمتّقين امّا بالّتمكين فى هذا المقام او بالبقاء وعدم زواله.

و فى اخبار عديدةٍ انّ الآية فى اميرالمؤمنينعليه السلام او فى الائمّةعليهم السلام.

و فى رواية عن الصّادقعليه السلام: قدسألوا الله عظيماً ان يجعلهم للمتّقين ائمّة فقيل له كيف هذا يابن رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال: انّما انزل الله واجعل لنا من المتّقين اماماً، وهذا ممّا أسلفنا فى اوّل الكتاب من سعة وجوه القران بقدر سعة مراتب الخلق، وانّ القران لامانع من ان يكون نزوله بقراءاتٍ مختلفةٍ بحسب اختلاف النّاس.

﴿أُوْلَـٰٓـئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾ يعنى الغرفة المعهودة او البناء العالى والجنّة العالية ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ اى بصبرهم او بالبلايا او الطّاعات الّتى صبروا عليها ﴿وَ يُلَقَّوْنَ﴾ من امثالهم من المؤمنين او من الملائكة او مـن الله ﴿فِـيهَا تَـحِيَّةً وَ سَلَـٰمًا﴾ من ذكر الخاصّ بعد العامّ ﴿خَـٰـلِدِينَ فِيهَا﴾ اى فى الغرفة فانّ تمام النّعمة بعدم زوالها.

﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقَامًاقُلْ﴾ يا محمّد ﷺ لهؤلآء الكفّار بـعد اتمام اوصاف عباد الرّحمن وجزائهم ترغيباً لهم فى مثلها.

﴿مَا يَعْبَؤُا﴾ مايعتدّ ﴿بِكُمْ رَبِى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ لله بألسنتكم القالبيّة والحاليّة.

فانّ الكلّ مالم‌يبطلوا الفطرة يدعون الله حالاً وقالاً او مايفعل بعذابكم لو لا دعاؤكم مع الله الهة اخرى، او مايعتدّ بكم لو لا دعاؤه لكم الى الدّين فانّ سنّته جرت بان يدعوا الكلّ الى الدّين، او مايفعل بكم لو لا دعاءه لكم الى الدّين ،او مايعتدّ لو لا عبادتكم له.

﴿ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ الفاء سببيّة اى كـذّبتم الرّسـول ﷺ او الله ﴿فَسَـوْفَ يَكُونُ﴾ تكذيبكم ﴿لِزَامَا م ﴾ لكم اى جزاء تكذيبكم لازماً لكم فى الدّنيا كما فى بدرٍ، او فى الآخرة فانّه يكون عذابها لازماً غير زائلٍ.

فهرستهای پنجگانه

فهرست اعلام

اشخاص

اماکن

پیشوایان معصوم

شاعران

طواغیت

فهرست ترجمه‌ی اخبار


قالَ عَلیّ علیه السلام:
حاسِبُوا قَبْلَ أنْ تُحاسَبُوا
پیش از آنکه پای حساب کشانده‌شوید حسابگر خویش باشید

فهرست اخبار متن

روی انّ عمر اتی بخمسة نفر أخذوا فی الزّنا فامر ان یقال علی کلّ واحد منهم الحدّ، وکان امیرالمؤمنین۷ حاضراً فقال: یا عمر لیس هذا حکمهم. قال: فأقم انت الحدّ علیهم فقدّم واحداً منهم فضرب عنقه، وقدّم الآخر فرجمه، وقدّم الثّالث فضربه الحدّ، وقدّم الرّابع فضربه نصف الحدّ، وقدّم الخامس فعزّره؛ فتحیّر عمر وتعجّب النّاس من فعله!

فقال له عمر: یا اباالحسن خمسة فی قضیّةٍ واحدةٍ اقمت علیهم خمسة حدود ولیس شیءٌ منها یشبه الآخر؟

فقال امیرالمؤمنین‌علیه‌السلام: امّا الاوّل فکان ذمّیّاً فخرج عن ذمّته ولم‌یکن له حدّ الاّ السّیف، وامّا الثّانی فرجل محصن حدّه الرّجم، وامّا الثّالث فغیر محصنٍ حدّه الجلد، و امّا الرّابع

رسول‌الله ﷺ ان اقول له: یا ابه، فکنت اقول: یا رسول‌الله ﷺ فأعرض عنّی مرّةً او ثنتین او ثلاثاً ثمّ اقبل علیّ فقال: یا فاطمة علیهاالسلام انّها لم تنزل فیك و لافی اهلك و لافی نسلك، انت منّی و انا منك، انّما نزلت فی اهل الجفاء، و الغلظة من قریش من اصحاب البزخ و الکبر، قولی: یا ابه؛ فانّها احیی للقلب و ارضی للرّبّ. ۷۲۰

علی ماروی عن مولانا امیرالمؤمنین علیه‌السلام کانوا یعبدون شجر الصّنوبر، و کان لهم اثنتا عشرة قریة علی نهرٍ یقال له الرّسّ و سمّوا قراهم بأسماء الشّهور الفرسیّة وکان فی کلّ شهرٍ عید لهم فی قریة من قراهم. و أخذوا أسماء الشّهور من أسماء تلك القری أخذوا لکلّ شهرٍ اسم القریة الّتی کان فی ذلك الشّهر عید تلك القریة، وکان فی کلّ قریةٍ شجرة یعبدونها ویجتمعون عندها فی موسم العید، وکان الشّیطان یحرّك تلك الشّجرة بعد الاجتماع عندها و عبادتها ویتکلّم معهم ویصیح من ساقها قدرضیت عنکم عبادی فطیبوا نفساً. و اذا کان عید قریتهم الکبیرة اجتمعوا عند الشّجرة العظیمة الّتی فیها اکثر ممّا اجتمعوا فی سائر القری وذبحوا القرابین اکثر ممّا ذبحوا فی سائر القری وکان الشّیطان یتکلّم من جوف تلك الشّجرة کلاماً جمهوریّاً و یمنّیهم اکثر من السّابق.

فلمّا تمادوا فی ذلك ارسل الله تعالی الیهم نبیّاً من ولد یهود ابن یعقوب فمکث یدعوهم الی التّوحید زماناً طویلاً فلمّا رأی تمادیهم فی الطّغیان دعا الله ان ایبس اشجارهم فیبست فلمّا رأوا أشجارهم قدیبست صاروا فرقتین؛ فرقة قالوا سحر هذا الهتکم، وفرقة قالوا غضب الهتکم حین رأت هذا الرّجل یصرف وجوه النّاس عنها ولم تغضبوا لها، واجمعوا علی ان یدفنوه فی نهر الرّسّ تحت الشّجرة الکبیرة ودفنوه حیّاً تحت نهر الرّسّ، فسمّاهم الله اصحاب الرّسّ لکونهم اصحاب القری الواقعة علی نهر الرّسّ او لدفنهم نبیّهم حیّاً. فغضب الله فأرسل علیهم ریحاً شدیدة الحمرة و صارت الارض من تحتهم حجر کبریت تتوقّد و اظلّتهم سحابة سوداء فألقت علیهم لالقبّة حمراً یلتهب فذابت ابدانهم کما یذوب الرّصاص فی النّار. .. ۷۴۵


قالَ علىٌّ عليه السلام:
أشجعُ النّاسِ مَنْ غَلَبَ هَواهُ
شجاع‌ترین مردم کسی استکه بر هوای خویش غالب آید.

فهرست ابیات

مـــــی‌نکردی او دعـــا بــــر اصــــفیا	مـــــی‌بکردی او خــــبیثان را دعـــــا۷۳۸
مـــــر ورا گــــفتند کــاین مــعهود نــیست	دعــوت اهــل ضــلالت جـود نـیست۷۳۸
گــــفت نــــیکویی از ایــــنها دیــــده‌ام	مــن دعــاشان زیـن سـبب بگـزیده‌ام۷۳۸
چــون سـبب ســاز صــلاح مــن شــدند	پس دعاشان بـر مـن است ای هـوشمند۷۳۸
ای هـــــواهـــــای تـــــو خـــــداانگــــیز	زیـــن خــداهــای تــو خــدا بــیزار۷۴۹
ســــایه‌ی یـــــزدان بـــود بـــنده‌ی خـــدا	مــردهٔ ایــن عــالم و زنــده‌ی خــدا۷۵۱
کـــیف مـــدّالظـــلل نــقش اولیــاست	کــاو دلیــل نــور خــورشید خداست۷۵۱
دامــــن او گـــیر زوتـــر بـــی گــمان	تـــا رهـــی از افت اخـــر زمـان۷۵۱
انـــدرین وادی مـــرو بـــی ایـــن دلیـــل	لاحبّ الآفـــلین گـــو چــون خـلیل۷۵۱
آنکــه جــان بــدهد اگــر بکشــد رواست	نــائب است و دست او دست خـداست۷۷۰

فهرست منابع

۳۲۸۳۸۰۰

متن عربی

تفسیر شریف

بیان السّعادة فی مقامات العبادة

تألیف

عارف شهیر

جناب حاج سلطان محمّدگنابادی ملقّب به سلطانعلیشاه

طاب ثراه

(٢٦) سُورَةُ ٱلشُّعَرَاءِ

مكّيّة كُلّها غير قوله: و الشّعراء يتّبعهم الغاؤون (الى آخر السّورة) و هي مأتان و سبع و عشرون أية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(طسٓمٓ) قُرىء باظهار نون السين و هو الاصل و قرىء باخفائها بخلاف الاصل لانّ سكونها عرضيّة لا اصلية.

(تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ) قد مضى في اوّل البقرة و في غيرها بيان وافٍ لفواتح السّور.

في معنى باخع النّفس

(لَعَلَّكَ) يا محمّد ﷺ (بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ) بخع نفسهُ قتلها غمّاً (أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ) بالله او برسالتك او بولاية علي عليه السلام و لاينبغي إن تغتمّ لذلك فانّه ليس خارجاً عن ارادتنا و مشيّتنا؛ لانّا (إِن نَّشَأْ) ايمانهم (نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً) من أياتنا الغيبيّة حتّى تسخّرهم تلك الاية و تجبرهم على الايمان المذكور.

(فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ) اى صاروا خاضعين لله او لك لاجل الاية او خاضعين للاية نفسها، و جمع الخاضعين جمع العقلاء امّا لكون الاعناق كناية عن انفسهم او لاعطاء حكم المضاف اليه للمضاف لصحّة سقوطه.

و هذا تسلية له ﷺ بان ابائهم عن الاسلام بمشيّةٍ و ارادة

من الله فمالك تتحسّر على ما كان بارادته.

(وَ مَا يَأْتِيهِم) جملة حاليّة مبدوّة بمضارع منفيّ بما بتقدير مبتدء على القول بعدم جواز الواو فيها، او من غير تقدير على القول بجواز الاتيان بالواو فيها.

(مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مُحْدَثٍ) مقتض بواسطة كونه جديداً للاقبال عليه.

(إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ فَقَدْ كَذَّبُوا) الفاء لسببيّة ما بعدها لما قبلها، او سببيّة ما قبلها لما بعدها، او لمحض التّعقيب يعنى انّ تكذيبهم للايات صار سبباً للاعراض عنها او اعراضهم عن الذّكر و عدم تدبّرهم فيه صار سبباً لتكذيبها او المعنى كانوا عنه معرضين و بعدالاعراض السّابق كذّبوا بك او بالله او بالقران فى رسالتك او خلافة وصيّك.

(فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَـٰٓؤُا مَا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ) ما موصولة والضّمير عائده و المراد منه القول اوالفعل الّذى كانوا بسببه يستهزؤن او الشّىء الّذى كانوا منه يستهزؤن، او ما مصدرية والضّمير لمااستهزؤا منه من الرّسول ﷺ او القران او الله او علىّ عليه السلام و ولايته.

و فى اخبار عديدة انّ المراد بالاية فى هذه‌الاية الصّحيحة الّتى يسمعها الفتاة فى خدرها للاعلام بخروج القائم عجّل‌الله فرجه

او رکود الشّمس و خروج صدر و وجه فی عین الشّمس ایة لخروج القائم عجّل‌الله فرجه.

وفی بعض الاخبار انّ هذه الایة نزلت فی القائم عجّل‌الله فرجه.

(أَوَ لَمْ يَرَوْاْ) ای هؤلاءالمنکرون للرّسالة او الولایة.

(إِلَى ٱلْأَرْضِ)ارض العالم الکبیر او العالم الصّغیر(كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ) من‌المعدن و النّبات والحیوان والانسان.

(كَرِيمٍ) صفة بیانیّة فانّ کلّاً منها من جهة یکون کریماً علی من احتاج الیه، او تقیید للزّوج و کون الانسان و الحیوان و بعض النّبات زوجاً واضح او المراد بالزّوج ما اقترن بغیره.

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً)دالّة علی عدم اهمالنا الانسان الّذی هو ارض و سماء بدون اخراج الفعلیّات الّتی تکون فیه بالقوّة لانّا هیّأنا الاسباب الطّبیعیّة لاخراج الموالید الّتی تکون فی الارض بالقوّة و تلک‌الاسباب کالکواکب العلویّة و الافلاک المتحرّکة و حرکاتها الدّوریّة و انضباط حرکاتها الّتی بها ینوط تولید کلّ ما بالقوّة فی‌الارض و تسهیل الارض لذلك و حرّالصّیف و برد الشّتاء و اختلاف اللّیالی و الایّام و تهییج السّحاب و امطار المطر فی وقت و بقدر ینتفع به فلانهمل الانسان بدون تهیّة اسباب انبات ما فیه

بالقوّة، و من جملة اسبابه ارسال الرّسل و انـزال الكـتب و نـصب الاوصياء والخلفاء لهم.

(وَ)لكن(مَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ)اى مذعنين بـانّ الانبات منّا او ما كان اكثرهم يؤمنون بالله او بـرسالتك او بـولاية علىعليه السلام او ما كانوا مؤمنين فى علم الله فى الذّرّ.

(وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ)الغالب فلا تكترث بايمانهم و عدمه (ٱلرَّحِيمُ) برحمته يمهلهم لعلّهم يتوبون.

(وَ إِذْ نَادَىٰ)معطوف على مـحذوف مـتعلّق بـالعزيز او الرّحيم اى هوالعزيز الرّحيم اليوم و اذ نـادى(رَبُّكَ مُـوسَىٰٓ) او متعلّق بقال ربّ انّى اخـاف او مـتعلّق بـمحذوف مـعطوف عـلى محذوف او معطوف على سـابقه بـاعتبار المـعنى، فـانّ السّـابق فى معنى اذ كر ذلك فكأنّه قال: فاذ كر ذلك، ذ كر نـبأ اذ نـادى ربّك موسىعليه السلام.

حكاية موسى و هارون عليهما السلام

(أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ)وصفهم بالظّلم ليكون كالعلّة للامر (قَوْمَ فِرْعَوْنَ) بدل منه لتعيينهم (أَلَا يَتَّقُونَ) جملة حالية بتقدير القول يعنى حالكونهم يقال لهم الاّيتقون او مستأنفة من الله لانشاء ذمّهم.

و قرىء بالخطاب فيكون بتقدير القول و المعنى ائت القوم الظّالمين حالكونك قائلاً لهم الاتتقون.

(قَالَ)موسی عليه السلام: (رَبِّ إِنِّيَ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدْرِي) عن معاشرتهم و تحمّل المعاشرة مع من لایکون سنخاً لی.

(وَلاَ يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ) للرّسالة؛ ظاهر هذا الکلام ان یکون هذا منه استعفاء من‌الرّسالة کانّه قال: الرّسالة منك تستلزم سعةالصّدر لانّ الرّسول منك لابدّ له من‌المعاشرة مع الادانی و الاعالی و مشاهدة ما لایرضاه العقل منهم.

و لابدّله من التّکلّم و المجادلة مع فصحائهم و مناطیقهم ولو کان بلسانه لکنّه لایغلب بل یغلب و هو مناف لرسالتك؛ ولابدّ ان یکون الرّسول منك رغب فیه و فی معاشرته کلّ احدٍ و انا قتلت منهم رجلاً فیطالبونی بدمه و لایرغبون فیّ و هارون سالم من ذلك کلّه فانّ له سعة صدر و لساناً طلیقاً ولیس بینه و بینهم دمٌ فارسل الیه لرسالتك.

او المعنی ارسل الی هارون لیکون معاوناً لی حتّی یکون موافقاً لسائر الایات و علی المعنی الاول کان موسی عليه السلام استعفی من الرّسالة و ابی‌الله الاّ رسالته و بعد ما ابی‌الله الاّ رسالته استدعی معاونة هارون.

(وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ) بعد ما

استعفى و عيّن هارون للرّسالة ذكر وجهاً اخر لاستعفائه.

(قَالَ كَلَّا)ردع له عن استعفائه و كانّه كان بعد قوله كلاّ سوال موسى علیه السلام معاونة هارون و اجابته تعالى لسؤاله كأنّه قال فاجعل لى وزيراً من اهلى هارون اخى اشدد به ازرى و اشركه فى امرى كى نسبّحك كثيراً و نذكّرك كثيراً فقال تعالى: اجبت مسؤلك.

(فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا)التّسع او باحكامنا و شرائعنا ولاتخافا (إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) لم يثن الرّسول لاستواء المذكّر و المؤنث و الواحد والاكثر فى فعول بمعنى الفاعل و فعيل بمعنى المفعول.

او للاشارة الى انّه رسالة واحدة والرّسول واحد منهما والاخر معين له؛ (أَنْ أَرْسِلْ) ان تفسيريّة او مصدريّة بتقدير الباء (مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) يعنى اطلق من الحبس من كان محبوساً بامرك و من الاستبعاد من تستعبدونه.

(قَالَ) مستأنف جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: فما فعلوا بعد ذلك؟ ـ فقال: ذهب موسى علیه السلام الى مصر و اجتمع مع هارون و جائا معاً الى فرعون فقالا له: انّا رسول ربّ العالمين ارسلنا اليك ان تخلّى عن بنى اسرائيل و ترسلهم معنا الى الشّام.

قال فرعون فى جوابهما خطاباً لموسى علیه السلام الّذى كان فى حضنه مدّة مديدة: (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا) حملاً له

على الاقرار حتّى يخجل عن تلك الدّعوى و يرتدع عن ذلك الادّعاء.

(وَلَبِثْتَ فِينا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ)و لم تكن تختلف الى عالم او حكيم و ما كنت ترتاض بالمجاهدات و العبادات و الريّاضات فكيف صرت رسولاً من الله الّذى لايراه احدٌ؟! ولا يعلم به عالم؟! و كنت ما دمت فينا سفّاكاً و قتلت نفساً محرّمة فانّ قوله(وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ)كناية عن ذلك.

(وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ)بنعمتى يعنى كنت فى ذلك القتل بسبب القتل و انت فى هذا اليوم بسبب عدم حفظ حرمتى و حقّ خدمتى من‌الكافرين بنعمتى فكيف تكون رسولاً ممّن ادّعيت الرّسالة و ادّعيت انّه خالق السموات والارضين و لمّا رأى انّ قتل النّفس ممّالا يمكنه انكاره اقرّ به.

و(قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا) ولكن لم اكن بكافر كما نسبت الىّ لانّى كنت موحّداً لله و عارفاً لنعمه و شاكراً له و قتلته باستحقاقه(وَأَنَا مِنَ ٱلضَّآلِّينَ)اى ضللت طريقى الّتى كنت اريد السّلوك عليها فوقعت عليه او كنت ضالاً عن طريق التّوحيد طالباً له، او كنت ضالاً عن طريق حسن التّدبير مع الاعداء و هو المداراة معهم.

(فَفَرَرْتُ مِنكُمْ)بسبب ضلالى عن‌طريق المداراة وقتلى

قبطی (لَمَّا خِفْتُكُمْ)علی نفسی لما وصل الیّ انّ الملاء یأتمرون بی.

(فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا)من غیر کسب لی و معاناة فی طلبه (وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ) بمحض فضله من غیر عمل لی فیه، و لمّا ذکر فرعون بعد ادّعاء موسیعليه السلام الرّسالة من الله ثلاثة اشیاء مانعة من رسالته بترتیب الاضعف فالاقوی.

اجاب موسیعليه السلام من الثلاثة بترتیب الاقوی فالاضعف:

(١). فانّه ذکر اوّلاً کونه مربیً لهم والمربّی لایجوز ان یکون حاکماً علی المربّی.

(٢). و ثانیاً لبثه فیهم مدّةً مدیدةً من عمره من غیر کسب للکمالات الانسانیة المقتضیة للرسالة المستلزمة لجمیع الکمالات الکسبیة باعتقادهم.

(٣). و ثالثاً قتل النّفس المحترمة المنافی للرسالة من الله من حیث الظّاهر و الباطن فانّ الرّسول من الله ینبغی ان یکون بحیث یرغب فیه کلّ احد و السّفّاك لا یرغب فیه اکثرالنّاس.

و ینبغی ان یکون مطهراً من جمیع ما یکون شیناً علیالانسان حتّی یستحقّ القرب من الله و الرّسالة منه بحسب الباطن؛ فاجاب اوّلاً بالاعتراف بالفعلة و نفی الکفر المنافی للرّسالة فی تلك الفعلة و اثبات الضّلالة الّتی لا تنافی طلب الکمالات

الانسانيّة و وصول الرّسالة؛ بل تكون من مقدّمات طلب الكمالات؛ فانّه مالم يعلم الانسان ضلاله لم يطلب هداه.

و ثانياً عن ثانى ايراداته بانّ الرسالة موهبة من الله و ليست بكسب الانسان حتّى ينافيها لبثى فيكم من غير كسبى للعلوم العقلية والشّرعية.

اجاب ثالثاً: عن اوّل ايراداته بانّ تربيتك لم تكن احساناً الىّ بل كانت اسائة لى لانّك ما ربّيتنى بتجشم من نفسك بل باستعباد قومى فى خدمتى او باستعباد قومى فى تحصيل الخدم والحشم والدّولة.

او باستعباد قومى و قتل اولادهم حتّى خافوا منك و خافت امّى فالقتنى فى النّيل فوقعت فى يدك او باستعباد قومى حتّى استعبدت امّى لخدمتى او اجاب بالاقرار بكون التّربية نعمة ثمّ استدرك توهّم كونهااحساناً بكونها اسائة.

فقال (وَ تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهاٰ عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرآئِيلَ) فجعل الجملة استفهاميّة بحذف همزة الاستفهام او خبريّة بدون تقدير الاستفهام و تلك اشارة الى‌التّربية او الى عبادة بنى اسرائيل او الى تعبيدهم و نعمة خبر تلك و ان عبّدت بدلاً من تلك او خبراً بعد خبر او خبراً ابتدائاً او خبراً لمبتدأ محذوف او مبتدئاً لخبر محذوف؛ و يكون الجملة حينئذ مستأنفة جواباً لسؤال

جواب موسى عليه السلام عمّاكان يمنّ عليه فرعون

مقدّر.

كانّه قيل: ما هذه النّعمة الّتى انكرتها؟ -او ایّ شیءٍ یمنّ بها علیك حتّى انكرته عليه؟

فقال: هى ان عبدت بنى اسرائيل او ان عبّدت بنى اسرائيل تمنّه علىّ سواء كانت فى معنى الارستدراك و فى معنى لكن هى ان عبّدت بنى اسرائيل او لم تكن.

(قَالَ فِرْعَوْنُ) بعد ما سمع جوابه عن ايراداته للمجادلة معه بالسّؤال عن اجزاء ادّعائه حتّى يعجزه عن بيان قوله و ادّعائه.

(وَ مَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ) الّذى ادّعيت الرّسالة منه، سأله بما هو عن حدّه و حقيقته و لمّا لم يكن لله تعالى مهيّة مركّبة حتّى يكون له جنس و فصل عدل موسى عليه السلام عن جواب ما هو الى الجواب بالاعراض الّذى هو جوابٌ لایّ شیء هو.

و(قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَآ) بدّل الاجمال الّذى فى العالمين بالتّفصيل (إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ) من اهل الايقان شرط للتّهييج و التّعيير يعنى انتم اهل النّفوس الظّانة والشّاكّة و لستم اهل العقول الموقنة.

)(قَالَ) فرعون بعد ما رأى عدم مطابقة الجواب للسّؤال تزييفاً لرأى موسى عليه السلام و تسفيهاً لعقله(لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ) قوله حيث لايعلم طريقة المحاجّة و يدّعى دعوى

عظیمة و یرید التّفوق و الرّیاسة علی اهل العالم و لمّا رأی موسیعليه‌السلام استهزائه به و بجوابه و احتمل ان ینکر مخلوقیّة السّموات والارض و مربوبیّتهما و یقول انّهما قدیمان غنیّان عدل عنه.

و (قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ)و لمّا رأی فرعون اصراره علی جواب ما هو بالاعراض الاضافیة الّتی هی اضعف الاعراض.

(قَالَ) خطاباً لقومه مستهزئاً بموسیعليه‌السلام: (إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ)لانّه لا یتنبّه بالتّنبیه و لا یرتدع عن غیّه بالرّدع و یصرّ علی جهله.

(قَالَ)مصراً علی ما اجاب به معرّضاً بعدم تنبّههم بالتّنبیه(رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ)صرّح بسفاهتهم بعدما صرّح فرعون بجنونه و مقصوده انالله الّذی تسأل عنه بما هو لاحدّ له حتّی یجاب بما یطابق السّؤال بل لایمکن تعریفه الاّ باضافاته الّتی هی مدرکة لنا و اصرارکم علی مطالبة جواب ماهو لعدم تعقّلکم من الله ما یلیق بجنابه و لمّا رأی فرعون اصراره علی جوابه الغیر المطابق و عدم ارتداعه بالکنایة والتّصریح.

(قَالَ)تهدیداً له (لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى

لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ) قيل هدّده بأسوء العقوبة لانّه كان له هوّة عميقة لايسجن فيها احدٌالاّ يموت فيها، و لمّا رأى موسى عليه السلام تهديده.

(قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ)دالّ على صدقي في دعواي و توسّل بامارات صدق دعواه.

(قَالَ) فرعون (فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ وَ نَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّاظِرِينَ) و لمّا كان السّحر شائعاً في زمانه و كان يظهر من السّحرة امثال هذه كثيراً.

(قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) و لمّا لم يكن السّحر شيناً و عيباً في زمانه لم يكتف به وقال:(يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ)حتّى ينزجروا منه ولايرغبوا فيه و بعد ما اظهر ما ينزجرون منه.

قال:(فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) شاورهم في امره استمالة لقلوبهم (قَالُوٓاْ أَرْجِهْ)قدمضى في سورة الاعراف وجوه القرائة في ارجه.

(وَ أَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ وَ قِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن

كَانُوا هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ قَالُوٓا ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـٰيَـٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ) قد سبق الايات بالفاظها او بمعانيها فی سورة الاعراف و غيرها فلانعيد بيانها.

(وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ) بعد ان مكث فيهم مدّة مديدةً ان اطلب عبادی من فرعون و اخرجهم من مصر.

و(أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ)الی البحر (إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ) يتبعكم فرعون و قومه(فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ إِنَّ

هــٰؤُلآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ وَ إِنَّهُمْ لَنا لَغَآئِظُونَ) لمـثيرون غيظنا.

(وَ إِنَّا لَجَمِيعٌ حـٰذِرُونَ)اى انّا لجماعة من عـاداتـنا من الحزم و الحذر فى الامور و مراعاة العاقبة او المعنى انّا لجماعة من عادتنا الحذر من الاعداء و التّهيؤلهم بالقوّة و السّلاح بما امكن.

وقرء حادرون بالدّال المهملة بمعنى الاقويّاء او المسرعون فى طلب الاعداء او حادّون فى النّظر.

(فَأَخْـرَجْنـٰهُم مِّـن جَـنّـٰتٍ)انـيفة (وَ عُـيُونٍ) غريزة(وَكُنُوزٍ) عظيمة فانّ التّنكير هيهنا للتّفخيم و التّعجيب.

(وَ مَقَامٍ كَرِيم) منازل بهيّة.

(كَذَٰلِكَ) متعلّق باًخرجناهم للتّعجيب يعنى اخرجناهم مـن ضياعهم و عقارهم و جميع اموالهم مثل هذا الاخراج العجيب الّذى خرجوا بالرّغبة منهم راجين العود اليـها و لاجـل زيـادةالتّـعجّيب عطف عليه قوله:(وَ أَوْرَثْنـٰهَا بَنِىٓ إِسْرٰٓءِيلَ)قبل تمام قصّتهم و يجوز ان يكون كذلك خبر مبتدءٍ محذوف جواباً لسؤالٍ مقدّر او متعلّق فعل محذوف كذلك كأنّه قيل: هل امرهم كان كذلك؟!

على سبيل التّعجّب او هل وقع منهم الخروج هكذا؟!

فقال: امرهم كذلك، او وقع الخروج كذلك، او كأنّه قيل: هل بقوا بعد الخروج او هلكوا؟

فقال: هلكوا كذلك.

(فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ)اى تبعوهم و مشوا على عقبهم حين شروق الشّمس او ادركوهم؛ يعنى بابصارهم لابأبدانهم وقت ارتفاع الشّمس. (فَلَمَّا تَرَاءَا ٱلْجَمْعَانِ) اى قربا بحيث يرى كلّ منهماالاخر.

(قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰٓ)فزعاً من فرعون:(إِنَّا لَمُدْرَكُونَ) بالابدان كما ادركونا بالانظار و قالوا: انّا لمدركون تأكيداً في قربهم (قَالَ) موسىعليه‌السلام ردعاً لقومه عن اضطرابهم:(كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي) بالنّصرة و الحفظ فلاتبالوا بقرب فرعون و جنوده.

(سَيَهْدِينِ) الى طريق الخلاص منهم و ينجينى من بأسهم و لمّا وصلوا الى البحر وقفوا متحيّرين.

(فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ) و هو نهر النّيل فضرب البحر (فَانفَلَقَ) فانشقّ البحر اثنى عشر طريقاً بين كلّ طريق و طريق ماء كالجبل مشبّك بحيث يرى كلّ فريق صاحبهم.

(فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ) اى كلّ قطعة من البحر يفرق بها بين طريق و طريق (كَالطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ) كالجبل العظيم و الفرق بالكسر اسم لما انفرق كما انّ الفرق بالفتح مصدر.

(وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْاٰخَرِينَ)اى قرّبنا فى هذا المكان مكان البحر فرعون و قومه و ادخلناالبحر موسىعليه‌السلام و قومه (وَ أَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥ)بان اخرجناهم من البحر سالمين (أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْاٰخَرِينَ) بان اطبقنا البحر عليهم.

(إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَاٰيَةً)دالّة لقومك على المبدء و علمه و قدرته (وَ)لكن (مَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ) او المعنى انّ فى ذلك لاية كانت لقوم موسىعليه‌السلام و ما كان اكثرهم مؤمنين بموسىعليه‌السلام و آله فلاتحزن انت على عدم ايمان قومك بالله او بك؛ فانّهم ماشاهدوا مثل ما شاهدوا وماابتلوا مثل ما ابتلوا.

(وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ)اى على قومك المشركين (نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ) حتّى يعلموا قبح الاشراك و يعلموا انّ ابراهيمعليه‌السلام ما كان مشركاً ولا ينسبوه الى الاشراك ولا ينسبوا اشراكهم اليه ولايدعوا مع اشراكهم ولايةالبيت بانتسابهم الى ابراهيمعليه‌السلام.

(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا) اى لعبادتها(عَاكِفِينَ قَالَ)ابراهيمعليه‌السلام:(هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ)اى قولكم (إِذْ تَدْعُونَ) اى تدعونهم او تدعون شيئاً منهم او غيرهم او تنادون مطلقاً (أَوْ يَنفَعُونَكُمْ)بعبادتها (أَوْ يَضُرُّونَ)بترك عبادتها و فى هذا

الاحتجاج دليل على انّ من اخذ ديناً لابدّ و ان يكون اخذه من حجّة و برهان او شهود و عيان ولايجوز الاخذ من تقليد كالعميان، و لمّا لم يكن لهم حجّة و برهان التجأوا الى التّوسل بالتّقليد.

و (قَالُوا): ليس ذلك الّذى قلت (بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ قَالَ) ابراهيم عليه السلام (أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ) الّذين توسّلتم بتقليدهم.

(فَإِنَّهُمْ) اتى بضمير العقلاء بلحاظ كونهم معبودين او بضمّ الاباء اليهم و تغليبهم على غير العقلاء.

(عَدُوٌّ لِّىٓ) يستوى فى العدوّ الذّكر و الانثى والواحد والاكثر، (إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ) امّا بتهيّة اسباب المطعوم والمشروب او بالهام طريق تحصيلهما او بتسهيل الابتلاع والشّرب.

(وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) بتسبيب الاسباب الطّبيعية او بدون الاسباب.

(وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى) بعد انقضاء اجلى (ثُمَّ يُحْيِينِ) بنفخة الاحياء او الّذى يميتنى استمراراً ثمّ بعد كلّ موت يحيين و قد سبق فى اوّل البقرة عند قوله تعالى: «وَكُنْتُمْ اَمْوٰاتاً فَاحيٰاكُم[1]»

---

۱. سورة البقرة آية ۲۸

تحقيق تامّ لتكرار الإماتة والاحياء للانسان.

(وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ)عدل عن ارجو للاشعار بانّه غير ناظر فيه الى سبب و عمل و تهيّة حصول للمغفرة من قبله فانّ المتبادر من الرّجاء ان يكون الطمع مسبوقاً باسباب وصول المطموع و من الطّمع ان يكون الرّجاء غير مسبوق بحصول سبب وصوله.

(أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ) يوم الجزاء و لمّا كان الرّاجع الى الكثرات بعد الفناء فى الله شأنه ان يكون متوسّطاً بين الافراط و التّفريط فى النّظر الى الله و فى النّظر الى الكثرات بحيث لا يغلب رؤية الكثرة على رؤية الوحدة ولا رؤية الوحدة على رؤية الكثرة، و كان خطائه فى الخروج عن التّوسّط والميل الى احدهما صحّ من الانبياء عليهم السلام نسبة الخطاء الى انفسهم و التّضرّع على الله و سؤال المغفرة منه و الاستعاذة من عذابه و اظهار الخوف منه فلاحاجة فى الاية الى تجشّم توجيه و تأويل لتصحيح نسبة ابراهيم عليه السلام الخطاء الى نفسه.

و لمّا كان المحبّ حين ذكر اوصاف المحبوب و تصوّر شمائله يشتدّ لوعته و يزداد حرقته و تصوّره له بحيث يكاد يتمثّل او يتمثّل المحبوب عنده التفت عليه السلام من الغيبة الى الحضور فناداه و خاطبه و استدعى منه.

فقال:(رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا)الحكم القضاء النّافذ و

الحکومة بین‌النّاس و الامارة علیهم و الدّقّة فی العلم والعمل و فی کلّ واحد منهما والکلّ مناسب هیهنا والمقصود الرّسالة الکاملة او الحکم الباطنیّ الّذی هو من اثارالولایة.

معنی الصّالحین و الالحاق بهم

(وَ أَلْحِقْنِی بِالصّٰالِحِینَ)بمن کانوا صالحین صلاحاً مطلقاً فانّ الکافر ما لم‌یبطل استعداده لقبول الاسلام صالح بحسب فطرته و استعداده للاسلام و المسلم صالح بحسب استعداده لقبول الایمان و المؤمن صالح للعروج علی درجات الایمان الی الفناء فی‌الله و الفانی صالح للرّجوع و البقاء بالله و الباقی صالح للنّبوّة والنّبیّ صالح للرّسالة؛ و الرّسول صالح لان یکون من اولی العزم و صاحب العزم صالح للخلّة و الامامة بالمعنی الّذی لیس فوقه درجة والامام صالح للخاتمیّة و الجامعیّة بین الکثرة والوحدة کما ینبغی.

فقال علیه السلام: الحقنی دون ادخلنی و اتی بالصّالحین من غیر تقیید للاشارة الی التّمکّن فی الصّلاح المطلق و هو صلاح الصّالح الّذی صار بالفعل من جمیع الجهات و لم‌یبق فیه قوّة و استعداد فلاحاجة الی تأویل فی هذاالدّعاء.

(وَٱجْعَل لِّی لِسَانَ صِدْقٍ فِی ٱلْاٰخِرِینَ) لسان الصّدق یستعمل فی القول الحسن و الثّناء الجمیل والانسان المعبّر عن‌الشّخص فی غیابه و حضوره و قد فسّر هیهنا بکلیهما.

ففی خبر: لسان الصّدق للمرء یجعله‌الله فی‌النّاس خیرٌ له

من‌المال یعنی ذکرٌ خیرٌ و قول حسن و ثناء جمیل خیر مـن المـال یأکله و یورثه[١].

و قد فسّر بمحمّد صلی الله علیه و آله و علی علیه السلام والائمّة من نسلهما علیهم السلام.

(وَٱجْعَلْنِی مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِیمِ وَٱغْفِرْ لِأَبِیٓ)حتّی تهدیه الی الطّریق القویم(إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّینَ) عن‌الطّریق و کان دعاؤه علیه السلام هذا لاحتمال الهدایة له و للوعد الّذی وعده فلمّا تبیّن له انّ فطرته منقطعة و انّه عدوّلله بالذّات والفـطرة تبرّأ منه.

(وَلَا تُخْزِنِی) من الخزی بمعنی الهوان او الخزایة بمعنی الحیاء(یَوْمَ یُبْعَثُونَ یَوْمَ لَا یَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ)فانّ النّسب الاعتباریّة الّتی کانت للانسان تصیر منقطعة فی ذلك الیوم لانقطاع الجسم و اعتباراته (إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِیمٍ)استثناءمفرغ ای لاینفع مال و لابنون احداً الاّ من اتی‌الله بقلب سلیم فانّ السّـلیم القلب ماله و اولاده کماینفعانه فی الدّنیا ینفعانه فی‌الاخرة فـانّهما فتنة من‌الله لعباده فمن امتحنه‌الله تعالی بهذه الفـتنة والامـتحان و خرج منها سلیم القلب صار ممّن امتحن‌الله قلبه للایمان و دخل فی زمرة المؤمنین الممتحن قلوبهم للایمان و لحق بالسّابقین.

ونعم ما قیل:

---

١. الصّافی ج۴ص۴٠ و الکافی ج٢ ص١۵۴ ح١٩

مـال را کـز بـهر دیـن بـاشی حـمول
نـعم مـالٌ صـالحٌ گـفت آن رسـول
چـیست دنـیا از خـدا غـافل شـدن
نـی قـماش و نـقره و فـرزند و زن
آب درکشـتی هـلاک کشـتی است
آب در بـیرون کشـتی پشـتی است

ولذلك منع تعالى من الانفاق فی غیر المحلّ فقال لا تـؤتوا السّفهاء اموالکم الّتی جعل‌الله لکم قیاماً و قد قیل:

منفق و ممسک محل بین به بود
چون محل باشد مؤثّر مـی‌شود
ای بسا امساک کـز انـفاق بـه
مال حقّ را جز به امر حـقّ مـده

و یجوز ان یکون الاستثناء متّصلاً من المال والبنون بتقدیر مضاف ای لا ینفع مال و لا بنون الاّ مال من اتی الله بقلب سلیم و بنوه او متّصلاً من البنین بدون التّقدیر و یجوز آن یکون منقطعاً و سلامة القلب بان یکون القلب سالماً من‌الافات الحادثة من الرّذائل خـالیاً من الرّزائل.

و فی خبر هو القلب الّذی سلم من حبّ‌الدّنیا[1].

---

۱. مجمع البیان ج۸–۷ ص۱۹۴

وفی خبر القلب السّلیم الّذی یلقی ربّه و لیس فیه سواه، قال: و کلّ قلب فیه شرك او شك فهو ساقط[1].

و انّما ارادوا بالزّهد فی الدّنیا لتفرغ قلوبهم للاخرة[2].

وفی خبر: صاحب النّیة الصّادقة صاحب القلب السّلیم لانّ سلامة القلب من هواجس المذکورات تخلّص النّیة لله فی الامور کلّها ثمّ تلا هذه الایة[3].

﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾حال بتقدیر قد او عطف علی جملة یبعثون والاتیان بالماضی للاشعار بتحقّق وقوعه.

﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ و فی اختلاف الفعلین اشارة الی تشریف المتّقین لانّه یقرب الجنّة منهم لاانّهم یساقون الیها و الی توهین الغاوین بانّ الجحیم تبرز لهم و هم یساقون الیها لا انّها تزلف لهم.

﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾لفظة «ما» زائدة او موصولة ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾قائم مقام المفعول علی الاوّل و حال علی الثّانی عن العائد المحذوف او ظرف لغو متعلّق بتعبدون

---

۱. الصّافی ج۴/ص۴۱ و الکافی ج۲/ص۱۶/ح۵

۲. رسول‌الله صلی الله علیه و آله: و قد سئل: مَا اْلقَلْبُ السَّلیمُ -: دینٌ بِلاشكّ وَ هویً وَ عَمَلٌ بِلاسُمْعَةٍ وَ رِیاءٍ مستدرك‌الوسائل ۱/۱۱۳/۱۲۴

۳. مصباح‌الشّریعة ۲۳/۵۳، الصّافی ۴۱/۴ و نورالثّقلین ۴/۵۸/۵۰وح۵۱

والمعنى اينما كنتم تعبدون من دون اذن الله.

(هَلْ يَنصُرُونَكُمْ)بدفع العذاب عنكم او انجائكم من معذّبيكم (أَوْ يَنتَصِرُونَ)او ينتقمون من معذبيكم او يدفعون العذاب من انفسهم بانفسهم او بغيرهم على ان يكون مطاوع نصر.

(فَكُبْكِبُوا فِيهَا)اى اسقط الآلهة على رئوسهم او على وجوههم فى الجحيم(هُمْ وَٱلْغَاوُونَ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ)من بنى أدم و بنى الجانّ فيكون من قبيل ذكر العامّ بعدالخاصّ او من بنى الجانّ فيكون من قبيل عطف المباين.

(أَجْمَعُونَ قَالُوا)اى العابدون (وَهُمْ) اى العابدون او هم والآلهة و اتباع الشّياطين (فِيهَا يَخْتَصِمُونَ تَاللَّهِ إِن كُنَّا)انّه كنّا

(لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ) اى الرّب المضاف الّذى هو علىعليه السلام على ان يكون المراد من اشرك بالولاية.

(وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ)اى الاسلاف الّذين اقتدينابهم، او امثالنا الّذين اغتررنا بهم او الآلهة الّذين خدعونا، او الشّياطين.

(فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ)لانّ كلّ

نسبة و كلّ خلّة تصير منقطعة الاّ النّسبة والخلّة فى‌الله[1]، و لا يشفع الشّفعاء الاّ باذن الله، ولانسبة ولاخلّة ولاجهة آلهيّة لهم حتّى يكون شفيع لهم او صديق او حميم.

روى عن ابى عبدالله عليه السلام انّه قال: والله لنشفعنّ لشيعتنا والله لنشفعنّ لشيعتنا والله لنشفعنّ لشيعتنا حتّى يقول النّاس فمالنا من شافعين و لاصديق حميم (الى قوله) فنكون من‌المؤمنين[2].

(فَلَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً) لو للتمنّى او للشّرط (فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ فِي ذٰلِكَ)فيما قصصناه من قصّة ابراهيم عليه السلام و احتجاجاته، او فى قول المشركين بالله او بالولاية.

(لَآيَةً)لمن تأمّل فيها او لمن انسلخ عن حجاب المادّة و استكشف فى الدّنيا حال المشركين فى‌القيامة ولايكون الاّ لمن قامت قيامته متمكّناً فى القيامة او متلوّناً.

(وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ)قد مضى قبيل هذا هذه‌الكلمة (وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) قد مضى هذه

حكاية النّوح عليه السلام و قومه

---

۱. قال رسول‌الله صلى الله عليه وآله: شَفَاعَتِى لِأُمَّتِى مَنْ اَحَبَّ اَهْلَ‌بَيْتِى (پیامبرخدا صلى الله عليه وآله فرمود: شفاعت من شامل آن کس از امّتم می‌شود که اهل بیت مرا دوست داشته باشد.) کنزالاعمال

۲. مجمع البیان ۸-۷/۱۹۵

قال رسول‌الله صلى الله عليه وآله: لاشْفَعَنَّ يَومَ‌الْقِيامَةِ لِمَنْ كانَ فِى قَلْبِهِ جَناحُ بَعوضَةٍ اِيمانٌ (پیامبرخدا صلى الله عليه وآله فرمود: من در روز قیامت کسی راکه در دلش به اندازه‌ی بال پشّه‌ای ایمان باشد شفاعت خواهم کرد.) کنز العمّال ۳۹۰۴۳

ایضاً.

(كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ)جواب لسؤالٍ مقدّر كأنّه قيل بعد حكاية ابراهيمعليه السلام و قومه: ما فعل قوم نوح المعروف قصّتهم؟

فقال: كذّبت قوم نوح المرسلين، و نسبة تكذيب جميع المرسلين اليهم قد مضى وجهها فی سوره الفرقان.

(إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ) الا للعرض او للتّخصيص (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ) من‌الله (أَمِينٌ) معروف فيكم بالامانة فاقبلوا قولي ولاتنسبونی الی الكذب و الخيانة.

(فَاتَّقُوا ٱللَّهَ)ای اذا عرفتمونی بالامانة فاتّقواالله فی مخالفتی (وَ أَطِيعُونِ)فيما اقول لكم ولا تكذّبونی.

قد مضی مكرراً انّ الانسان فطريّ التّعلّق و انّه ان لم يتعلّق بخليفةالله تعلّق بغيره من مظاهر الشّيطان و اهويّةالنّفس و أمالها و انّ الدّين هو التّعلّق بخليفةالله بالبيعة والاقتداء والطّاعة و انّ من تعلّق بخليفةالله كان ناجياً لامحالة؛ و غيره كائناً من كان، كان داخلاً فی المرجين لامرالله و لذلك كان قول الانبياءعليهم السلام اوّل تبليغهم امر الامّة بالطّاعة لانفسهم.

(وَ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ)ای علی التّبليغ (مِنْ أَجْرٍ) حتّی تتهمونی لذلك و تكذبونی فانّ الامر لو لم يكن آلهيّاً كان نفسانيّاً

والامر النفسانی لایخلو عن مقتضیات النّفس و مشتهیّات الدّنیا.

(إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ) کرّر الامر بالتّقوی والطّاعة للاهتمام به فانّه لا غایة للرّسالة بل لاغایة للانسان الاّ ذلك، و لترتّبه اوّلاً علی معرفة الامانة و هیهنا علی عدم طلب اجرة منهم.

(قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ)و قریء اتّباعك الارذلون کانّهم لم یکذّبوا امانته و استغنائه و عدم طمعه فی اموالهم لکنّهم جعلوا مانع قبول رسالته اتّباع الارذال الدّال علی رذالة المتبوع الدّالة علی عدم شأنیّة الرّسالة و لذلك کانوا ینسبون الانبیاء علیهم السلام الی الجنون و الخبط و مسیس الشّیاطین و امثال ذلك.

(قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ولم تسمّونهم اراذل و لیس حسن عملهم ولاقبحه بیدی و اطّلاعی انّما کان علیَّ ان أخذالبیعة منهم لربّی (إِنْ حِسَابُهُمْ)فی عملهم (إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّي) و لیس حسابهم علیّ حتّی اکون مراقباً لهم فی عملهم (لَوْ تَشْعُرُونَ)ذلك مماانکرتم علیّ اتباعهم، او لو للتّمنّی.

(وَمَا أَنَا بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ) کانّهم عرّضوا بقولهم و اتّبعك الارذلون بان یطردهم عن نفسه حتّی یؤمنوا.

(إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) ولیس شأنی طرد احدٍ او مراقبة عمل انّما الطّرد و المراقبة علی شأن الولایة.

(قَالُوا) بعد ما رأوا انّه يحمي اتباعه ولا يطردهم من اتّباعه.

(لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ) هدّدوه بالقتل بأسوء انواعه لمّا عجزوا عن المحاجّة معه كما هو ديدن كل غالب عاجز عن المحاجّة.

(قَالَ) بعد ما داراهم مدّة الف سنة الاّ خمسين عاماً او اقلّ من ذلك بيسير سائلاً من الله شاكياً عليه:

(رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ فَافْتَحْ) فاقض او فاحكم (بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) يعني منهم او من العذاب المسؤل لهم (فَأَنجَيْنَاهُ) الاتيان بالفاء عقيب الدّعاء للاشعار بانّ العذاب كان عقيب الدّعاء بلامهلة ليكون ابلغ في مقام التّهديد و الاّ كان بين دعائه ووعدالاجابة له و بين اغراقهم مدّة مديدة.

(وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) بالنّاس و سائرالدّواب (ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ) اتى بثمّ هيهنا و كان حقّه الاتيان بالفاء للتّفاوت بين الاخبارين.

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ

أَجْرِىَ إِلاَّ عَلىٰ رَبِّ ٱلْعـاٰلَمِينَ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيع)الرّيع بالكسر و الفتح المرتفع من الارض او كلّ فجّ او كلّ طريق او الطّريق المنفرج فى الجبل المرتفع و برج الحمام الّذى يبنى لان تأوى اليه(اٰيَةً) علامة.

(تَعْبَثُونَ) بذلك والمراد به القصور المرتفعة او القلاع المبنية على الجبال و المرتفعة من الاراضى، او العلائم المبنية للمارّة من غير حاجتهم اليه، او الابنية الّتى تبنى على الطّريق للاشراف على المارّة والسّخريّة بهم، او كانوا يبنون ابنية للاجتماع واللّعب فيها.

(وَ تَتَّخِذُونَ مَصاٰنِعَ) جمع المصنعة او المصنع بمعنى الحياض تصنع للماء، او المضائف الّتى يدعى اليها للضّيافة، او القرى الّتى تصنع للزّراعة و الانتفاع، او المبانى من القصور والحصون.

(لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) يعنى راجين للخلود و لذلك تحكمون بنيانها(وَ إِذاٰ بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبّاٰرِينَ) لامؤدّبين يعنى انّكم جمعتم بين الافراط فى القوّة الشّهوية والافراط فى القوّة الغضبيّة (فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَ أَطِيعُونِ)مضى وجه تكرار هذه.

(وَٱتَّقُوا ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِماٰ تَعْلَمُونَ)اى تعلمونه او تعلمون انّه ليس الاّ بامداداللّه كرّر اتّقوا مقدّمة للتّنبيه على بعض

فى ملامة الّذين يظنّون الخلود مع مصانعهم

النّعم الّذى يعرفونه انّه من الله حتّى يقبلوا و يطلبوا منه الزّيادة و يخافوا زواله و لا يخالفوه.

(أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) عدّ عليهم من انواع نعمه ما يعدّه العرب اشرف النّعم و احسنها (إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) كأنّه قال امرتكم بالتّقوى لانّى اخاف عليكم زوال تلك النّعم بمخالفتكم و اخاف اعظم منه و هو عذاب يوم عظيم.

(قَالُوا) فى جوابه اظهاراً لعدم الاعتداد به: (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ) لم يقل ام لم تعظ ليكون ابلغ فى عدم الاعتداد بوعظه (إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ) قرىء خلق بالفتح و السّكون بمعنى الافتراء او الفطرة و الطّبع، و قرىء بالضّمّتين بمعنى السّجية والطّبع و المعنى ما هذا الّذى تدّعيه الاّكذب الاوّلين الّذين ادّعوا النّبوّة مثلك، او ما هذا الّذى نحن عليه من سجيّة الحيوة و التّعيّش ايّاماً ثمّ الموت الاّ فطرةالاوّلين يعنى انّ‌الزّمان كان من القديم على الاحياء و الاماتة، او ما هذا الّذى انت تدّعيه الاّ عادة الاوّلين من‌الانبياء عليهم‌السلام او من المدّعين للنّبوّة، او ما هذا الّذى نحن عليه من‌الدّين الاّ عادة الاوّلين و نحن بهم مقتدون.

(وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) لانّه لا بعث ولا حساب ولا عقاب، او لانّا نكون على الحقّ الّذى تستحقّ به الثّواب لا العقاب

(فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ)وجه الاتيان بالفاء عقيب التّكذيب قد مرّ فى السّابق(إِنَّ فِى ذَٰلِكَ)المذكور من قصّة هود و قومه او من اهلاك قوم هود الّذى تظافر به الاخبار.

(لَاٰيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَاهُنَآ اٰمِنِينَ)بعد ما اقام على صدق دعواه بيّنة ممّا يعرفونه و نفى الطّمع الّذى هو مورث للاتّهام عن نفسه هدّدهم بالموت والخروج من المنازل و الدّنيا.

(فِى جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ)اى النّضيج او الرّطب اللّين او النّضيد او سريع التّفتّت و قيل هو الّذى ليس فيه نوىً.

(وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ) حاذقين فى النّحت او بطريق (فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَلَا تُطِيعُوٓا أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ)المتجاوزين للحدّ فى المشتهيّات او الغضبات.

(ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ قَالُوٓا إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا

فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَادِمِينَ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ) قدمضى حكاية نوح و هود و صالح عليهم السلام في سورة الاعراف و في سورة هود.

(كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ) اخوة المعاشرة لا اخوّة القبيلة (لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ)لستم واقفين على هذا القدر من الظّلم لانّكم (قَوْمٌ عَادُونَ) في جملة اموركم، والعادون من عدى بمعنى ظلم او سرق او صرف او وثب او جاوز او العدوّ ضدّ الصّديق، او من عدى كعلم بمعنى ابغض.

المطابقةالموجود بين التّكاليف الاختيارية

اعلم انّ التّكاليف الاختيارية النّبويّة او الولويّة مطابقة للتكاليف التّكوينيّة الالٓهية والله تعالى كلّف جنس الحيوان في اكثر

انواعه بالاجتماع بان ركّب الشّهوة فبها و جعل فيها ذكراً و انثى و جعل نفوسهما بحيث لايصبر كلّ عن‌الاخر باقتضاء شهوة الوقاع الّتى جعلها فيه.

ولم يكن المقصود من خلق الشّهوة الاّ بقاءالنّوع فانّه لو لم يكن شهوة لم يكن وقاع بين سائر انواع الحيوان و امّاالانسان و ان كان يمكن الوقاع بمحض التّكليف الاختيارى النّبوى لكن قلّما يقع ذلك فانّ اكثر النّفوس لا تعتدّ بالاوامر التّكليفيّة ولولم يكن الاوامر التكوينيّة لم يكونوا يواقعون بمحض الامر التّكليفىّ و فى ذلك فناء النّوع او تقليله و لقصد التّناسل جعل تعالى ألة قضاءالشّهوة فى‌الذّكر والانثى بحيث يستقرّ مادّة‌الانسان الّتى هى النّطفة فى مقرّ مخصوص و جعل الذّكر والانثى بحيث كانا عاشقين للولد و مربّيين له كالجزء منهما.

وغير الانسان من الحيوان لمّا لم يكن له الشّيطنة لايرغب فى ثقب ليس له ان يطأ فيه فلايخالف الامر التّكوينىّ و ليس له امر تكليفى؛ و امّا الانسان فيتدبّر بالقوّة المتخيّلة و وسوسة الشّيطان و يتصرّف فى امر قضاءالشّهوة و قديخالف بتدبيره و شيطنته الامر التّكوينى و الامر التّكليفى.

و ما لم يخذله الله يعاقبه فى الدّنيا و يؤاخذه على مخالفةالامر التّكوينىّ و جعل له عقوبة و حدّاً على مخالفة

الامر التّكليفىّ و لمّا كان فى الخروج عن‌الامر التّكليفى فى هذا المورد افساد كلّى فى‌الارض بقطع النّسل و جعل المرء على طبيعة‌المرأة و جعل النّفس خارجاً من الحياء و اخسّ من نفس الحيوان فى القوّة الحيوانيّة جعل الله عقوبة من اتى الذّكران اشدّ من العقوبات.

(قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَالُوطُ)عمّاتنهى عنه (لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ)من قرينا(قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ)لا لانفسكم فانّكم صنايع ربّى و لا اقدر ان اقليكم و لكن عملكم لكونه مخالفاً لامره التّكوينى والتّكليفى كان مغضوباً لى تخرجوننى من قريتكم او لم تخرجونى ثمّ انصرف عنهم والتجأ الى‌الله فقال:(رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلَّا عَجُوزًا)من اهله و هى امرأة لوط (فِى الْغَابِرِينَ)فى الباقين الماكثين فى القرى على ما قيل انّها لم تخرج مع لوط؛ او فى الغابرين فى العذاب على ما قيل انّها خرجت و اصابها فى الطّريق حجر فاهلكها.

(ثُمَّ دَمَّرْنَا)اى اهلكنا (الْآخَرِينَ) بالخسف او بايتفاك القرى انقلابها ثمّ امطرنا على من كان غائباً من القرى الحجارة من‌السّماء او امطر عليهم الحجارة ثمّ انقلب قراهم بهم.

(وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا)عجيباً و هو امطار الحجر

(فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ كَذَّبَ أَصْحَابُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ)الايك الشّجر الملتفّ الكثير او الجماعة من كلّ شجر حتّى من النّخل والواحدة الايكة او الاجمة الكثير الشّجر و المراد باصحاب الايكة اهل مدين او جماعة كانوا بقرية قرب مدين و لم يكونوا من قبيلة شعيب عليه السلام، بعث شعيب عليهم كما بعث على اهل مدين.

و لانّهم لم يكونوا من قبيلته قال تعالى:(إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ)و لم يقل اخوهم شعيب (أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ أَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ)اى من جملة من شيمته التّطفيف فى الكيل والميزان (وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ)اى لا تنقصوا من النّاس(أَشْيَآءَهُمْ)او لاتظلموا النّاس فى الاشياءهم و على الاوّل يكون بياناً لمفهوم مخالفة اوفوا وزنوا.

و على الثّانى يكون اعمّ لانّ ظلم النّاس فى الاشياء اعمّ من ان ينقصوا فيما يعطونهم او يزيدوا فيما يأخذون منهم.

(وَلَا تَعْثَوْا فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) تعميم بعد

تخصيص ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾ بمعنى المسحورين المصابين بالسّحر حتّى فسد عقولهم ولا يدرون ما يقولون و التّضعيف للمبالغة او المجوفين الّذين لهم سحر اى رية و يحتاجون الى الاكل و الشّرب والتّرويح بالهواء او من المتباعدين من الانسانية.

﴿ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ ﴾ اى انّه نظنّك ﴿ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا ﴾ جمع «الكسفة» كالكسف بالكسر والفتح ﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ قَالَ ﴾ بعد ما لم ينجع فيهم المحاجّة ﴿ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ فان رأكم مستحقّين للعذاب واسقاط السّماء عليكم فعل بكم وان رأكم مستحقّين للتّوبة و مستعدّين لرحمته وفّقكم.

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ﴾ اى يوم السّحابة الّتى اظلّتهم فانّه كما نقل اصابهم حرّ شديد سبعة ايّام و حبس عنهم الرّيح ثمّ غشيتهم سحابة فلمّا غشيتهم خرجوا اليها طلباً للبرد من شدّة الحرّ فأمطرت عليهم ناراً فاحرقتهم و كان من اعظم الايّام والوقائع و لذلك قال تعال: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ولمّا ذكر قصص الانبياء الماضين و هلاك اقوامهم لتكذيبهم ليكون تسلية

للرّسول ﷺ و تهديداً لقومه المكذّبين ذكر القرأن او قرأن ولاية علىؑ و امارات صدقه ليكون اقرب الى القبول و الانذار.

و قال:(وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) عطف على السّابق باعتبار المعنى كأنّه قال: و انّ شعيباً لمن المرسلين و انّك لمن المرسلين و انّ القرأن او القران ولاية علىّؑ لتنزيل ربّ العالمين.

(نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ) يعنى جبرئيلؑ فانّه من جملةالارواح و امين على امرالله (عَلَىٰ قَلْبِكَ) اى صدرك او قلبك الحقيقى المقابل للصّدر والنّفس فانّ الولاية فى القلب كما انّ الرّسالة و احكامها وكتبها فى الصّدر.

(لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ)اى من الرّسل الّذين شأنهم الانذار لا من المبشّرين فقط فانّ البشارة المنفكّة عن الانذار شأن الولاية المنفكّة عن الرّسالة.

اتى بالغاية قبل تمام المغيى؛ للاشعار بانّ الانذار انّما هو بنفس القران او الولاية لا بكونه بلسان عربىّ هذا على تقدير كون قوله:(بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ) متعلّقاً بقوله نزل و امّا اذا كان متعلّقاً بكونه من المنذرين فكان من اجزاء الغاية لا المغيى.

والمراد باللّسان العربى هو لغة العرب مجازاً فانّ استعمال اللّسان فى القول كثير والمراد بالمبين الفصيح الظّاهر الكلمات

والحروف، او الظّاهر المعانی والواضح المقاصد.

اوالمبیّن للمقاصد، اوالمبیّن للالسن فانّه کما فی‌الخبر یبیّن الالسن ولا تبیّنه الالسن؛ فانّ لغة العرب لسعتها وسعة التّصرّف فی هیأت کلماتها تبیّن جمیع اللّغات بمحض التّصرّف فی‌هیأت کلماتها و لیست تلك السّعة فی‌سائر اللّغات فلایبیّن سائر اللّغات بدون التّقییدات لکلماتها لغة العرب.

فانّ الضّرب بتصرّیفاته فی هیأته یدلّ علی عدّة معان متخالفة لایمکن تبیینها بسائر اللّغات الاّ بضمّ قیودات عدیدة.

فانّ‌الضّرب یفید معناه المصدریّ و هیئة ضرب یفید المعنی المصدری مع زمانه و نسبته و فاعله و ذکورة فاعله و وحدته و هکذا سائر متصرّفاته و لیس سائراللّغات کذلك فهو یبیّن الالسن بهیئات کلماته و لاتبیّنه الالسن الاّ بضمائم و قیودات لکلماتها.

(وَ إِنَّهُ)ای القران باوصافه او بمعانیه او قران ولایة علی‌علیه‌السلام (لَفِی زُبُرِ ٱلْأَوَّلِینَ) ای کتبهم (أَوَ لَمْ یَکُن لَّهُمْ ءَایَةً أَن یَعْلَمَهُ)ای القران باوصافه او بمعانیه و احکامه، او قران ولایة علی‌علیه‌السلام (عُلَمَـٰٓؤُاْ بَنِیٓ إِسْرَٰٓءِیلَ)فانّ انبیاء بنی اسرائیل اثبتوا فی کتبهم و اخبروا اممهم بمجیء محمّد صلی‌الله‌علیه‌وآله وکتابه و وصایة وصیّه الّذی هو ابن عمّه و صهره و خلیفته فانّ العلماء کانوا یخبرون بانّه مکتوب فی کتبهم و یبشّرون بمجیئه.

وكانت اليهود يستفتحون بمحمّد ﷺ و اوصيائه عليهم السلام على اعدائهم.

و قد ورد فی اخبار عديدة انّ الايات فی ولاية وصيّه علیّ بن ابی طالب عليه السلام.

و فی خبر انّ ولاية علیّ عليه السلام مكتوبة فی صحف الانبياء عليهم السلام ولم يبعث الله رسولاً الاّ بنبوّة محمّد ﷺ و ولاية وصيّه علیّ بن ابی طالب عليه السلام[1].

(وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ)ای القران او قران ولاية علی عليه السلام (عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ)الّذين لايفصحون عن الكلمات او الّذين هم غيرالعرب او سائر افراد الحيوان العجم.

(فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ)لعدم افصاحه عن الكلمات و المقاصد لانّهم بعدانزال القران عليك مع افصاحك عن كلماته و مقاصده ما امنوا فلونزّلناه على ذی‌لكنة بلسانه كان عدم الايمان كالسّجيّة لهم.

و للاشارة الى هذا المعنى قال ماكانوا به مؤمنين بتخلّل كان لعدم افصاحه، او له و للعناد مع علیّ عليه السلام؛ او المعنى لو انزلناه على عجمی ماكانوا ليؤمنوا للحميّة الّتی كانت لهم مع‌العجم، او له و للعناد مع علیّ عليه السلام.

---

۱. نورالثّقلين ج۴/ص۶۵/ح۸۶

او المعنى لو انزلناه على حيوانٍ غير ناطق فنطق به اعجازاً منّا ماكانوا ليؤمنوا به مع انّه يكون دليل صدقه حينئذٍ معه لشدّة بعدهم و نفرتهم من الحقّ اولها و لشدّة عنادهم مع على عليه السلام.

روى عن الصّادق عليه السلام لو نزّلنا القران على العجم ما امنت به العرب و قد نزل على العرب فامنت به العجم فهذه فى فضيلة العجم.

(كَذَٰلِكَ)اى مثل سلوك الكفر فى قلوب هؤلاء(سَلَكْنَاهُ) اى الكفر (فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ)او مثل نزول القران على قلبك بلسان عربىّ مبين سلكناه فى قلوب المجرمين و مع‌ذلك لايؤمنون به، او مثل سلوك القران فى قلوب هؤلاء الكفّار حالكونهم متنفرّين منه غير مؤمنين به سلكنا قران الولاية فى قلوب المجرمين حالكونهم متنفرّين منه.

(لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ)ولاينفع نفساً ايمانها حينئذٍ.

و اشير فى اخبار عديدة الى انّ المراد بالمجرمين بنواميّة و انّهم لايؤمنون بعلىّ عليه السلام حتّى يروا العذاب الاليم.

(فَيَأْتِيَهُم)العذاب الاليم (بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بمجيئه لعدم تقدّم امارة له (فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ) يعنى انّهم قبل مجيئه يستهزؤن به و يستعجلون به استهزاءً فاذا جاءهم يسألون النّظرة (أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ)تهويل و تهديد لهم.

(أَفَرَأَيْتَ) يا محمّد ﷺ او الخطاب عامّ (إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ) عديدة مديدة (ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ) من العذاب (مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم) شيئاً من عذاب الله (مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ) فى الدّنيا و قد صرّح فى اخبار عديدة انّ قوله افرأيت (الى الاخر) نزلت فى بنى اميّة و انّ رسول الله ﷺ رأهم فى منامه يصعدون منبره بعده يضلّون النّاس عن الصّراط القهقهرى فاصبح كئيباً و نزل عليه جبرئيل و سأل عن حزنه فقال ﷺ: رأيت فى منامى كذا فعرج ثمّ نزل و جاء بهذه الاية تسلية للرسول ﷺ و جاء بسورة انّا انزلناه تسلية له ﷺ بانّ ليلة القدر الّتى اعطيت خيرٌ من الف شهر يكون فيها ملك بنى اميّة.

(وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ لَهَا مُنذِرُونَ) عطف فيه استدراك توهم انّ العذاب الجائى بغتةً كان ظلماً (ذِكْرَىٰ) مفعول له و اسم للتّذكير (وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ) معذّبين من غير استحقاق و من غير تذكير لهم بالعذاب (وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ) اى بالقران او قران ولاية على ﷺ (ٱلشَّيَاطِينُ) كما زعم المشركون انّ القران النّازل على محمّد ﷺ من قبيل ما يلقيه الشّيطان على الكهنة.

(وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ) ان ينزّلوه يعنى ليس شأن القران الّذى هو كلام الله والاتى به هو الملك و المتلقّف محمّد ﷺ الّذى هو اعلى من الملك ان يلقّنه الشّياطين و

لاالشّياطين يقدرون ان يأخذوه و ينزلوه لانّ الشّياطين عالمهم ظلمانى اسفل العوالم والقران و محمّد ﷺ والملائكة عالمهم نورانىّ اعلى العوالم فاذا وصل القران الى الشياطين فرّوا بل هلكوا كما قيل:

دیو بگریزد از آن قوم که قرآن خوانند

(إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ)اى سمع القران و كلام الملك (لَمَعْزُولُونَ) فانّ قول الملَك و خطاب القران شهاب رادع للشّيطان.

(فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ)يعنى اذا كان القران من الله من غير شراكة لغيره، او اذا كان ولاية علىعليه‌السلام من الله فلاتدع مع الله او مع علىعليه‌السلام (إِلَـٰهًا) اى معبوداً او ذا ولاية (ءَاخَرَ) و هذا على: ايّاك اعنى واسمعى يا جارة.

(فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ)مثل بنى اميّة الّذين عدلوا عن علىعليه‌السلام الى غيره فحتم لهم عذاب اليم.

(وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ)خصّ العشيرة الاقربين مع انّه مأمور بانذارالخلائق اجمعين؛ امّا لانّهم اقرب الى القبول من غيرهم فاذا انذروا قبلوا لمناسبة القرابة بينهم و بينه و لاطّلاعهم على خفايا احواله و انّه لا مداهنة فيه و لا يطلب الدّنيا دون غيرهم.

او لانّهم ان امنوا سهل عليه ﷺ دعوةالغير و سهل على الغير

غیرکم ثمّ لتندمنّ فقام علی علیه السلام فبایعه و اجابه، ثمّ قال: ادنُ منّی فدنا منه ففتح فاه و مجّ فی فیه من ریقه و تفل بین کتفیه و ثدییه.

فقال ابولهب: فبئس ما حبوت به ابن عمّك ان اجابك فملأت فاه و وجهه بزاقاً؟ فقال صلی الله علیه و آله: ملأته حکمة و علماً.

وعن طریق العامّة والخاصّة وانذر عشیرتك الاقربین و رهطك منهم المخلصین عن الرّضا علیه السلام: وانذر عشیرتك الاقربین و رهطك المخلصین قال هکذا فی قرائة ابیّ بن کعب و هی ثابتة فی مصحف عبدالله بن مسعود قال: هذه منزلة رفیعة و فضل عظیم و شرف عال حین عنی الله عزّوجلّ بذلك الال فذکره لرسول الله صلی الله علیه و آله[1].

و یجوز ان یکون المراد بالعشیرة الاقربین الّذین کانوا بحسب مرتبتهم الرّوحانیة عشیرته و اقرب منه ویکون المعنی انذر بحسب مقامك العالی و عشیرتك الاقربین وتنزّل عن مقامك العالی الی مقام التّابعین.

﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ خفض الجناح استعارة للتّذلّل والتّواضع من جهة المحبّة من خفض جناح الطّیور لازواجها یعنی تنزّل و تواضع عن مقامك العالی.

﴿ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فانّهم لایقدرون علی سماع کلامك بحسب مقامك العالی و انذارهم بلسان و مقام یناسب

---

۱. عیون اخبار الرّضا علیه السلام ج ۱/ص ۱۸۱ /باب ۲۳/ح ۱

مقام المؤمنين التّابعين.

(**فَإِنْ عَصَوْكَ**)اى عشيرتك او اتباعك المؤمنون فانّهم بحسب حدود مقامهم و تعيّناتهم النازلة يعصونك(**فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ**) و لاتقل انّى برىءٌ منكم فانّهم ان كانوا اتباعك كانت برائتك منهم برائة من اللطيفة آلهيّة؛ كما مضى مكرراً انّ الاسماء و الاحكام اسماء جارية على الفعليّة الاخيرة من الاشياء فخطاب اتباعك و البرائة منهم يكون خطاباً و برائة من الفعليّة الاخيرة الّتى هى فعليّة الرّسالة او فعليّة الولاية و فعليّة الرّسالة و الولاية ليست الاّ الالهيّة.

و ان لم يكونوا اتباعك و لم يكونوا مرتدّين عن الفطرة بابطال الفطرة الانسانيّة كان فعليّتهم الاخيرة الانسانيّة و ان كانت محتجبة تحت غيرها من الفعليّات الاخر و كانت البرائة منهم برائة من الانسانيّة الّتى هى ايضاً لطيفة آلهيّة.

نعم ان قطع الفطرة صح ان يقال: انّى برىء منك كما حكى الله تعالى عن ابراهيمعليه‌السلام بقوله فلمّا تبيّن له انّه عدوّ للّه تبرّأ منه يعنى تنزّل عن مقامك العالى و شاركهم فى مقامهم النّازل؛ فان خالفوك فى التّقييد بحدود مقامهم فاظهر نزاهة ذاتك عن تلك الحدود و قل لهم: انّى بحسب مقامى العالى منزّه عن حدود تلك المقامات و تعيّناتها و ان شاركتكم فى بعض لوازمها لئلاّتستوحشوا منّى حتّى

لا یتوهّموا انّك تكون مثلهم.

﴿ وَ تَوَكَّلْ[1] عَلَى ٱلْعَزِيزِ﴾الّذی لایقع فی ملكه الاّ ما یشاؤه یعنی اخرج من رؤیة الافعال من الفاعلین و انظر فی جملة الافعال الی الفاعل الحقّ حتّی تشاهد انّ العامل هو یدالله فتكل امرك و امرهم الیه و لاتحزن علی عصیانهم.

﴿ ٱلرَّحِيمِ ﴾الّذی لایشاء لعباده الاّ ما هو صلاحهم ولایشاء لاعدائه الاّ ما هو صلاح عبادهالمؤمنین او صلاح نظام العلم فلاتحزن علی ما فیه صلاح عامله او صلاح المؤمنین او صلاح نظام الكلّ.

﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴾للصّلوة وحدك كما فی‌الخبر او تقوم فی‌اللّیل للصّلوة او تقوم فی‌النّاس، او تقوم بقیام جمیع مراتبك للحضور عند ربّك او تقوم بالعروج عن مقام الكثرات والخروج من بینهم.

﴿ وَ تَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴾وقت الصّلوة بالجماعة او تقلّبك من قیامك و انحنائك فی‌المنحنین المنكوسین فی‌الكثرات المبتلین‌بها، او تقلّبك فی‌الخاضعین المتواضعین‌لله، او تقلّبك فی الاصلاب والارحام المطهّرة اللاّتی كانت للسّاجدین‌لله فانّه لم یكن

---

۱. قال علیّ علیه‌السلام: فی التّوكّلِ حَقیقةُالاِیقانِ (حقیقت یقین در توكّل‌است)

غرر الحكم ۴۹۲،۲۴۹،۵۴۴

الاّ من نكاح صحيح من لدن أدم عليه السلام و كانت أباؤه موحّدين.

(إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ) لاسميع سواه (ٱلْعَلِيمُ) لاعليم سواه فانّ سمع كلّ سامع و علم كلّ عليم سمعه و علمه النّازلان.

و فى خبر: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لاترفعوا قبلى و لاتضعوا قبلى فانّى اريكم من خلفى كما اريكم من امامى؛ ثمّ تلا هذه الاية يعنى اذاكنتم فى الصّلوة فلاترفعوا رؤسكم من السّجدة و لاتضعوها للسّجدة قبلى[1].

الاستشهاد بالاية يدلّ على انّ الامر بالتّوكّل كان من الله و انّ المأمور بالتّوكّل هو نفسه باعتبار مقام نفسه و انّ المتوكّل عليه هو نفسه ايضاً بحسب مقام روحه الّذى هو مقام الولاية و هو الموصوف بالعزّة والرّحمة و بالرّؤية فى جميع الاحوال.

(هَلْ أُنَبِّئُكُمْ) لمّا ذكر انّ القران ما تنزّل به الشّياطين اشتاق نفوس السّامعين لبيان من تنزّل عليه الشّياطين و ما تنزلون به فقال تعالى هل انبئكم (عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَاطِينُ) من موصولة والظّرف متعلّق بانبئكم او استفهاميّة والظّرف متعلّق بتنزّل.

(تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ) من افك كضرب و علم افكاً بالفتح والكسر والتّحريك كذب، او من افكه عنه كضرب صرفه و قلّبه او قلّب رأيه او من افك فلاناً جعله يكذب.

---

١. مجمع البيان ٨-٧/٢٠٧

(أَثِيمٍ) يعنى انّ الشّياطين لمّا كانوا بحسب وجودهم و ذواتهم كاذبين منحرفين عن الصّراط المستقيم و منكوسين مقلوبين لايتنزّلون الاّ على الكذّاب المنكوس الّذى بفطرته يصرف قوى وجوده و من فى خارج وجوده عن الحقّ و الاستقامة للزوم السّنخيّة بين النّازل و المنزل عليه والاثيم الّذى يفعل الافعال الّتى لم تكن على الصّراط المستقيم الانسانى.

(يُلْقُونَ) اى الشّياطين (ٱلسَّمْعَ) يعنى يصعدون الى السّماء لاستراق السّمع من‌الملائكة و يستمعون منهم ثمّ يتنزّلون الى اسناخهم من الانس و يخبرونهم.

(وَ) لكن (أَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ) فانّ مسموعاتهم و ان كانت حقّة لكنّها اذا وصلت اليهم و دخلت اصماخهم تنصرف عن وجهتها الحقّانيّة و تصير باطلة فانّ وجودهم كالمرآة المعوّجة الّتى لايرى فيها الصّور الاّ على خلاف ما هى عليه او يلقى الشّياطين المسموع على اسناخهم الانسيّة او يلقى الافّاكون السّمع للشّياطين و ينقادونهم لاستماع اكاذيبهم و ضميرا كثرهم راجع الى الشّياطين او الى الافّاكين فانّ الكلّ يكونون بحال اذا وصل الصّدق اليهم صار كذباً وانّما قال اكثرهم لانّ القليل من الشّياطين والقليل من الافّاكين فطرتهم باقية على الاستقامة ولايصير الحقّ فى وجودهم باطلاً و يبقى الصّدق على صدقه فى وجودهم.

﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ﴾ جمع‌الشّاعر والشّاعر من شعر به كنصر و كرم شعراً بالكسر و شعراً بالفتح علم به و فطن له عقله و لمّا كان الشّاعر الاتى بالكلام الموزون سريع التفطّن بالالفاظ المتناسبة المتناسقة والمعانى الدّقيقة غلّب فى العرف اسم‌الشّعر على كلامه‌الموزون؛ واسم الشّاعر عليه و لمّا كان الاغلب انّ الشّعراء يظهرون الاباطيل والاكاذيب بصورةالحقّ بتمويهات و تزيينات نقل عن‌الشّعر والشّاعر اسم‌الشّعر والشّاعر الى كلام باطل مموّة ظاهر بصورة الحقّ و الى قائله.

و منه القياسات الشّعرية للقياسات الوهميّة الباطلة المموّهة الظّاهرة بصورة القياس الحقّ الصّادق و لما كان‌القران ذا وجوه بحسب طبقات النّاس و يراد منه كلّ وجوهه بحسب طبقات النّاس والمراد بالحمل على احسن الوجوه كما مضى فى المقدّمات الحمل على احسن الوجوه الاضافىّ صحّ تفسير قوله‌تعالى: والشّعراء ﴿يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ بالّذين يأتون بالكلام المنظوم.

كما نقل انّ‌المراد شعراء العرب كانوا يأتون‌النّبىّ ﷺ و كان جمع من الغاوين يجتمعون اليهم اليهم و يستمعون كلامهم و ذكروا اسمائهم و عددهم.

و صحّ تفسيره بالقصّاص الّذين كانوا فى‌الاسواق والمحافل

ینقلون الحکایات والاسمار الّتی لااصل لها و لاحقیقة[۱].

وصحّ تفسیره بالوعّاظ الّذین یعظون و لایتّعظون و بالفقهاء والقضاة الّذین یفتون و یقضون بین‌النّاس من غیر اذن و اجازة من الله او من خلفائه کفقهاء العامّة و قضاتهم فانّهم ایضاً یقولون و لایفعلون مایقولون.

الصّادقعليه‌السلام هم‌القصّاص[۲].

و عنهعليه‌السلام: هم قوم تعلّموا و تفقّهوا بغیر علم فضّلوا واضلّوا.

و عنهعليه‌السلام: نزلت فی‌الّذین غیّرو دین‌الله و خالفوا امرالله هل رأیتَ شاعراً یتّبعهُ احدٌ؟! انّما عنّی بذلك الّذین وضعوا دیناً بارائهم فتبعهم علی ذلك النّاس[۳].

الباقرعليه‌السلام: هل رأیت شاعراً یتّبعه احد؟ انّما هم قوم تفقّهوا لغیرالله فضلّوا واضلّوا[۴].

(أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ)ای الشّعراء (فِی کُلِّ وادٍ)من اودیة النفس والخیال (یَهِیمُونَ) یتحیّرون، شبّه تخیّلاتهم الّتی لاثبات لهم علیها ولا یرون حقّاً منها و لا یعتقدن صدقها بالاودیة الّتی هب

---

۱. عن الامام الصّادقعليه‌السلام: انّ امیرالمؤمنینعليه‌السلام رَأیٰ قاصّاً فِی‌المَسْجِد فَضَرَبَهُ بِالدِّرَّةِ وَ طَرَدَهُ (امام صادقعليه‌السلام: امیرالمؤمنینعليه‌السلام نقل گویی را در مسجد دید او را با دوال زد و بیرونش‌کرد.) تفسیر المیزان ۱۱/۷۵.

۲. بحار الانوار ۷۲/۲۶۴/۱

۳. البرهان ۳/۱۹۴ و تفسیر القمی ج۲/ص۱۲۵

۴. تفسیر مجمع البیان ۷/ ۳۲۵

المفارج بين الجبال اوالتّلال الّتى لايرى ما حولها لارتفاع الجبال والتّلال المحيطة بها ولم يكن فيها طريق و لايدرى السّالك فيها اين مخلصها سواء كان المراد بالشّعراءالقائلين للشّعر او القصّاص والوعّاظ او الفقهاء والقضاة.

﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لاٰ يَفْعَلُونَ ﴾ فانّ الكلّ حالهم ذلك فانّ الشّعراء يغرقون فى جميع ما يقولون.

كماقيل: «كاز اكذب اوست احسن او» والقصّاص الوعّاظ شأنهم و شغلهم تزييناً لكلام و تجديد النّشاط للاستماع بحكايات جديدة و اسمار غير مسموعة كذباً كان او غير كذب عاملين كانوا او غير عاملين و فقهاءالعامّة شغلهم الافتاء من غير عمل.

﴿إِلاَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا[1]﴾ بالبيعة العامّة او الخاصّة.

---

١. ابوالحسن مولى بنى نوفل : انّ عبدالله بن رواحة و حسان بن ثابت اتيا رسول‌الله حين نزلت «الشّعراء» يبكيانِ و هو يقرأ «الشّعراء يتّبعهم‌الغاؤون» حتّى بلغ «الاّ الّذين امنوا و عملوا الصّالحات قال: انتم «وذكروالله كثيراً» قال: انتم «وانتصروا من بعد ما ظلموا» قال: انتم «وسيعلم‌الّذين ظلموا اىّ منقلب ينقلبون» قال: الكفّار. (ابوالحسن وابستهٔ بنى نوفل مى‌گويد: هنگامى كه سورهٔ شعراء نازل شد، عبدالله بن رواحه و حسان‌بن ثابت با چشم گريان خدمت رسول خدا آمدند وآن حضرت «و شاعران را گمراهان پيروى مى‌كنند» را مى‌خواند تا كه به «مگر آنان كه ايمان آوردند و كار شايسته كردند» رسيد فرمود: شما هستيد «وخدا را بسيار ياد مى‌كنند» فرمود: شما هستيد «و بعد از آنكه مورد ستم واقع شدند يارى خواستند» فرمود: شما هستيد «وكسانى كه ستم كردند بزودى خواهند دانست كه به چه مكانى باز مى‌گردند» فرمود: كافران هستند. الدرّ المنثور ٦/٣٣٤.

(وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ) علی الشّروط و الکیفیّة المأخوذة فانّ الشّاعر منهم لایقول مالم‌یکن فیه رضی‌الله و النّاقل والواعظ ایضاً کذلك و یفعل مایقول اوّلاً ثمّ یقول ثانیاً، و الفقیه منهم لایتکلّم بدون الاذن و الاجازة و بعدالاجازة یصیر باطلة صحیحاً و کذبه صدقاً و ظنّه یقیناً.

(وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا)فی شعرهم و قصصهم و مواعظهم و مسائلهم الفقهیّة (وَٱنتَصَرُوا۟)انتقموا عمّن یفعل بهم (مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟) فی مقام وامّا الّذین ظلموا من الشّعراء بان یقولوا ولایفعلوا و یکون ظاهرهم بخلاف باطنهم فسیعلمون(أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ) تهدیدٌ لهم بسوءالعاقبة.



حسود خرد کرده خود کیش را[۱]

نهج‌البلاغه حِکَم۲۱۲

۱. شعر از آقای ناصر باریکانی طالقانی (ناصح) نهج‌الباغهٔ منظوم صفحهٔ ۱۰۷۵

فهرستهای پنجگانه

فهرست اعلام
فهرست ترجمه‌ی اخبار
فهرست اخبار متن
فهرست ابیات
فهرست منابع

فهرست اعلام

اشخاص

اقوام

اماکن

امکنه

پیامبران

فهرست‌ترجمه‌ی‌اخبار

خواب دیده بود که از منبرش بالا می‌روند و مردم را به گمراهی می‌کشانند به سوی صراط قهقرا ـ و افسرده از خواب برخاست که جبرئیل علیه السلام بر او نازل شد و از اندوهش پرسید پیامبر صلی الله علیه و آله فرمود که در خواب چنین و چنان دیدم. جبرئیل علیه السلام عروج کرد و بعد نازل شد و با این آیه آمد که برای تسلّی خاطر رسول صلی الله علیه و آله باشد و سوره‌ی انّا انزلناه برای تسلّی آن حضرت صلی الله علیه و آله باشد نازل شده‌است برای اینکه لیلةالقدر شبی است که در آن خیری بیش از هزار ماه اعطا شده‌است و هزار ماه در حدود دوران حکومت بنی امیّه است... ۱۰۱

از طریق عامّه و خاصّه نقل شده‌است که پیامبر بعداز نزول این آیه به علی علیه السلام فرمود: ای علی، غذایی برای آنان درست‌کن؛ پس علی علیه السلام غذای اندکی نسبت به (نفرات) درست کرد.ـ پیامبرخدا صلی الله علیه و آله آنان را جمع کرد، پس همه از آن غذای کم خوردند و سیر شدند و ابولهب (بامبادرت بر پیش دستی در هتّاکی) گفت: این بود سحر و جادویی که این مرد «رسول‌خدا صلی الله علیه و آله» کرد! پس رسول‌خدا صلی الله علیه و آله سکوت اختیار کرد و چیزی نگفت. ـ پس از آن یک بار دیگر آنان را برای چنین طعامی دعوت کرد و سپس در مقام انذار فرمود: ای فرزندان عبد المطّلب به‌راستی که من پیامبری «نذیر» هشدار دهنده هستم از جانب پروردگار عزّوجلّ به سوی شما و پیامبری بشارت دهنده؛ پس اسلام بیاورید و مرا اطاعت کنید که هدایت شوید.ـ سپس فرمود صلی الله علیه و آله: کیست که برای من برادری کند که وزیر من باشد؟ و ولی و وصی من باشد بعداز من

و جانشین من باشد در میان اهل و خویشانم و دینم را ادا نماید؟ قوم ساکت شدند و پاسخی ندادند؛ سه بار این مطالب را بیان کرد و آن قوم ساکت بودند و علی‌علیه‌السلام پاسخ می‌داد: اَنَا (من)، پس پیامبر خدا صلی‌الله‌علیه‌وآله برای سوّمین بار که مطالب را فرمود؛ علی‌علیه‌السلام پاسخ داد: من؛ پیامبر خدا فرمود: تو. ـ پس قوم برخاستند در حالی که به ابوطالب می‌گفتند: پسرت را اطاعت کن که امیر تو شد! ۱۰۷

و در روایت عامّه آمده‌است: کدامیک از شما بر می‌خیزد که بامن بیعت کند؟ و سه بار این جمله را تکرار کرد و همه‌ی قوم سکوت کردند. سپس فرمود: آیا از شما کسی به‌پا می‌خیزد؟ یا کسی غیر از شما به پا خواهد خاست که شما خودتان پشیمان شوید (از برنخاستن)؛ پس علیّ‌علیه‌السلام به‌پا خاست و با او بیعت کرد و او را اجابت کرد؛ پس پیامبرخدا صلی‌الله‌علیه‌وآله فرمود: بر من نزدیک شو پس نزدیک‌تر آمد دهان علی‌علیه‌السلام را باز کرد و آب دهانش را بر آن انداخت، سپس؛ بین دو کتف‌ها و پستانش را از بزاق دهانش انداخت. ابولهب گفت: چه بد حمایت کردی پسر عمویت را که تو را اجابت کرد که دهان و صورتش را آب دهان و بزاق انداختی؟! فرمود صلی‌الله‌علیه‌وآله: پر کردم آن را از حکمت و دانش........................ ۱۰۸

و از طریق عامّه و خاصّه: «وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ وَ رَهْطِكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلِصِينَ» از رضا علیه‌السلام: «وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ» وَ رَهْطِكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلِصِينَ» که فرمود: در قرائت ابیّ بن کعب اینچنین آمده‌است و همچنین در مصحف عبدالله بن مسعود نیز اینطور ثبت

فهرست ابیات

فهرست منابع